

الشيخ ابراهيم حبيب

المنهج السديد في التعريف بقصر الجريد

الوطني

6

199

٤٤٤

4=
6199

576

دار الكتب الوطنية
التراثية والاعلام

رقم

36 - 5 فيزي 1998

254262



المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد

الشيخ ابراهيم خريف

20
2012

تسليمه هذا بـ 2012
والسلامة في...

2012
2012



المكتبة العامة
بجامعة القاهرة
مكتبة
مكتبة
مكتبة

حقوق الطبع محفوظة للحفيدة سلمى خريف

ISBN 9973 - 17 - 879 - 3

﴿ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلق قلبي من لساني يفقهوا قولي﴾

(صدق الله العظيم)

الإهداء

الى روح أبي الغالي محمد البشير بن الشيخ ابراهيم خريف،

هو ذا - المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد - تأليف جدي يخرج الى النور كما غنيت كثيرا، وكما بحث لي المرات العديدة عن رغبتي في طبعه واخراجه الى النور . . الى الناس . . الى الحياة .

لن أنسى فذلكتك اللطيفة سنة 1973 عندما أقيم ملتقى الأدباء العرب بتونس، يومئذ تحادثنا طويلا عن طلب الدار التونسية للنشر في طبع قصتك الدقلة في عراجينها، ويومها اقترحت أنت أن تطبع الى جانب قصتك، تأليف عمي مصطفى وجدي رحمهما الله وأذكر أنك قلت لي بالحرف الواحد - المؤتمر سيبنى بتونس أسبوعا، اي سبعة أيام، وسأمضي مع الدار التونسية للنشر 7 عقود أي على كل يوم من المؤتمر عقدا لطباعة تأليف، لكن الظروف التي كانت عليها دور النشر حالت دون تحقيق رغبتي، ومرت السنوات ولم تطبع إلا الدقلة، واسترجعت المخطوطات سنة 1983 أي أسبوعا واحدا قبل وفاتك بعد تلدد من دار النشر، في طباعتهم أو ارجاعهم وعشت تلك الظروف أنا وإياك لحد الحسرة، وكان الله سبحانه يشملك بعطفه، فرغبت الدار في إعادة نشر الدقلة في عراجينها وكان شرطك الوحيد ارجاع المخطوطات .

أبي الحبيب، لن أنسى يوم عدت من دار النشر وأنا أحمل إليك المخطوطات غير المطبوعة، ولن أنسى ضيائك وقبلايتك وفرحك الشديد باسترداد - وخاصة - مخطوط جدي الذي عشت في تخوف من ضياعه أو فقدانه وضممت المخطوط بيد وبالأخرى ضممتي اليك وانت تقول «الحمد لله الآن أصبح بين يدي أعز شيء لي، ابنتي وعقل والدي» . . . لكن القدر لم يمهلك حتى تفرح أكثر بطباعته فوافتك المنية في نفس الأسبوع، رحمك الله، وبقيت الحسرة في قلبي أنا وحدي، كيف السبيل لتحقيق أمنيتك بطباعته وقد علمت منك بأن المخطوط من أنفس النفائس، لقد حافظت عليه كمحافظتي على ابنتي لاسيما وأنا أعرف مكانته بالنسبة لك ولمن يهيم أمره من علماء ومفكرين، وجاءت اللحظة الحاسمة اللحظة التي تمنيناها معا وربما جدي كذلك، حين زف لي تلميذك الأستاذ صلاح الدين العامري مساعدته لي على اخراجه للنور، فشكرا لله وللأستاذ صلاح الدين العامري، لقد تحقق حلم طالما حلمنا به جميعا جيلا بعد جيل، فهنئنا لنا بهذا الانتصار المعنوي، ونم هاتنا أنت وجدي ابراهيم رحمكما اللوأكنتكما فإديس جنانة.

«فكل عمل بني آدم ينقطع بموته إلا علم في صدور الرجال» أو ولد صالح يدعو له «وها انذا العلم يسطع في النور في صدور الرجال .

مقدمة،

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يقول العبد الفقير الى ربه الفنى ابراهيم خريف بن محمد الكبير بن التابعي بن ابراهيم خريف الشريف الحسنى أخذ الله بيده وكان له في يومه وغده. الحمد لله المبدى المعيد، الفعال لما يريد، القائل ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد، الذي فضل بالعقل نوع الانسان، وأفاض على من اختاره أنواع العرفان، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خلاصة بني عدنان، أفضل ما خلق الله تعالى في كل زمان ومكان، وعلى آله وصحبه المهتدين، الذين نصروا الدين، وقارعوا بسيفهم من عارضهم من الملحدين، حتى أظهرهم الله على كره من المشركين، صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين، وبعد، فهذه نبذة تاريخية مختصرة في التعريف ببلاد قسطنطينية أو بلدان الجريد طلبها مني بعض الاخوان ممن له تعلق بهذا الشأن فأجبتة لذلك بقدر الامكان وان كنت لست من فرسان هذا الميدان طالبا من الله العفو والغفران ومن الواقف الاغضاء والنظر بعين الرضا في كل أوان مما عساه أن يعثر عليه من الخطأ والنسيان مما لا يخلو منه إنسان، وسميته بالمنهج السديد في التعريف بقطر الجريد، في فضائل قطر الجريد وما اشتمل عليه من المعاسن.

اعلم أن هذا القطر واقع في عرض ثلاثة وثلاثين درجة ونيف وأربعين دقيقة وطول شرقي في ست درجات ويضع دقائق وكان يسمى في القديم قسطلية، وزعم بعضهم انه روماني وان معنى القسطل البرج وهو من الأوضاع العربية شبهه في تلون ازهار حدائقه بالقسطلانية التي هي قوس قزح في لغتهم ولذلك جعلوا النسبة اليه قسطلاني حسبما ذكره ابن الشباط لأن بلدان الجريد يستهيج عند رؤيتها الناظر مما يشاهده من حسن رونقها الطبيعي في أغلب الفصول فمن مياه دافقة وأشجار رانقة ونخلة باسقة ولذلك قال فيه بعض الشعراء يمدحه ويذكر ما اشتمل عليه من المحاسن وهو محمد بن عبد العزيز بن حماد :

يا سائحا ان رمت زورة جنه	تجري بها من تحتها الأنهار
بادر الى أرض الجريد تجد به	ما تشتهي النفس والأبصار
نهر على رمل يسير كأنه	ورق يصاغ على النضار نضار
أبسا وفاكهة حوت وحدائقا	غيا تغرد فوقها الأطياف
جناتها مثل الجنان فأرضها	مسك ونشر نسيمها معطاف
دوح يسرين ومنظر يسبي النهى	وبرود روض وشيها الأزهار
ومتأنف مثل القسواضب جردت	خلعت عليها بلونها الأشجار
وتناثرت مثل الدرهم فوقها	أنوارها فتضاعت أنوار
واذا يب نسيمها ذاعت بسبه	من نشر أزهار لها أسرار
والنخل مثل عسرات مجلسوة	تبدي بديع حليها الأطوار
تجلي باغريض نصيد تارة	كالسدر تطلع حسنها الأزوار
واذا غدا بلحا فذاك زبرجد	في جيدها فيه الحسان تغار
واذ كسا للحن لونا احمر	قل أنت ياقوت بدا ونضار
واذا قررت بجذعهن تماقطت	رطبها جنيها خيرها مدرار
بلد يحاكي طيبة بنخيله	وهو الفخار اذا يعز فخار
حيث استقام الدين واتضح الهدى	وشجى العبدات نينسا المختار
قطر من الأقطار أشرق حسنه	تصبو لرؤية حسنه الأبصار
وأمام معرفته على أوصافه	تنفاير الأعصار والأمصاف
قطر كبغداد غدا في خطبه	تصفو بنبه الأفهام والأفكار
كملت محاسنه وطاب حديثه	فبطييه تزين الأسحار
يسا أيما الشاوي به من أهله	أو غيره ممن حسوتنه السدار
لا تصبون الى سواه فإنه	للدين والدنيا هديت منار
نعم الفضلاء غدا اذا شئت التقى	والعلم ان خان الكريم قسار
فلذا اذا قحط البلاد فخيره	يكفيه اذ ما تسرف الأعمار
وبسه المعارف فجرت أنهارها	وبحارها فلأنه بحر
والفهم يشحذ فيه طبعها مثل ما	يمسي من السيف الصقيل غرار
لولا الحلال به لأصبح أهله	وهم بكل دجنه أقيار

وهي طويلة قال ابن الشباط سألت والدي أطل الله بقاء عما ذكره الشاعر في شعره من أن هذا القطر في خط بغداد فاخبرني ان هذا صحيح وانه في آخر الاقليم الثالث وان عرضه ثلاثة وثلاثون درجة وأربعون دقيقة وعرض بغداد ثلاثة وثلاثون درجة ومسح دقائقي قال واخبرني ان جالينوس ذكر في بعض تصانيفه أن أهل الاقليم الخامس وأهل الاقليم الثالث مخصوصون بفرط الذكاء والفطنة والادراك في العلوم واحتج لذلك بأن ارسطاليس وأفلاطون وغيرهما من أكابر الحكماء كانوا بالاقليم الخامس وان بطليموس كان بالاقليم الثالث لأنه كان بالاسكندرية ونقل عن الدلائي في وصف بلاد قسطلية انها بلاد كبيرة وبها أسواق عامرة وأرباض كثيرة وهي حصينة منيعة لقرب النخيل من صورها وفي بساطينها جميع الثمار حاشا قصب السكر وتشمل بلاد قسطلية توزر ونقطة والوديان ويزيد ان هذا الاسم أعني قسطلية من الأوضاع العربية ما ذكره بعض مؤرخي الرومان من أن اسم توزر في الكتب الرومانية توزوروس واسم نقطة اكاريسل قبلي

بالباء الموحدة وتسمى الوديان تقيوس باسم أميرها البربري كما سميت صفاقس باسم أميرها البربري بالكاف وتسمى قفصة كابصة وقد خربها القائد الروماني سنة 107 قبل الميلاد ثم جدد بناؤها بعد أن كانت ذات أهمية بموقعها الحربي وإنما سموها هذا القطر قسطنطية لما تقدم كما أطلق عليه اسم الجريد لما فيه من النخيل وهذا الاسم وإن كان يطلق على كل بلد ذات نخيل كما ذكره ابن خلدون، لكن غلب هذا الاسم الأخير على هذا القطر وصار إذا أطلق إنما ينصرف إلى بلدان الجريد وهي نقطة وتوزر والوديان والحمة ونفزاوة وقفصة والجبل، أما نفزاوة فإنها كانت في القديم سبخة متصلة بخليج قابس يعمها البحر ويمتد في جهة الجنوب إلى الصحراء الكبرى ولا يعلم منتهاه على التحقيق ثم ينعطف إلى نقطة وبلدان الجريد ويمرور الدهور وتقدم العصور أخذ البحر في الجفاف حتى انتهى إلى خليج قابس وذكر ابن الشباط فقال سمعت بعض علمائنا يقول أن في تواريخ أهل الكتاب من اليهود أن سيدنا يوشع بن نون عليه السلام غزا توزر في البحر إذ كانت هذه السبخة متصلة ببحر قابس لأن البحار تنقل من أماكنها، وقال أيضا سمعت من شيخنا الفقيه الأجل الصالح أبي عبد الله بن شمر بن رحمه الله ما يؤيد هذا قال إنني رأيت في نسخة قديمة من نسخ الجغرافية وبها صورة قسطنطية دائرة يشقها نهر ويذهب مدا إلى أن يفرغ في بحر قابس وذكر في صفوة الاعتبار أن الذي حققه مؤرخوا الرومان بأن الجهة الجنوبية جهة الجريد كان بها بحر يمتد إلى دواخل القارة الأفريقية المسماة بالصحراء الكبرى ويتصل بالبحر الرومي من جهة وذرف ولذلك حاولت جمعية فرنساوية بواسطة الرجل الشهير بأعمال خليج السويس فرديناند دي ليسابس وحقق أن البحر يمتد إلى ثلاثمائة ميل وإن يخرق البحر من جهة وذرف ثم يمتد إلى دواخل القارة بعد التثبيت في ذلك وعلمهم بما ينتج عن ذلك من الأرباح التجارية ثم توقفت الجمعية لأسباب سياسية مع اشتغالهم بخليج بناما بأماريكا وما نشأ عن ذلك من القلائل وبذلك يعلم أهمية موضع الجريد الجغرافي والتجاري وحسن وضعه واعتباره.

الباب الأول

في أولية نشأة هذا القطر وما قيل في نسب من ابتدأ عمارته

أعلم أن أول من عمر هذا القطر أمة البربر لكن لما كانت علائق هذا القطر السياسية والإدارية مرتبطة بالعواصم التي تداولتها أيدي الدول مثل قرطاجنة في زمن القرطاجنيين والرومان والوندال والقيروان في زمن الخلفاء الأمويين ومن بعدهم من الأغالبة أمراء بني العباس والمهدي في زمن العبيديين ومن بعدهم من صنهاجة وتونس في زمن الموحدين ومن بعدهم من الأتراك لزم الإمام يذكر أحوال هذه الدول على سبيل الاختصار وما تداولت عليها من الأطوار وكيفية تسلطها على بعضها شأن الزمان وتقلباته وتشبته بأدنى سبب عند هرم الدولة وإدارها وكانت أول دولة انتظمت بالمغرب وشيدت أعلام المدينة ووضعت هيكل السياسة الدولة القرطاجنية إذ هي التي امتزجت بأمة البربر وتسلطت عليها لزم التعريف بأمة البربر وكيفية نشأة عمارتهم هذه الأصقاع وكيف تسلطت عليهم دولة القرطاجنيين، أقول أن جدهم بربر من ولد كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام نزع من بلاد آسيا إلى بلاد إفريقية حسبما نقله ابن خلدون عن ابن حزم وهو عن يوثق بروايته فهم أخوة القبط والحيشة والنوبة وعند انتشار أولاد نوح في مناكب الأرض انتقل أولاد حام إلى جهة مصر وافترقوا في قارة إفريقية فالقبط في الجهة الشمالية الشرقية منها والحيشة والنوبة في الجنوبية الشرقية منها وأما البربر فإنها تكونت منهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم وامتد انتشارهم في الجهة الشمالية الغربية منها من البحر المحيط الغربي مارا على ساحل البحر الرومي منعظا إلى جهة الجنوب في دواخل القارة عند انتهاء العمران ولا زالوا في نمو إلى أن ملأوا ضواحي الغرب وتلوله وجباله وهم رحالة شأنهم سكنى الخيام وتمتعهم من نتائج المواشي مدة قرون عديدة فكانوا يتخذون البيوت من الشعر والوبر والشجر ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة ومكاسبهم الشاة والأبل والخيل للركوب والتاج وربما كانت الأبل من مكاسب أهل النعجة منهم شأن العرب ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الأبل وظلال السوف بحيث أن بلاد المغرب لم يكن بها عمران يغطيها عليه الدول ذوات الشأن الذين يرغبون الفتوحات حتى إن فراغة مصر الرعاة الذين استولوا على بلاد مصر قبل المسيح بألف وسبعمائة سنة ويقوا أربعة قرون وفي آخر دولتهم ورد سيدنا يوسف الصديق عليه السلام كانوا استولوا على الجانب الشمالي الشرقي منها ولما لم يجدوا له أهمية تركوه وبقي على حاله الأول إلى أن وردت الأمة الفنيقية من نواحي بلاد الشام على بلاد المغرب بقصد التجارة وكان لهم مهارة في أبواب التجارة وهم أول من اخترع صناعة الكتابة بحروف الهجاء وأول من اهتدى إلى السفر في البحر ولذا أحدثوا مراكزا تجارية على شاطئ البحر الرومي ككريت التي تسمى في الكتب القديمة اقريطش وقبرص وصقلية وسردانية وغير ذلك من المراسي التي على شاطئ البحر بشمال إفريقيا وكان وفودهم على بلاد إفريقيا في حدود سنة 1100 قبل الميلاد المسيحي وخالفوا أهل المغرب وداخلوهم بأنواع المتاجر وملكوا الأراضي الخصبة من أيديهم بثمن بخس لجهل البائعين بما ينتج منها وبما لهم من المهارة في أساليب الاستعمار اتخذوا مدنا على السواحل لتكون مراكزا تجارية مثل سوسة وبشزرت وأتيكة التي هي الآن خرابات قرب غار الملح فكان اتصافهم بالبربر مجرد حركات

تجارية محضة الى أن أسسوا مدينة قرطاجنة وصارت موقعا حربيا فانتقلت الحركة من دور التجارة إلى الدور السياسية.

فصل في تكون الدولة القرطاجنية

هذه الدولة سميت باسم المدينة التي أنشأتها المرأة المسماة ديدون في خلال سنة 880 قبل الميلاد المسيحي وكانت وفدت من مملكة فينيقية بمملكة بالشام قاعدتها مدينة صور وهي من عائلة ملوكية هاجرت مغاضبة لعائلتها فشجنت عددا وافرا من المراكب بها جلبته معها من الأموال والذخائر الملوكية والثفائن العزيزة والرجال المهرة العارفين بالفنون الهندسية فوقع اختيارهم على موقع مدينة قرطاجنة لما أدركوه فيها من الأهمية الحربية والتجارية وبها لها من الميل الى صبغة الملك بمقتضى نشأتها الفطرية بعد أن أحدثت المدينة اتخذت جندا من الفنيقيين واختلاط البربر توجهم بالدرهم والدينار وأدخلت تحت سلطتها جميع المراكز الفينيقية وكثيرا من قبائل البربر تستميل البعض بالمال والبعض بالقوة الجبرية، ولما استقر لها الأمر جعلت حكومتها جمهورية يدير سياستها مائة عضو تحت رئاسة أميرين تنتخبهم الأهالي والرئاسة على الجميع لها وانتقل الأمر من طور التجارة الى طور السياسة والملك كما فعل تجار الانكليز بالهند وأخذت الدولة القرطاجنية في القوة والنمو وتعد سلطتها شيئا فشيئا الى أن استولت بقوة أسطولها الضخم الذي جعلت قيادته لأشهر قوادها المسمى (عنون) على جميع السواحل الشمالية الافريقية ثم على بعض الجزر بآسيا وأوروبا وأحدثت من المدن على ساحل البحر الرومي مثل بجاية وطانجة وسلا وغير ذلك مما سبق ذكره واكتشفت الجزائر الخالدات في المحيط الغربي وامتدت اكتشافاتهم الى الجزائر البريطانية بالجهة الشمالية من أوروبا واستأثر القرطاجنيون بالقوة السياسية والتجارية بحيث لم تتجاسر أمة على مزاحمتها في هذا الميدان من سنة 880 ± قبل الميلاد المسيحي الى سنة 630 قبل الميلاد وفي هذه السنة ابتدأت مزاحمة اليونان للأمة الفينيقية في التجارة والاستثمار فاحتطقت من يدها عدة مستعمرات في الجهة الشرقية عند اشتغالها بالاكتشافات الغربية فاستولت لها على مالطة وصقلية وبرقة فلما اشتغلت دولة اليونان بحرب الفرس وذلك سنة 480 قبل الميلاد انتهزت دولة قرطاجنة الفرصة واستولت على قسم كبير من جزيرة صقلية وحاربها بعض الأمراء على بعض المستعمرات اليونانية ولم ينجح، وفي سنة 322 قبل الميلاد حاربهم بطليموس أحد قواد اسكندر المقدوني الذي استقل بالملك بعده فاستولى على قسم كبير من مملكة القرطاجنيين مثل طرابلس وبعض البلاد التونسية وأحدث مرسى قليية وبقي متصرفا فيها استولى عليه الى سنة 306 + ولكن القرطاجنيين جمعوا قوتهم وحشدوا جنودهم وعسكروا قرب دخلة المعاوين والتحم القتال بينهم وبين الجنود اليونانية فهزمتهم العساكر القرطاجنية ومزقتهم كل ممزق واسترجعوا ما استولت عليه الدولة اليونانية وبذلك أصبحت الدولة القرطاجنية ذات ملك عظيم وممالك عريضة تمتد من جزر البحر المتوسط وسواحل افريقيا الى البحر المحيط الغربي وتنطف شمالا الى أرض اسبانيا وجزائر بريطانيا وحاولت أن تمتد سلطتها الى بلاد مصر وأراضي الشام الذي هو منبتها فعارضتها قوة الدولة اليونانية بها لها من العظمة والسلطنة في ذلك التاريخ غير أنها حصلت على ثروة عظيمة بسبب اتساع مستعمراتها ومعرفتها بطرق المتاجر واستبقاها للمحصولات السودانية والافريقية والشرقية ونقلها لمحل رواجها من غير مزاحم وكانت دولة الرومان التي أنشأت مدينة رومة سنة 788 قبل الميلاد مجاورة لدولة القرطاجنيين وكانت منقسمة الى عدة ممالك مستبدين وبها رأوا من قوة جارتهم وتسلطها على الممالك الواسعة وما حصلت عليه من النفوذ واتساع الثروة خشوا تسلطها عليهم فاتحدوا بمملكة واحدة وأسقطوا جميع ملوكهم وأسسوا مملكة جمهورية وأنشأوا تنظيمات مهمة كافلة لهم بحفظ استقلالهم وتشييد ملكهم فأتسعت بذلك معارفهم واستفحل أمرهم ورسوموا خرائط لممالكهم فاقضى الوضع الجغرافي ضم بعض المستملكات القرطاجنية الى مملكتهم كجزيرة صقلية وأحجموا عن ذلك مما في نفوسهم من الحسد والنوهم العجز عن ذلك وهم لازالوا اخذين في القوة وكان البعض من جزيرة صقلية في يد قوم من الطالبان استوطنوا ذلك المحل وأخذوا في الاستعمار فطردهم القرطاجنيين فاستنجدوا بدولة الرومان لتحميمهم من القرطاجنيين وبها هو مركز في نفوس الرومانيين من الحسد والغيرة أبرزوا ما هو كامن بين جوانحهم من الحسد فاتحدوا هذه الوسيلة سبيلا لاشهار الحرب على دولة قرطاجنية.

فصل في تسلط دولة الرومان على دولة قرطاجنة واستيلائها على افريقية

هذه الدولة تكونت من أمم وأخلاق وفدوا من بلاد المورة من جنس الاغريق في أزمان مختلفة على بلاد إيطاليا وبها لهم من الحضارة ومعرفة أساليب الاستعمار أخذوا في ارشاد أهالي البلاد الطالينية أولئك الأقوام المتوحشون وإدارة شؤونهم وبموجب ذلك حصل لهم نفوذ وسيطرة الى أن بلغ بهم ذلك الى التملك عليهم فاستولى منهم عدة أمراء على عدة جهات من تلك البلاد بعد أن أنشؤوا مدينة رومة في القرن الثامن قبل الميلاد المسيحي مع عدة مدن أخرى وقرى اقتضتها الحضارة وشوكة الملك وتسموا أولئك الأمراء ومن نسب اليهم بالرومان ولما رأوا قوة جارتهم واتساع فتوحاتها أسقطوا جميع ملوكهم المستبدين واتحدوا بمملكة واحدة تحت رئاسة جمهورية.

وحيث أن دولة قرطاجنة بلغت من العظمة والقوة الى درجة النهاية والشيء اذا بلغ لحده رجع لضده وكانت دولة الرومان دولة شابة آخه في عموان التقدم أعلنت الحرب على جارتها وجمعت قوتها وجندت جودها وسافتها على دولة قرطاجنة وذلك سنة 264 قبل الميلاد تحت رئاسة رجل من أشهر قوادها يسمى ريكولوس فهجم على صقلية وانتشب الحرب بين أسطولي الدولتين في البحر وبين العساكر برا واستمر الحرب بينهما ثماني سنين وفي سنة 256 انهزمت أساطيل القرطاجيين واستولى الرومانيون على صقلية وانسحبت العساكر نحو افريقيا فتزلوا بمرسى قلبية وتوجهوا للهجوم على مدينة قرطاجنة والتحم القتال بين الفريقين انهزمت فيها عساكر قرطاجنة في عدة جهات وعدة مواقع وأخيرا جمعوا قواهم وجندوا جنودهم تحت رئاسة رجل يوناني انخرط في عساكرهم يسمى شاقطيف فأظهر من البسالة والاستماتة مع ما عنده من التدبير والمكائد الحربية ما أعانه على استئصال عساكر رومة فهزمهم في محل قرب رادس ووقع قائد العساكر الرومانية أسيرا في قصته وهو ريكولوس المتقدم الذكر فقتله القرطاجنيون سنة 255 قبل الميلاد، ثم جمعت جيشا عرمرما تحت رئاسة رجل يسمى عملقار من أشهر فواد لعساكر القرطاجية لاسترجاع جزيرة صقلية وانتشب الحرب بين الدولتين ست سنين دافعت فيها العساكر الرومانية مدافعة عيصة وفي أثناء ذلك جمعوا أسطوهم وقطعوا المواصلات على القرطاجنيين بحرا فاضطروهم ذلك الى تسليم صقلية لهم بموجب صلح انعقد بين الأمتين وذلك سنة 241 قبل الميلاد.

ولما حصلت قرطاجنة على الصلح اطمانت ورأت من حسن التدبير الاقتصادي التفتيس من أرزاق العساكر، ولما كان أولئك العساكر اما يحوصلون معا مع الحرب للحصول على ثلث الأرزاق ساءهم ذلك التفتيس وهاجوا ثائرين على الدولة فجندت من البربر خيلا ورجالا تحت رئاسة عملقار وقتلهم فصددهم وقتلهم أثرهم الى أن حاصروهم بمضيق بين جبلين بطريق القبروا وقطع عليهم أسباب المواصلات حتى بعد ما عندهم من الراد ثم خرجوا من ذلك المحل فاستأصلهم عن آخرهم وقتلهم شر قتلة فانتشب هذا القائد شهرة بما له من المعرفة بأساليب الحروب التي حصل بها على الانتصار وانتشال دولته من مخالب الثورة التي أدركتهم على وهن وفشل عقب الحرب الرومانية وحصل على وجهة واعتبر في قومه وقد أدرك شاقف فكره أن حياة الدول وقوام هيكل القوة والنفوذ فوضع التنظيمات العتيقة والتراتبية الحربية المقيدة وان يستعمل رؤساء البربر ويسلح فيهم سبيل الرفق والعدل ولولا ما سبقت به الأقدار لدولة قرطاجنة من لتقهقر والادبار لأحدوا بساعد هدا لرحل الشهير ولشهر الخطير وأعانوه على نوابها الحسنة نحو دولته وأمتة لكن لسوء الحظ حملهم سوء النية وفساد الطوية بسندن عن فساد مواظهم وخوفهم من عدم ادراك اغراضهم لشخصية التي هي الداء العضال المؤدي لمرض الدول وموتها لأنهم خافوا بسبب جريان التطيحات العدلية والتراتبية لمراجعة قوات متافعهم الذاتية وعدم ادراك اغراضهم الشخصية فجعلوا مؤامرة في ابعده بمكيدة حفية حيث اهم لا بقدرول على التحاهر بمعارضه فحسوا له فتح بقية اسانبا وما جاورها من محالث أوربا فجهر جيشا كثيفا من البربر وسار نحو أوروبا فكمّل فتح بقية اسانبا وتوغل في جنوب عاليا وهي بلاد فرسان ومات هناك وأجمع الجند على تقديم صهره اشتروبل فتقدم في دول أوروبا فقامت لذلك دولة الرومان وقعدت وحشيت عاقبة تقدمه فهددت دولته بهجوم على قرطاجنة وجهزوا أساطيلهم للرحف عليها فأوحشت سرا عسى أن يجهز على بقية حياتها وبادرت لعقد صلح بينها وبين الرومانيين معاده أن لا تتجاوز قرطاجنة نهر امبرة الذي في حدود اسانبا فاسترجعت جودها وذلك سنة 227 قبل الميلاد ومات بعد ذلك رئيس الحند اشتروبل وقام مقامه شاب يدعى هسعل اس عملقار لمقدم ذكره وكان شهيا حازما مشهودا له في كتب المؤرخين بشات الجأش والرسوخ في القون الحربية ويعدونه من أشهر رجال نذب مثل اسكندر المقدوني وبابليون وبوبارت ويدعونه لافرنج أنيال سون مشددة فنقص العهد وساق حيشه نحو نهر امبرة واجتازه وعول على محاربة الرومان في بلادهم فأعلنت رومة الحرب على قرطاجنة لنقصها العهد وساق هنيعل جنوده المجندة بقطع جبال البريات وسار مر على حو في بلاد فرسان فاحرط منهم عدد عظيم في عسكره لشدة عدوانهم للرومان فتوغل في شمالي ايطاليا ومات من عسكره عدد وفير من لرد وانتصر على الرومان في جميع وقائعه وأشهرها واقعة كانة مدينة بالجانب الشرقي من ايطاليا فاستأصل من جنود الرومان نحو سبعين ألف بين قتيل وجريح وذلك سنة 216 قبل الميلاد ولولا تقاعس دولته على امداده وبقطاعه شريدا فريدا وراء البحر لم تقتر به عريمته على التقدم في بلاد العدو ولدا لما رأت دولة الرومان شدة اجتهداه وقوة حاشه وحشو بأسه عزموا على سوق أساطيلهم الى قرطاجنة لتضطر دولته الى ستر حاعه وجهروا جيشا تحت رئاسة قائد يدعى شيبو الأكبر وأزلوا عساكرهم قرب بنزرت واتيكة واستولوا على تلك المواقع الحربية وسرحوا جنودهم في تلك الجهات فلما رأت قرطاجنة ما حل بمدنها استرجعت قائد جيوشها الشهير هنيعل فعحل الاوية بجنوده واستعرت الحرب بين الفريقين وانقسم البربر قسمين قسم تحت رئاسة امير يدعى ماسيسيبا فانظم الى عساكر الرومان وقسم تحت رئاسة امير يدعى صفاقس انظم الى عساكر القرطاجنيين والتقى الفريقان بمحل قرب وادي سليمان فانصرت عساكر الرومان على القرطاجنيين همة رجال بربر وشهامتهم اذ ان البربر انتهزوها فرصة لما وعرو في صدورهم من الخقد على القرطاجنيين بسبب ما سلوكه فيهم من سيرة التعسف والظلم كما هو الشأن من أن لملطوم بتريص بظالمه لدوائر حتى سنحت الفرصة وثب عليه وثوب المفترس وهذه الهزيمة حاول قائدهم ان

يرتب نظمات عسكرية وتراتب ادارية ولم شعث دولته فأوجست دولة الرومان خيفة وسادرت لعقد صلح غايته تمزيق ملك قرطاجنة وتفريق اشلائه فصربت عليهم غرامة حرية باهظة واشترطت عليهم تجريدهم من السلاح وتنزلهم على ممالك اسبانيا للدونة الرومانية واعتراهم باستقلال البربر من عمالة الجزائر والجهات الجنوبية والوسطى من عمالتي تونس وطرابلس وابعاد القائد هنيبل الى بلاد نطاكيا بأرض الشام فرضخوا هذه الشروط القاسية وطأطأوا رؤوسهم لما حكمت به المقادير الإلاهية وذلك سنة 201 قبل الميلاد ثم ان ماسيسا حليف الرومان بمقتضى المعاهدة التي حصلت عليها جهات البربر من الاستقلال استفحل امره وضم الى ملكته كثيرا من لقبائل البربرية كما ظهر بالمغرب عدة أمراء مستقلين عن البربر بموجب ما حصل من لوهن لدولة قرطاجنة حتى صاروا يشنون الغارات عليها في بلادها ولم يبق تحت نفوذها الحقيقي الا الجهات الشمالية من المملكة لتونسية فقبل صبرها وعزمت على دفعهم وحيث ان الرومان رأوا من مصدحتهم السياسية تقليل نفوذ القرطاجيين وتقسيم ممالكهم وتقسيم لبربر أمراء لادخال التنافس بينهم كي يتلعوهم عند سوح الفرصة وبحصول الحرب بين البربر والقرطاجيين أرسلت دولة الرومان احد السياسيين المسمى قاطون من مشاهير زعمائها لمشاهدة حل لبربر والقرطاجيين وما يحسن سلوكه من الطرق السياسية الكافة لمصالح دولته فما حل بقرطاجنة وعين ما استرجعته من الثروة ولقوة ارتاع لذلك وعحل الاوبة وعقدوا مجلسا للتفاوض فيما يتخذونه من الوسائل لقطع دابر القرطاجيين فأشار عليهم الرجل لشهير قاطون بأن مصدحة الرومان ليس في تقسيم لبربر وتقليل نفوذ القرطاجيين فقط بل انها هي في تحريب قرطاجنة ولما رأوا استعداد القرطاجيين وسوقهم خيوشهم على البربر اتخذوها ذريعة لتكث العهد وساقوا جيشا جرارا على بلاد قرطاجنة سنة 146 قبل الميلاد ولما أخذ ثأر البربر ظاهرا وحماية لدمارهم فلما سزلت عساكرهم بأتيكة ارتاع لقرطاجيون من مقاومة لبربر ودفع لبربر يمين وأنشروا عقد الصلح فاقترح عليهم القائد الروماني شيو الأصغر تسليم أسدحتهم وأسطولهم والخروج من مدينة قرطاجنة الى دواخل البلاد فامتعوا من ذلك وأخذوا في الاستعداد لحرب الرومان فثارو يدا واحدة وبادروا لبناء الأحفان وتعتة الأسلحة ونأهبو حرب الرومان ومدافعهم مدافعة حرم واستماتة ولما تقدم الرومان حصار قرطاجنة وقطعو عنها سبيل المواصلات برأ ومحروا نفذ ما عندهم من لراد وصاق درعهم ووهى عزمهم فقوي عليهم الرومان ودخلو قرطاجنة عنوة واستمر بها القتل اذ قتل منها نحو ستمائة ألف نفس وخربتها العساكر بمقتضى الادب ثم من حكومتهم وأصر موا فيها لبربر فأصبحت تبت المصير المتمصرة ثرا بعد عين وذلك سنة 146 قبل الميلاد وقد اكتشف في سنة 1316 بحرية لذي البحث على الآثار القديمة بالخرابات القرطاجية على تراب رمادي وبه قطع من حديد معوجة وأخشاب بها أثر حريق وأحجار بها كتبة دلت على أنها بقية المدينة القرطاجية قبل عمارة الرومان لها ثم ان ماسيسا البربري بعد انتصاره على صفاقس وضم بعض لعمالات الشرقية له وكانت مملكة المعرب بيد رجل يسمى بيكا حصل ماسيسا على ملك ضخم ونفوذ قوي غير أنه مات قبل استيلاء الرومان على قرطاجنة وعند استيلاء الرومان وتحريب قرطاجنة قسموا مملكة ماسيسا بين أولاده الثلاث مسببه وقلوسة ومنستبال وظاهر هاته القسمة اصلاح دت البين وبين لاخوة ماسيسا من اليد عده لانتصاره لهم وباطنها مرعاة لقاعدة الحكمة السياسية وهي قولهم أقسم تحكم ثم توفي الاحوان وحلصت جميع المملكة لمسيبة وبقي برهة من الزمان ثم قسمها بين ولديه وابن أخيه جوعرطة أو يوعرطة خلاف في النطق بالخرف الأول وبقي جوعرطة وأساء عهد كل واحد مستقل بما تحت يده بدون واسطة الى أن بدا لجوعرطة ان ينفرد بالملك دون اني عمه فسعى في قتلها واستأثر بملكها فتأثرت من ذلك حكومة الرومان لما هو مناف لمقصدهم السياسي كما تقرر وجلست جوعرطة الى مدينة رومة واحالته على المحاكمة لدى مجلس الحكم فأرسل الحكم وحكموا ببراءته من قتل اني عمه فعاد لبلاد غانما سالما ثم قوي أمره وعظم شأنه وظهر ما كانت تخشاه حكومة الرومان من التفاف لبربر على ملك واحد، ولما قتل من الرومان القاطنين بأفريقية عددا وافرا ساقط عليه حكومة الرومان عساكره ونأجح الحرب بين الأفريقيين فهزهما أولا ثم جهرت جيشا كثيفا تحت راية أحد قوادها المسمى مريوس فانهمز جوعرطة والتحا الى المعرب الأقصى تحت حماية صهره الملك بوحوص فلما خشي هذا الأمير على مملكته أن تعبت بها أيدي الرومانيين قبض على جوعرطة وسلمه لحكومة الرومان وذلك سنة 106 قبل الميلاد فأودعته السجن حتى مات جوعا وقسم الرومان حسب قاعدتهم بلاد أفريقية فأفسحوا الى بوحوص في مملكته جزاء له على حسن صنيعه معهم فصارت حدود مملكته الى بحاية وقسموا الباقي بين ابني أخ جوعرطة وصارت أفريقية بين ثلاثة أمراء من لبربر إلا أن الرومان بعد تحريهم لمدينة قرطاجنة واستيلائهم على مدن أفريقيا ظهر لهم أهمية موقع قرطاجنة الحربي فأعادوا ببناءه بعد تحريهم بعشرين سنة ليحصل لهم بذلك التسلط المعنوي على بلاد أفريقيا جميعها ولما رجع مريوس الى رومة تلقته دولته بما استوجبه من التعظيم والاحلال بما حصل له من الانتصار على الملك جوعرطة وحزبه فطمحت نفسه لرئاسة الدولة وكان رئيس مجلس العامة ونارعه رجل يسمى سيلاء رئيس حزب الأغبيان وقد شاركه في الانتصار على لبربر وله انتصارات عديدة في مواقع أخرى فحصلت بذلك حرب داخلية بين الحزبين وامتدت الحرب الى أفريقيا وتشيع كل أمير الى حرب من حزبي الرومان فكان هياسال منتصرا لحزب سلا ويارباس منتصرا لحزب ماريوس فزحف يارباس على مملكة هياسال وهزمه وقتل ثم ضم ما بيده من الأوطان الى مملكته لكن ماريوس أهرم حزبه برومة والتحا الى أفريقيا ثم عاد ثاني

لرومة وأشهر الحزب ثانيا كما اسعرت نار الحرب بافريقيا أيضا فانتصر حزب ماريوس بافريقيا ورومة لكنه مات فهدأت الفتن بافريقيا وذلك سنة 86 قبل الميلاد، وتحددت بين أحزاب الرومان بأوروبا فحزب انتصر لرعيم اسمه يانيون الذي فتح بلاد الشام وحزب انتصر لرعيم اسمه يوليوس الذي فتح أرض فرنسا وانكلترا وكان يوليوس من أشهر رجال الحرب والسياسة فانقسمت برابرة المغرب أيضا الى قسمين ابحار كل قسم لرعيم من رعيمة الرومان وآل الأمر الى انتصار يوليوس على عدوه وذلك سنة 46 قبل الميلاد وانفرد برئاسة الدولة وما زاد حتى ودع قتل عيلة برومة وتولى رئاسة الدولة حفيده أوقطايوس ونازع بعض الرؤساء فانتصر أوقطايوس عليه وانفرد بالسلطة الرومانية ومن حينئذ لقب أوغسطس أعني العظيم وذلك سنة 27 قبل الميلاد وعلى عهده سقطت الجمهورية الرومانية وانتقلت امبراطورية استبدادية وعلى عهد هذا الامبراطور ولد المسيح عليه الصلاة والسلام.

فصل في الحكومة الامبراطورية

قد سبق أن دولة الرومان جمهورية تدير شؤونها السياسية والادارية بواسطة مجالس شورية وبعد استيلائها على الدولة القرطاجية بمعونة رؤساء البربر وبما أن البربر إنما حميهم على اعانة الرومان ثقل وطأة القرطاجيين فكان غاية أمانهم حب الاستقلال والخروج من تحت شرك السلطة الأجنبية ولذلك استقرت نار حرب في الممالك الافريقية ولم يتمكن الرومان من رعاها الا بعد معاناة شديدة ووقائع عديدة وقعت بين قتل البربر وأحزاب القواد الرومانية حتى تمكن أحد قوادها يوليوس من أعدائه وانتصر عليهم وعلى بقية الأحزاب واستأثر بالسلطة لكنه ما راد حتى ودع لأنه بعد قليل قتل غيلة كما سبق وتولى حفيده أوغسطس وتلقب بالقيصر وسقطت الجمهورية ورسخ قدمه في الدولة وعظم شأنه وارتفع سبطانه وكثرت فتوحاته حتى امتدت الى البلاد المصرية وكانت للدولة اليونانية منذ افتتاحها اسكندر المقدوني سنة 332 قبل الميلاد وحمل فعدتها الاسكندرية وبعد موته واقتسام قواده للملكة استولى عليها أحد قواده المسمى بطليوس الأول وانتشأت الدولة بطوسية حتى آلت الى المرأة المسماة كليوباترة آخر ملوك اليونان وانحرفت سيرتها فأرسل عليها القيصر الروماني أحد قواده بجيش كثيف لفتح بلادها فاستأثرت بها وشغفته حبا وكانت فائقة الجمال فتزوجها ثم جهر بالقيصر جيش آخر وساقه على بلاد مصر ولما أحست بزوال ملكها ناولت ثديها الى حية فنهشتها وماتت من حيثها.

قال الشهيد بريم في صعوة الاعتبار : وقد رأيت صورة المرأة عدة أماكن بأوروبا والحية بثديها وانقرضت بموتها السلطة اليونانية وخلفتها الدولة برومانية فكان من ممالك القيصر المذكور جميع البلاد الافريقية من شطوط البحر الأحمر الى البحر المحيط الغربي وغالب بلاد أوروبا وبعض سيبا واشتهر هذا القيصر وساعده السحت وخصعت له البلاد ودانت له العباد فاجتهد في تعمير الأراضي الافريقية لما أدركه فيها من الاهمية وبدل جهده في استخراج كوزها الطبيعية فحلب لها الآلاف من الرومانيين العارفين بالطرق الاستعمارية ومنحهم الأراضي الفسيحة فشرعوا في تخطيط المدن وتشبيد المعقل وحصون وتساقوا في ميادين العمران بعراصة اليريتون والحراثة وتفجير المياه وتقسيمهم بطرق هندسية فامتسعت ثروتهم وتقاطرت الأمم الرومانية على البلاد الافريقية واستمحر عمرانها فانتهى بها العمران الى مدينة نقطة وصارت في أواسط القرن الثاني بعد المسيح يعرفون عنها بمحزن حبوب رومة واستمرت عناية القيصر اغسطس بالممالك الافريقية والقيصرية من بعده الى حد وفود القيصر اديانوس بنفسه الى بلاد افريقيا في أوائل القرن الثاني بعد المسيح وعلى عهده أقيمت عمارات مهمة منها حناية قرطاجنة لثي حلب فيها الماء من مسافة بعيدة ومنها قصر الحم الذي هو أحد المعامل الجسيمة وعمايت الدنيا العظيمة وغاية أمانهم ومطمح أنظارهم في جمع المياه وحصرها في منحدر لجان وتوزيعها على المراعي لكثرة اعتنائهم بالأشغال الزراعية حتى أن الحنايا التي جلب الماء بواسطتها المسماة بالكتب القديمة بحايا اقرش وقد انعدم أكثرها كانت تمتد على مسافة تسعين ألف متر وأما الحنايا الموجودة الآن القريبة من باردو فقد أصبحت على عهد حمودة باشا ابن مراد الذي أشأ دار الباي بتونس وهي سراية المملكة الآن كما اهتم قياصرة الرومان بحدوث الطرق لصاعبة التي هي الوسيلة العظمى لاحتكاك العاصر وتبادل البضائع فأحدثوا طريقين عظيمين أحدهما موصل من عنابة الى طرابلس العرب والثاني من بلد نيسة الى قرطاجنة وتفرع من هذين عدة طرق رابطة لبلدان افريقيا ببعضها ولا يخفى أن الطرق للصناعية زيادة عما ينشأ عنها من نجاح الأعمال لزراعية والتجارية ها فوائد سياسية اذ هي الواسطة الكبرى لضبط الأعمال واستكشاف أحوالها بسرعة وتسهيل الحركات العسكرية وهذه الطرق لم تنزل بقية آثارها الى الآن وما أحدثه القرنساويون من الطرق إنما هو توسعه أو اصلاح لما اندثر من الطرق لرومانية وقد اعتنوا بعراصة اليريتون ولو أن ابتداء غراسته في عهد الدولة القرطاجية لكن اتسع نطاق غراسته على عهد الدولة الرومانية حتى صار الركب يسير في ظل شجر اليريتون عدة مراحل لأهم أدركوا أن الجهات القليلة الذين يشغلونها باليريتون مع ما ينشأ عن ذلك من الثروة عظمى وقد بلغت حدها في البلاد الافريقية يدل على ذلك ما صالح به سكانها الأمير عقبة بن نافع من قناطير الذهب المقتطرة ولما سأل بعض العرب أحد سكانها عن أسباب هذه الثروة العظمى أجابه بإشارة خفيفة الى أن ذلك سببه شجرة اليريتون وذلك بأن نكت الأرض بسابته واستكشف قلب حبة اليريتون وبسط يده كاشفا له عن ذلك مشيرا الى أن هذا الغنى سببه اليريتون وإن كان الكسب غير منحصر في

ذلك إلا أن أغلب الأسباب شجرة الزيتون ويدل على ذلك كثرة المعاصر في جهات المملكة الخربة فإنه مهما عثر على بعض خرابات عتيقة إلا ويجدون آثار المعاصر فقد بلغت غراسته الى جهة نقطة حسبا يدل على ذلك بقية جذور الزيتون في باطن الأرض عندما يعرض حفرها وآثارها المعاصر بين نقطة وتوزر بالجهة الجنوبية منها وكذلك بين تورر والوديان فصلا عما بقيت آثاره بين قفصة وصفاقس وبينها وبين بلاد الفرائشيش وقد وجهت دولة فرنسا عناية لها لحياء ما اندثر من عمران بلاد افريقيك عند تخريب الكاهنة البربرية ها حسبا يأتي عند فتح المسلمين هذه البلاد .

فصل في أسباب انحطاط السلطنة الرومانية

لا جرم ان الدولة الجمهورية الرومانية كانت فاتحة أعماها في ظهور سطوتها ونشر اعلام سيطرتها وقوة شوكتها فتح البلاد القرطاجية وكان ابتداء الحرب سنة 241 قبل الميلاد باستيلاء الرومان على صقلية والثاني في سنة 219 الى 202 قبل الميلاد وانتهى باستيلاء الرومان على مستعمرات قرطاجنة بإسبانيا وجزائر البحر المتوسط والثالث في سنة 149 الى سنة 146 وانتهى باستيلاء الرومان على قرطاجنة وتخريبها وضم بقية البلاد الافريقية الى مستملكتها ماثيا وما انتهت هذه الحرب لثلاثة إلا وأصبحت هذه الدولة الجمهورية الرومانية ناشرة اعلام سلطنتها على كثير من الممالك الواقعة على ساحل البحر الرومي بحيث لم تقم الدولة لامبراطورية إلا وتحت سيطرتها اكثرا وفرنسا واسبانيا وجزر البحر المتوسط واهريقيا واليونان وشبه جزيرة البلكان والأناصلي وبلاد الشام وأضاف القيصر اعسطوس الى مستعمراته البلاد المصرية وقام بعده قياصرة سلكوا سبيل الاستبداد ولم يشبهه من بعده من الملوك القيصرون نمدديوس سنة 80 بعد المسيح فانعمس في اللهو والطرب وأحد بتفنن في الفانيات وأعرض عن تدبير شؤون مملكته وأوكنها في رؤساء لعساكر الدين هم دخلاء في الخنسية لرومانية دهم من لشعب الدخيل تحت حكمها بالقوة الجبرية ومع كونهم دخلاء لم تدعهم الى السكون واهدؤوا والتنظييات العدلية والمساواة في الحقوق بين لراعي والرعية التي هي القوة الطبيعية في الخضاع الأمم ومتراح انعماس بل لما أوال السيرة الاستبدادية بتسلط الرئيس على امرووس واهمال التنظييات الحربية واسسوا الحور والضعف من رئيس الدولة تاقت نفس كل رئيس الى السيطرة والاستبداد كما وقع للملوك بيبي العداس حيث قلدوا أمور الدولة للأعاجم واشتعلوا باللهو فكان ذلك سببا لخروج الملك من أيديهم وزاد في الطين بلة هياج لقنائل لبربرية البازحين الى الجبال والمستعمرات وقيام الأمم الجرمانية من الواندال والقوط فانتهزوا الفرصة عند اختلال السلطنة الرومانية للاحجاز عليها وأعدت أمة الواندال للحصول على مقصدها وجود أغلب رؤساء الحند منها يولون ويعزلون فصارت خطة لامبراطورية تنع بالمرء لم يحتدره الحند وكثير القتل والخلع ورد اختلال الأحوال اصطهادا لقياصرة لم يعتق الديانة المسيحية حيث انها فشلت في حلال هذه لمدة فشوا كبير مع أن المسيحيين في أنفسهم تفرقوا شيئا فكثر بينهم الخدال وقوي البلبال ونشأ عن ذلك في الأحوال اختلال الى أن آل الى تلاش وضمحل الى الله المثال وموجب هذا الحلل مع اتساع اطراف المملكة ظهر للامبراطور قسطنطين أن يقسم السلطنة الى قسمين عربية وشرقية ليكون له شريك في الملك يستعين به على صد عداوت القائل الجرمانية واعادة الديانة الوثنية ومقاومة المسيحيين بالسلطة القهرية فقسمها ودلوا في سنة 326 مسيحية وشدد في اصطهاد المعتنقين للديانة المسيحية الى أن آل أمر السلطنة الشرقية الى قسطنطين الأكبر فدحل في لدية الصراية وأخذ بناصر المسيحيين وحول قاعدة سلطنته الى قسطنطينية وذلك سنة 330 بعد المسيح وكانت تسمى بيزنطة وتتصر الامبراطور مع رجال الدولة وصيرورة الديانة ديانة الدولة الرسمية أثرت في سياسة البلاد الافريقية تأثيرا عظيما، وذلك انه فضلا عن دخول غالب لشعب الروماني في الديانة النصرانية اعتنقها كثير من البربر بمساعي الرهبان ومع ذلك فإن البربر وان كانت ديانتهم الأصلية وثنية فإنهم كانوا يهرعون بعناية الحرص والرغبة الى الدخول في الديانة النصرانية لما كانوا عليه من الاضطهاد تحت نير القهر والاستبداد واللاهة والاستعباد والديانة المسيحية تأمر بالعدل والرفق والمساواة في الحقوق والأعراض عن رخرف الحياة الدنيا فكان دخولهم في الديانة المسيحية حاجر حصينا بينهم وبين بران المتسلطين الذين كانت تأكل أطرافهم فاستراحوا تحت ظل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فدخل الكثير منهم في الديانة المسيحية طوعا وقول بعضهم أن البربر اتخذوا علامة يتميز بها المسيحيون على الوثنيين وهي وشم على شكل الصليب بين أعينهم ولا تزال هذه القعدة في عقبهم لهذا العهد وهم لا يشعرون ليس بشيء فإن هذه الدعوى مردودة من وجوه .

الأول أن هذه العلامة ان كان اتخذها جبر من المتسلطين فقد ذكر المدعي نفسه ان دخولهم في الديانة المسيحية طوعا بل ضد ارادة المتسلطين وحتى لو فرضت انه جبري مع بعده كما علمت فقد ذكر المدعي نفسه أن الديانة المسيحية مبنية على الرفق واللين وعدم الضغط، فلا داعي جيتذ الى هذا الاقتراح وان كان اتخذها اختياريا فما الحامل لهم على تعذيب انفسهم باتخاذ علامة تكون شعارا على اتصافهم بديانة تأمر

المعروف وتنتهي عن المنكر مع خفافها على بعد فهلا اتخذوا شعارا من جنس الملوس يدل دلالة واضحة على البعد مع زوالها في أي وقت شاء فأبي علامة أوضح وأبين في هذه الظروف بين الأريايين وغيرهم من اختلافهم في اللبس .

الوجه الثاني ان الوشم غير مختص بهذا الجيل فإنه موجود عندهم وعند غيرهم من الأمم كأمة الفرس والعرب وحتى الروم بل ان العرب يتمدحون به في اشعار الجاهلية بكثرة ومن ذلك قول طرفة :

خولصة اطللال يبرقة تهمل
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وكقول زهير :

ودار لها بالبرقمتين كأنها
مراجيع وشم في نواشر معصم
لوجه الثالث ان القبائل التونسية لهذا العهد ترى منهم الكثير بهذا الوشم مع أن التحقيق في نسبهم أنهم من العرب الداخلين أيام المعربين باديس مثل المهامة الذين يرجع نسبهم الى سي سلم ودرديد وبني يريد الذين يرجع نسبهم الى سي هلال فون في بني يزيد بطى يسمونهم لأولاد ديب يعي دياب بن غالب الذي اشتهر بالوقوف الحربية بينه وبين حليقة الزناتي كما أشار له بن خلدون ولعله في القبائل العربية وكذلك عرب طرود الذين هم من عرب اليمن وأولاد تليل الذين هم من ذرية سيدنا عثمان بن عفان وغيرهم ممن لا يحصىون كثرة فهؤلاء كلهم نجد بينهم من يتخذ لوشم المذكور وليس من ليرى في شيء حيث أن القبائل سكان الخيام أشد محافظة على أسامهم بخلاف احواسر فإنه يسرع اليهم احتلاط لأسباب بمقتضى تحال الدحيل نحلة أهل البلد الوافدين عليها وتداخل المصاهرات بينهم حتى تكاد أن لا نجد من ينتسب لفسب مخصوص على التحقيق فانضح بما تقرر أن هذه الدعوى لا تنهص لمذيعها والله أعلم بعبه واليه الأمر من قبل ومن بعد

فصل في تسلط الواندال على افريقيا وانتزاعها من الرومان

هذه الأمة حدى غنى لذين هاجموا دولة الرومان عندما أدركها الهرم وتزعزعت أركان مذهب وذلك أن القبائل الجرمانية التي تقاطرت على أوروبا في أوئل القرن الثالث بعد المسيح واستخدمت رجائها بصفة حشود للدولة الرومانية ويتمكنهم في أعماق السلطنة صارت السلطة لامر صورية اسم بلا مسمى ولم تزل السلطنة في انحطاط الى ان سقط القسم العربي منها نهائيا بعد أن احتلت قبيلة الانكل والسكسون جنوب اسرطانيات فسميت بكثر ايعي أرض الانكل وقبيلة الافريج نزلوا أولا بالشمال الشرقي من غلبا ثم استولوا على جميعها فسميت فريجة أو فراسا وقبيلة الواندال نزلوا جنوب فرنسا وجنوب اسبانيا وبهم تسمى الأندلس يعي بلاد الواندال فأسسوا بالقسم العربي من أوروبا مملكة سبت اليهم من ذلك الوقت فصارت تعرف بأندلوسيا وبها هم من سابق للاحترط في سلك العساكر الرومانية واحتكاك العصر بعضها تنحلوا منهم التطبيات الحربية وادارة الأمور السياسية وادوا بصب أحد رؤسائهم المسمى جنصرين ملكا عليهم فشمروا على ساعد خد ورتب حيدا عتيدا وأخذ يلتقم أطراف الممالك الرومانية الشاسعة فرسخت قدمه وقوي صيته ، وبينا دولة الواندال الشاة أحدثت في اسمو والدولة الرومانية أحدة في الانحطاط حتى استوى وانضياقوس على عرش الامبراطورية الرومانية العربية سنة 422 بعد المسيح وكان في السادسة من عمره فقامت أمه بتدبير الملك وكانت تحت أمر أحد رؤساء الجند المدعو ايطيوس فتأثر من ذلك الكونت بونيفاس الوالي العام بافريقيا حيث كانت بينه وبين ذلك الرئيس حقد شخصي ونف من لقاء تحت سيطرته كما وقع للمعز س باديس حين انف من وزير القاطمي وخلع طاعة لعبيدين فكانت عليه القاضية كما يأتي ثم أن الكونت بونيفاس حاول الاستقلال فأرسلت عليه دولة الرومان حيث فهرمه ثم توقع عادة الكرة عليه فاستنجد بملك الواندال فكان ذلك سبب حدلاه والضربة القاضية على أم رأسه فنتهز الملك جنصرين هذه الفرصة الثمينة التي هي الصالة المشودة ولدة المفقودة وبادر بالزحف فأحار عسكره الى سواحل المغرب الأقصى ووطنجة بكلاكله فعث في طريقه بصروب الفساد وتخريب البلاد وسفك دماء العباد ولما رأى بونيفاس ما حل ببلاده من التدمير ندم ولات حين ندم وأحد في الاستعداد لطرد الواندال وتقدم نحوهم في جيش كثيف فتهزم والتجأ الى بلد عدة فحاصرها الملك جنصرين واستولى عليها وفر بونيفاس وذلك سنة 430 مسيحية وفي أثناء هذا احصار مات بلد عدة ، صاراوعستان وهو من مشهري رؤساء الديانة المسيحية بافريقيا وفي سنة 434 هاجم جنصرين بلاد افريقيا فاهزم بونيفاس وأرسل قيصر الروم جيشا لايقاف الواندال فأظهر جنصرين الخضوع ورصي بالصلح على أن يدفع الواندال حراحي لدولة الرومان ثم لم يلبث إلا ريثما راجع أمره وجمع جوده وأنس الاطمشان من دولة الرومان فنقض العهد ورحل على قرطاجنة بجوده فدخلها عنوة وبذلك انقضت السلطنة الرومانية من بلاد افريقيا وذلك سنة 439 بعد المسيح ودامت الى سنة 534 وبستيلاء جنصرين على افريقيا تأسست بها أول دولة ملكية وراثية لأن بلاد افريقيا كانت اول عمراتها يسكنها البربر وكانوا شعوبا وقبائل لا يعرفون الملك فسم تكن بها دولة منظمة ثم أسست الدولة القرطاجنية بيد الفينيقيين وكانت حكومة جمهورية ثم صارت مستعمرة رومانية ثم أسست بها دولة الواندال دولة مستقلة قاعدتها قرطاجنة دامت اربعمائة وتسعين سنة توارثها ستة ملوك من عقب جنصرين مؤسس هذه الدولة فإنه استولى على عرش الملك سنة 439 مسيحية وسلك مع البربر طريق المجاملة والرفق فاتخذ منهم حندا وأفاص عليهم

من احسانه ما جذب به قلوبهم فكانوا أقوى مساعد له على توطيد سلطته وقهر الرومان وكان الواندال متذهبين بمذهب اريوس الاسكدراني الذي يرى انكار الثلاث وأن المسيح مخلوق فاضطهد نصارى افريقيا وعمد الى أسقف قرطاجنة وقسوسها فربطهم على ألواح ورمى بهم في البحر وكان الواندال قد اتخذوا أسطولا ضخما على عهد الملك جصرين فاستولى به على مالطة وسرداية وصقلية وكروسيكا وأخذ يشن الغارات على بلاد ايطاليا فصادف ثورة في إيطاليا نشأت عن امتزاز مامسموس لسرير الملك وثار به العامة برومة فانتهر حنصريق هذه الفرصة وزحف بعساكره الجزاره على مدينة رومة ودخلوها عدوة فعاشت تلك الجنود البربرية والجرمانية في تلك المدينة الرهرة لقاهرة لمدينة قرطاجنة بالهدم والحرق سنة 146 قبل المسيح فعادت الكرة عليها سنة 455 بعد المسيح وذلك بعد ستائة سنة فرعرت أركانها ودمرت حصونها وبقيت العساكر البربرية تدوسها بأقدام الالهانة أربعة عشرة يوما ولما مات الملك حنصريق وخلفه هونريق في الملك وذلك سنة 477 سار سيرة خلفه في اضطهاد نصارى افريقيا الذين ليسوا على وفق عقيدتهم فأمر بأبعاد خمسة آلاف من الرهان الى مدينة الكاف ثم نفاهم الى الصحراء واغتصب جميع كنائس الكاتوليك فكانت هذه السياسة الحرق مؤثرة في الاستعمار الرومي فأخذ في تناقص وتأخر إلا أن دولة الواندال رفعت عن البربر ثقل الاستبداد ووطأة الاستعباد فاسمعت فيهم روح الحياة القومية وطمحت الى الامال السياسية وقد اخذت لسلطة الواندالية في الانحطاط سبب طموح البربر للرياسة وتأخر لاستعمار الروماني باضطهادهم وتأخر موارد لثروة وانعكاس اليد الحكيمة في ضرب الترف واقلاب النعيم وأعرضهم عن التطبيلات الحربية والتراتب السياسية اللتين هما حياة الدول فاصمحت منهم تلك الشهامة الطبيعية وانعكست لضدهم فكان الملك لا يحبه إلا مرشح او حديقة ووجه أبقية فتطاول البربر الى ما تحرك في نفوسهم من حب الاستقلال فتكونت لهم محال وأمرأ بالمغرب الأقصى والأوسط الواندال الا المملكة التونسية وبعض لساوأل الشمالية من عمالة الجرجر ثم مات هونريق سنة 484 وخلفه عونداموس سنة 497 بعد المسيح وخلفه شراسيموند ثم مات سنة 533 وخلفه هيلويق وكان ضعيف النفس ناقص الرأي فظهر له التزلزل الى قيصر الروم بالسلطنة الشرقية فبلغ به ذلك الى درجة شبيهة بالتسوية والانحطاط فاستنكف رجال الدولة ونادوا بحلعه وذلك سنة 532 وأحس ان عمه حاليار وكان قيصر الروم يوستينانوس الشهير يترصد الدوائر للوثوب على دولة الواندال واعادة البلاد الافريقية بدولة برومانية فانتهرها فرصة وقرح على الواندال اعادة ملكهم الأول فأقمو من ذلك وأخاموه حوا عبيدا فأعلن القيصر عليهم الحرب وساق جنوده المحدة فدارت الدوائر على الواندال وذلك سنة 533

فصل في تسلط الروم على بلاد افريقية

من المعلوم ان هذه الأمة فرع من دولة الرومان وانما حسن الكلام عليها بانفرادها من وجوه :
 الأول : أن الدولة الرومانية انقسمت الى شرقي وغربي كما تقرر وكانت دولة الروم مفردة تحتها القسطنطينية .
 الوجه الثاني : أن باستيلائها على ما كان بيد الأمة اليونانية من الأناصول وشبه جزيرة البلكان وبلاد الشام ومصر قد اكتست صفة يونانية فصارت لغتها وأدابها طاماتها كلها يونانية .

الثالث : ان هذه الأمة هي التي أدركها العرب الفاتحون وابتزوا ما كان بيدها من الممالك .

الرابع : ان المسلمين ورثوا هذه الأمة في سياستها وعلومها ونسج على مواها جميع الملوك الاسلامية في التنظيمات المدنية احتكاك العصرين كان له أعظم تأثير في اقتباس علومهم وتمذنبهم فانتحل منهم ذلك الأمويون والعباسيون ثم السلجوقيون والعثمانيون من بعدهم وعلى عهد الخليفة المأمون ترجمت عدة كتب في العلوم العقلية واستفاد منهم الأمم الاسلامية فوائد مهمة ورااد امتزاج العصرين استحكما ودول الكثير من الروم في الديانة الاسلامية طوعا ولذلك كان عامة المسلمين يطلقون لفظ الرومي على كل مسيحي الى الآن كما أن سوريا بلاد الشام وهي أول قطعة افتتحتها المسلمون من ممالك الروم فصار عامة المسلمين عندما يطلقون لفظ سوري على غالب الأقوال والأفعال الأرابوية فيقولون كلام سوري وطعام سوري ولباس سوري الى غير ذلك فاذا علمت ذلك تعلم ان دولة الروم إذا أطلقت فإنما يراد بها السلطنة الشرقية الرومانية وقد سبق أن القسم الغربي من السلطنة الرومانية لم يزل في وهن وانحطاط الى أن سقطت هاتيا فتغلب الأمم الجرمانية عليه وذلك سنة 439 مسيحية على عهد الملك جنصريق وبقي القسم الشرقي محافظا على استقلاله حيث أن البحر الأسود ونهر الطوبة وحبال البلكان كانت لها حاجزا حصينا لصدها القبائل الخرمانية وقتل ظهور الاسلام كانت هذه الدولة تعاني حرب أميتين عظيمتين وهما أمة البلغار التي نزحت من بلادها الشمالية واستقرت ببلادها المنسوبة لها الآن والثانية أمة الفرس التي تمتد من حدود الشام الى بلاد الهند وقد أمكن لدولة الروم بمحافظتها على نظامها وحسن تراتيبها صد غارات هاتين الأمتين ولم تزل محافظة على شرفها لم ترحز عن موقعها الى أن جلس القيصر يوستينانوس على تخت الملك في أواسط القرن السادس بعد المسيح وكان هذا القيصر له من الشهامة وثبات الجأش وقوة العزم وعلو النفس ما خلده له جيل الذكر في التاريخ القديمة فانه تسنى له بشدة حزمه الانتقال من حيز الدفاع الى مجال الهجوم لأن همته سمت به الى لم شعث السلطنة الغربية الرومانية القديمة التي تعلت عليها القبائل الجرمانية وأقيمت على أطلالها دولة الواندال ثم استولى على سردايا ومالطة وصقلية وجنوى وإيطاليا وآل به الحال الى أن استولى على بقية افريقيا كما يأتي قريبا وقهر دولة الواندال والقوط وذلك بعد أن

ستولت دولة الواندال على دولة لرومان وقهرتها وانتزعت منها البلاد الافريقية وبقي الروم أهل السلطنة الشرقية يعللون أنفسهم بالانتصار الى احوالهم واسترجاع ما استولى عليه الواندال وضمه الى الممالك القيصرية وأبرزوا هذا الفكر من حيز القوة الى الفعل فساق القيصر اليون الأور أسطولاً وحاول الاستيلاء على قرطاجنة لكنه لما قرب من المدينة وثت عليه أساطيل الواندال وطحنته بكلاهما وذلك سنة 468 مسيحية فلم تزد الروم هذه الهزيمة إلا قوة على قوة عزمهم وشدة لوثوق حبل آمالهم ولكنهم ركنوا الى المسألة ريثما تسنح لهم الفرصة وعلى عهد القيصر سوستينانوس الشهير الذكر انتهت فرصة الثورة التي أنزلت الملك هيلويك من تحت الملك بسبب ميله وانقياده لسياسة القيصر فوثب هذا القيصر على دولة الواندال وهذا القيصر يسمى في تواريخ العرب المترجمة يوشطياش وكان من أعظم الفياصرة شهرة وهو الذي قصده امرؤ القيس مستنجدا به على قاتلي أبيه وإياه يعني من قوله وقصيدته :

بكي صاحبي لما رأى السدرب دونه وأيقنن أننا لاحقان بقيصرا

وقد افتكر صويلا في اعلان الحرب على دولة الواندال لقاء تلك الهزيمة التي أدهت أساطيلهم في أعماق البحر وأزهقت أرواح رجاهم ولكن حسابت هذا الملك لندبته وعدو عثمته طوحت به الى الترامي في الأخطار سعيا وراء الحصول على مرغوبه ورد على ذلك اغراءت رؤساء المدينة فساق على سوندال حيث عزموا بحمله أسطول صحم مشتمل على خمسة آلاف فارس وستة آلاف راجل مع ما يلزم من الدخان الحربية تحت رئاسة أحد أركان حربه يسمى بلرار وذلك سنة 533 مسيحية يعني قبل ولادة بينت عليه الصلاة والسلام بسبع وثلاثين سنة لأنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل الذي هو سنة 570 بعد المسيح وبرز هذا الأسطول من القسطنطينية في 23 يونية من السنة المذكورة وسار في عرض البحر على وحل من أسطول لواندال الى أن أرسى على صقلية متزعا استطلاع أحوال الواندال فبلغه أن أسطولهم حل قوة عسكرية قصدت حريرة سردانية لاحد ثورة وقعت بها كما بلغه أن جهة طرابلس عصت الواندال وحاولت تسليم لبلاد الى عساكر الروم فتمتمتها دولة الروم وحصنت قلاعها وقوي اذ ذلك عزم بلرار فرأى من المكائد الحربية أن لا يتعرض لافتحام قرطاجنة بحرب بل ساق عساكره بر من طرابلس بعد أن نزل أسطولهم بمرسى بين امهدية وطرابلس اسمها كودية واجتمع جيشان هناك وأمر بعدم لتعرض لأموال الناس وأحسن معاملتهم فتقدمه لأهالي بالترحاب ثم سار نحو الشمال فاستولى على لمطة ثم على سوسة ومن هناك سار الى قرطاجنة حيث بلغه اهمل تحصينها مع أن من بها من بقايا الرومان مستعدون لفتح أسوارها بدون قتال وكان جليلهم مستحقين بأعدته غير مكثرث بتأديب لزمان حتى أنه وقت هجوم الروم على قلاعه هو في بعض مترهاته مع رحال دولته الى أن دهمه السبل وهو بداحل المملكة بعيدا عن قرطاجنة مستقر حاميته وعاصمة بلاده واد ذلك نبيه من سنة عروره وسار نحو قرطاجنة بمن معه من العساكر وقد فاتت الأوان وأيقن بادبار الزمان فأدرك جيش بلرار بمحل يعد نحو خمسة وعشرين ميلا من قرطاجنة يسمى ديقيموم فلم تكن الا ساعة حتى ولت عساكر الواندال لادبار واهزموا شر هزيمة وتقدم بلرار بعساكر نحو قرطاجنة فأرأوا أسطولهم محذرا له بحرا حتى نزل بقرطاجنة تلك المدينة الجبلية فاندهل أهلها وقام من بها من الرومان وفتحوا أبواب عساكر الروم فدخلوها ولم يجدوا بها أدنى صرر الى أن نزل بلرار بقصر الملك جيلهار وتناول مع أركان حربه طعاما كان أعده أرباب القصر لاحتفاء بلرار في ستمبر سنة 533 مسيحية ثم سار الروم لترميم حصون قرطاجنة وأسوارها وأحاطوا بها خندق عظيم فأصبحت من المعازل المهمة المنيعة وهذا الفتح اكتسبوا وحاجة عظيمة كذف بها لرعب في قلوب السكان فأصبحوا كلهم طوع يدوم وأقبل أمراء البربر على رئيس العساكر حاضعين ملتزمين بالدخول تحت الطاعة القيصرية ثم جمع جيشا من أمكنه جمعه من العساكر واستدعى ما تيسر له من الجيش الذي كان وجهه الى سرداب وكان معسكرا بدخلة أولاد بوسالم وأخذ يبدل الأموال الى رؤساء القبائل ليربوا ليعسكروا معه وانضمت اليه بعض الأخلاط من سقط المتاع وسار نحو قرطاجنة ولما رأى مناعتها وحصانتها قطع عنها الماء من الحدية الحالية له من زغوان وكان بلرار لم يتزحرج عن مركزه الحربي ولا يبيدي حركة الى أن حانت الفرصة فروحف بحموده على جيلهار وكان صارب بحموده على نحو عشرين ميلا من قرطاجنة فأوقع به الواقعة العظمى وشتت شمله فسقطت هذه الهزيمة دولة الواندال وذلك سنة 533 في ديسمبر وتوطدت سلطنة الروم بافريقيا ثم أن جيلهار فر بشرذمة قليلة من الفرسان وتبعه عساكر لروم الى أن وصل عمالة قسنطينية المسماة سوميدية والتجأ الى جبل زوارة المسمى تاربرت وحاصره هناك بلرار حتى اضطره الى الاستسلام في مارس سنة 534 فأحده أسيرا وعامله معاملة حسنة وأكرم مثواه عنده الى أن وصل قسنطينية فلما مثل بين يدي القيصر بوسستينانوس نطق بعبارات تدل على تجلده أمام نكبات الدهر ونقلات الزمان فأكرمه القيصر وأعم عليه بما كمل به بقية حياته ولله الأمر من قبل ومن بعد وقد دهمت دولة الواندال أذراع الرياح وسبب اضمحلالها ميلها لأسباب الترف والراحة والتعصبات الدينية واضطهادها للرعية فهذه الأسباب المنقورة للقلوب قد استوجبت انحلال عرى السلطنة وهدمت أركان عزمها ولله في خلقه شؤون .

ولما فتح الروم افريقية واستولوا على ما استطاعوه منها وكانت عامرة بعناصر كثيرة منها الواندال الذين هم حكام البلاد وأرباب الثروة ثم بقية لرومان الذين عمروا البلاد وأحيوها ومنها البربر الذين هم السواد الأعظم وهم أرباب البلاد الذين نزعوا الى ضواحي افريقيا

واعتصموا بالجبال وابتعث فيهم روح الحياة القومية باختلال أحوال الرومان واستيلاء الواندال عليه ثم انحلال عرى سلطنة الواندال واهمله للتطبيقات الحربية والسياسية واستقل منهم عدة أمراء بعدة جهات ولما تغلب بلزار على افريقية حمل من الواندال عددا وافرا الى قسنطينة واتخذهم القيصر حرسا خصوصيا ونقل الباقي الى الحدود الفارسية وبقي من الواندال بافريقيا استقروا تحت مظلة الروم فعاملوهم بالخشف والهوان وعند رجوع بلزار الى الديار لرومية استخلف على افريقيا أحد أمراء المسمى سولومون ولما كانت القبائل البربرية قد استقلت بها عدة أمراء كما سقت الإشارة اليه ولم يبق حاضعا لسلطنة الواندال الأرض لبلاد الشالية مثل جزيرة شريك المسماة دخله المعوين ، وحال ماطر وباجة وخير ووشتانة من المملكة التونسية وجبل زاوية من عمالة قسطنطية فاستولى عليها لروم بمجرد انقراض سلطنة الواندال وبقية الأمراء المستقلين أخذ الروم يستميلوهم بأنواع السياسة وهم عدة أمراء منهم الأمير برجة تحت رئاسة عدة قبائل أعظمها قبيلة لوابثة غربي طرابلس ومنهم الأمير انطاسي وكانت رئاسته على عدة قبائل أعظمها قبيلة الفراشيش التي اندمج فيها أغلب من بقي من الواندال كما يدل على ذلك بقية الدم الجرمانى الجارى في عقبهم الآن ومن حملة من هم تحت رعاية هذا الأمير قبائل ساحر وغيرهم الصاريين بجهات قصص وأحواز فريانة وما ولاها من ناحية الغرب الى عمالة قسنطينة ثم ابغره أمير حل أوراس وكان أعظم أمراء لبربرقة وبسط فكان جميع أمراء البربر تحت سيطرته شبه الخاضعين ولعله هو حد الكاهنة المشهورة التي اشتهرت بالوقائع الحربية لشهيرة بينها وبين العرب الفتحين لأنه بين دخول الروم الى افريقيا في تاريخ هذا الأمير وبين دخول العرب سعة وتسعون سنة وهناك أمراء أخر يحكمون عدة قبائل بالمغرب الأوسط والأقصى وحنوب افريقيا مثل التوارق ، وقول الشيخ بزم ان قبائل التوارق أصلهم عرب وأسمهم التوارك لأن قبيلة من العرب نزحت الى بلادهم ثم رحلوا وركبوا شزيمة منهم في تلك الجهة فسموهم التوارك ليس بشيء وهو مردود من وجوه .

الأول : ان لعنتهم بربرية الى الآن ويبعد كل البعد انهم يهجرون لغتهم ويتشبثون بلغة أخرى مع أن البربر أنفسهم بمجرد دخولهم في الاسلام وامتزاجهم بالعرب تركوا لغتهم ولم يبق الا المنقطعون في الجبال لم يختلطوا بالعرب .

الوجه الثاني : ان التوارك بمقتضى كلامه جمع تارك وهو جمع مذكر لمن يعقل مع أنه لم يسمع من العرب فواعل جمع فاعل ، جمع لمن يعقل غير فوارس وهو سماعي يحفظ ولا يقاس عليه .

الثالث : ان قبائل التوارق لا يحصون كثرة فهم معدودون بالملايين فاذا كان هذا العدد المتروك بلغ الى هذا القدر فكيف بالقدر الذي رجع مع أن العرب الدين وقدوا على سلاسل افريقية أما في زمن الفتح فقد استقروا بالمدن وأما الذين وردوا في عهد العرب باديس وهم قبائل معروفة محفوظة انسابهم الى الآن لا يتجاوزون ثلاثة آلاف كما حققه ابن خلدون وغيره من المؤرخين ولم يقل عن أحد من المؤرخين ان التوارق من العرب بل أنهم قبائل بربرية أصليون نرحوا الى أعماق الرمال وتوغلوا في دواخل السلاسل ليس للروم ولا الواندال ولا لرومان عليهم أدنى تعية وكانت سياسة الروم مع البربر منقسمة الى قسمين سياستهم مع الرعية وسياستهم مع الأمراء أما سياستهم مع لرعية فمن مدارها على الرفق وعدم التعرض الى عواثدهم وقلة الضرائب وغاية ما يهتمهم من ثمرة استيلائهم تشييد الحصون والقلاع واحياء معالم السلطنة وأما سياستهم مع الأمراء فكانت منقسمة الى قسمين أيضا استحلانهم واستيلائهم نحوهم بما يرون لديهم من الهدايا الثمينة والألقاب الشرفية ومن جهة أخرى فهم يبدون بينهم الشقاق والعدوة لكي لا تجتمع بينهم عصابات تعمر عليهم حلها بل ربما يتسنى لهم انكسارهم بعضهم ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ الشهير بروكوبيوس الذي كان كاتباً على القائد بلزار فكان عمدة مؤرخي الروم توفي سنة 56 قبل ميلاد نبينا صلى الله عليه وسلم بخمس سنين لأنه عليه الصلاة والسلام ولد سنة 570 مسيحية وقد وفق هذا المؤرخ بلزار في جميع غرواته ضد الواندال فكان يحكي جميع الوقائع الافريقية على مشاهدة وبيان ولذلك بعده مؤرخوا الافرنج من عمد المؤرخين وله مؤلفات عديدة فقد ذكر في بعض مؤلفاته ان الواحد من أمراء البربر اذا اضطر الى الدخول تحت النفوذ الرومي أما لخشية انسحاب القوة الحربية عليه أو انعكسة بعض الأمراء من أعدائه المضادين له وللروم كان يكتب الوالي العام بقرطاجنة بما يقتضي التزلف والخضوع لدولة القيصر مشيراً لبقائه تحت أكافه مع أقراره على امارته متمتعاً باحترامه ونصرته على أعدائه عندما يقتضي الحال ذلك فيطلب منه الوالي بعض قرابته رهت وعنوانا على خصومه وذاك يخلع عليه خلعة التبعية القيصرية وصورة ذلك أن يلبسه شعار الامارة وهو برنص مزركش بأسلاك الذهب ثم علالة بيضاء موشحة ثم نعال بطراز من الذهب ويصحب مع ذلك هدية جسيمة من طرف الوالي وتمضي المعاهدة بين الطرفين على شروط .

أولها : دفع الحكومة القيصرية للأمير مرتبا ستويا .

ثانيا : التزام الأمير بانجاح الروم بما لديه من القوة الجندية عند الاقتضاء .

ثالثا : التزام الأمير باقرار الراحة وتأمين السبل .

رابعا : أن تكون تصرفاته تحت مراقبة الوالي ، انتهى كلام المؤرخ الرومي .

وقد أشار ابن خلدون الى هذه الشروط غير أن ابن خلدون عكس الأمر في ذكره دفع الرومي الى الأمراء مرتباً فذكر أن الافرنج الذين استولوا على البربر ويعي بهم الروم لأن الافرنج اذ ذاك لم يستولوا على افريقيا كانوا يعسكرون معهم في حربهم ويدفعون لهم خراجاً مؤقتاً مع أن المؤرخ بروكوبيوس ذكر أن دولة الروم هي التي تدفع مرتبات الى الأمراء استجلاً بهم كما سبق ولعل الخراج ضرب على البربر بعد موت بروكوبيوس لأن ابن خلدون نقل ذلك عن مؤرخي البربر أنفسهم ورب الدار أعلم بما فيها .

ويؤيد ما ذكره ابن خلدون سرعة انحراف البربر على الروم وكثرة الحروب والثورات بينهم وبين القبائل البربرية بحيث لم ترسخ أقدامهم إلا في المدن ذات الحصون والعواصم مثل قرطاجنة وسيطلة وتبسة والمدن التي على شاطئ البحر ولما رأى سولومون ما أحدثه القبائل البربرية من المصاد وشق عصا الطاعة جمع جيشاً عرمرم مؤلفاً من الجنود الرومية ورحلات البربر وزحف به على البربر وقد اتفقوا على أمير يقال له ابطلاس فالتحم القتال واشتعلت نار الحرب بينه وبين البربر والتقى الجمعان بمحل قرب تبسة فوقعت الهزيمة الشنعاء على قوم سولومون السوي العام الرومي وقتل في المعركة وتشنت جموعه وذلك سنة 542 مسيحية وبهذا الانتصار قويت قلوب البربر وارتفعت شوكتهم وفي سنة 546 مسيحية تولى أمر افريقيا من قبل القيصر جان طوقباطه فبذل جهده في تحصيل العافية واستقرار الراحة فلم يمكنه ذلك حيث أن البربر دقوا حلالة الانتصار فانتعت في نفوسهم روح الحياة القومية وحب الاستقلال ولم يزل أمر افريقيا في دفع وجذب من حنّال الأحوال بسبب هذه الحروب حتى وردت أمة الغوط المستقرة بالأندلس الى المغرب الأقصى سنة 618 مسيحية فأذعن لها بعض غنائل المحورة للبحر وقوي أمر البربر بافريقيا وصار لأمرائهم الظهور على لروم وأقوى الأمراء بلبربر المرأة المدعوة الكاهنة دهب التي مقرها حصن أوراس فهي بما لديها من كثرة العدد واتساع الملك وقوة الشوكة وما عندها من بعض علم الحدّثان صارت صاحبة السيطرة على جميع أمراء البربر يأتمرون بأمرها وينتهون سهيب وفي سنة 647 مسيحية وفق سنة 27 هجرية وفد العرب على بلاد افريقيا تحت لواء أميرهم سيدي عبد الله بن أبي سرح .

الباب الثاني

في فتح العرب لافريقيا ومبادئ ذلك

كان الروم عند استيلائهم على افريقيا وانتراعها من يد الوندل على يد القائد الشهير بلزار كما سبق وأمن الوسائل السياسية والمكاند الحربية التي تعيهم على اخضاع لبربر هاتيا وصد عارات الأمم الأجنبية أن يتخذوا معاقلاً وحصوناً واستحكامات مهمة فحصنوا المواقي لبحرية وجعلوا مركز ذلك مدينة قرطاجنة ثم بالغوا في تحصين القلاع والحصون البربرية وجعلوا مركزهم مدينة سيطة ولما رأوا من أهميتها تنوغلها في دواحل البلاد مع حسن موقعها الحربي فشحنوها بالذخائر الحربية والرجال العارفين بالطرق السياسية والحربية فاستألفوا أمراء البربر مرة بالوسائل السياسية ومرة بالقوة الحربية حتى تم لهم التسلط المعنوي على أغلب افريقيا وكان مركز الولاية العامة مدينة قرطاجنة ورديتها سيطة والأمير ما يدعى جرجير والسلطنة العامة على الجميع لصاحب قسطنطينية فيمدهم بالذخائر الحربية والقوة الجندية عند لاقتضاء ويستطهرون في حروبهم بأمراء البربر الى أن طهر لأمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يأمر بغزو افريقيا فأذن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه عامله على مصر أن يجهز جيشاً ويوحه لعزو افريقى برا على طريق طرابلس فعقد لواء جيش كثيف من وحوه الصحابة والتابعين رضي الله عن جميعهم منهم سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب وسيدنا عبد الله بن العباس وسيدنا عبد الله ابن البربر وسيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص وبقية العادلة السبعة وغيرهم من أولئك الأخيار وجعل قيادة هذا الجيش لسيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح أح سيدنا عثمان بن عفان من الرصاعة وذلك سنة 27 هجرية وسنة 647 مسيحية فاجتاز طرابلس وبلاد الأعراض والجريد قاصداً عاصمة البلاد وبعث السرايا في الجهات يباوشون الى أن أتاه على سيطة دار ملك افريقيا فتحياً صاحبها للدفع وتجهزت جنوده وانتصت عليه احلاط البربر فجمع لديه من الجنود مائة وعشرين ألف مقاتل والتحم القتال بينهم وبين العرب وانتهت بهزيمة الروم والبربر وقتل أميرهم جرجير وسي عبد الله بن البربر لابنته لعهد المسلمين له بذلك عند قتله لأبيها وخلص هو بخبر الفتح لسيدنا عثمان رضي الله عنه فوصل المدينة في خمسة وعشرين يوماً ماراً على عمرو بن العاص بمصر فانقذه من حينه للمدينة المنورة ثم بعد قتل جرجير وهزيمتهم هذه لهزيمة الشنعاء رغب الروم في الصلح فصالحهم عبد الله على ثلاثمائة قطار من الذهب الوهاح دون المغانم التي غنمت قبل الصلح قبض المال ورجع على طريقه لمصر بعد أن أقام بافريقيا سنة وشهرين وكانت بلاد افريقيا جنة تجري من تحتها الأنهار عامرة بالقصور مزخرفة بالأشجار من بلد طرابلس الى نهاية طابجة الى أن وقع تحريبها على يد الكهنة دهباً كما يأتي قريباً وما رجع عبد الله من غزوته هذه حتى وجد أمير المؤمنين سيدنا عثمان توفي واشتعل المسلمون بحرب الجمل وحرب صفين للأسباب الناشئة عن قتل سيدنا عثمان المشروحة في محلها وفي

سنة 45 هجرية وسنة 665 مسيحية بعث سيدن معاوية جيشا تحت لواء معاوية بن حديج مشتملا على عشرة آلاف مقاتل فقدم افريقيا وبعث صاحب قسطنطينية جيشا في البحر لدفاعهم واجتمع الفريقان قرب قصر الجهم فوقعت الهزيمة على الروم وافتتح في هذه العروة مدينة سوسة ومدينة جلولي وبرزت وبى بعض الآثار ومحلات تأوي اليها حيوشه ثم رجع الى مصر فأمر أمير المؤمنين سيدنا معاوية واليا عليها وذلك سنة 51 هجرية وسنة 671 مسيحية ووجه الأمير عقبة بن باقع فقام مقام ابن حديج واحتط بلاد القيروان في هذه السنة وحمل دائرة صورها اثنا عشر ميلا وجعلها رباطا لجيش المسلمين ودحانهم الحرية وشرع في قتل البربر ولروم ففتح ما أمكنه فتحه من مدن وشرد البربر الى ضواحي البلاد القاصية الى أن طهر لمعاوية أن يقلد ولاية مصر الى الأمير مسلمة بن عجل الأنصاري وحيث أن افريقي من حملة أعمامها بعث مولاه أبا المهاجر دينار واليا عليها ورحل عقبة الى المدينة وحل أبو المهاجر محل فكره البرول بالقيروان التي احتضنت عقبة لحقد بيها وأحدث مدينة أخرى وأمر بعمارتها فثر ذلك في نفس عقبة حيث نشأ عن ذلك حراب مدينة لقيروان بقتل الناس على مدينة في نهجر وشرع أبو المهاجر في غزو ما حوله من المدن وفتح جزيرة شريط وبعثه أن عسبة لبرنصي الذي كان أسلم ارتد وحشد جموده من بربر وعزم على قتله فعمد له أبو المهاجر ولتحم بينها الحرب الى أن هرم كسيلة وحموده وحق بهم الى بواحي تلمسان فمهم شر هزيمة، ولم توفي سيدن معاوية وتولى أمر الخلافة ابنه يزيد رد عقبة بن باقع الى ولايته على افريقيا فلما وصل لقيروان حرب مدينة أبي المهاجر واعتقله وعمر مدينة لقيروان ومها خروح في حشد عظيم الى عروبلاد لبربر واستخلف عليها رهبر بن قيس السدي فتوغل في بلادهم وفتح بلاد البراب وحوها وبلاد تاهرت وصواحيها وشتت جموع لبربر ومن اعظم اليهم وعطف بجموعه طافرا مصورا الى بلاد المغرب الأقصى لا يمر على بلد أو حصن أو حي من أحياء البربر إلا ويحمد شوكة الى أن وصل البحر سحره ربح تلك البلاد كرو حده وأخذ كسيلة معه أسير وم وصل حراب وكانت جموعه قد تقدمته انتهر كسيلة الفرصة وأرسل نداء في اعتين الأمير عقبة فثاروا وقتلوه حيث لم يبق معه من الجيش كنفز وقتله معه من المسلمين نحو ثلاثمائة ودفن بالبراب وقدره بربر الى أن نه وقتل أبو المهاجر في هذه الواقعة ورحل كسيلة عن بلاد فريضا بالقتل والتهب الى أن بلغ مدينة لقيروان فحاصرها ودحده بعد أن طلب منه أهلها الأمان وخرج رهبر فارا الى سرقة وأقام بها الى أن توفي يزيد بن معاوية وتولى أمر الخلافة ابنه معاوية ثم توفي وجمع الناس على مروان بن الحكم فاستحكم أمره ثم توفي سنة 65 وسنة 682 مسيحية فتولى أمر الخلافة ابنه عبد الملك ابن مروان فاشتد أمره وقوي سلطانه وبعثه حرك كسيلة وما فعله بالمسلمين بافريقيا فغرم على سلطانه وبعث ابن رهبر بن قيس يأمره بالتوجه الى افريقيا وبعث بالمال والرجال فزحف بها له من اخود وطحن البربر وأميرهم بكنكته ولما قتل كسيلة بمن معه من وحوه رحاله حصص له لبربر ودبت له بلاد ولم يبق من يعارصه الا من فرح الى معتصم احوال وتوغل في وادحت الصخر ببحر بن ساس ومارأى زهير ما عليه من سعة الملك وقوة التمدح وكان رجلا ورعا بعثت نفسه من الدين ورحلته وأعرض عن اولاية فكر رجعا ان الشرق وكان قد فتح في هذه العروة باجة والكاف والاربع فلما انتهى الى برقة وحده في طريقه أقواما من البصري قد أسروا جمعه من المسلمين فغرم على قتائهم واستفادهم منهم وكان في فئة قليلة من المسلمين فمحضهم الله وقتل من بينهم رهبر رحمه الله فم تبع ذلك عبد الملك بن مروان عظم عدده قتل رهبر وكان مصيبة على المسلمين أعظم من مصيبة عقبة رحمه الله تعالى، فلما ارتى عبد الملك بن مروان في أمر فريقي رأى ان لا أحد يقوم بأمرها مثل حسان بن لعين العسدي وكان مرابط بمصر فبعث اليه يأمره بالتوجه الى افريقيا وأخذ يده في أموال مصر يأخذ منها ما شاء وذلك سنة 76 هجرية وسنة 695 مسيحية فجهز جيشا عتيذا قدره أربعون ألفا يألومهم من الدخائر الحربية والافوات لهم ولذوابهم بحيث لم يدحل افريقيا جيش المسلمين مثله ولما وصل القيروان سأل عن أعظم ملث ما فقالوا له صاحب فرطاجنة وهي المدينة العظمى وكان بها من جموع الروم أمم لا تحصى وقد شحوها بالعدة والعدد فافتحمها لأمر حسان وافتتحها عوة وقتل منها عدد كثيرا وبقى من نحى منها هاربا لصقلية في البحر وكانت فرطاجنة من أعظم مدن العالم ثم ان حسانا بعثه أن البصري معموا له ونفث عليهم البربر فساد اليهم بجموعه وشردهم واقتفى أثرهم الى أن وصل لبرقة، ثم رجع لقيروان فاستراح بها وسأل هل بقي أحد من عظماء ملوك افريقيا فقبل له ان امرأة تدعى دها وهي المعروفة عندهم بالكاهنة ناشرة علم السيطرة على جميع أمراء البربر يهاها بروم والبربر وهي معتصمة بحبل يقال له جبل أوراس في جموع عدة كعدة الحصى فتقدم لقتالها وجمعت جموعا لا تحصى بين روم وبربر فالتقى اجمعان ولتحم القتال فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسرت منهم ثمانين رجلا وفر حسان في عدد من مسلمين حتى جاوز عمل قس واستقر بركة بمحل يسمى الى الآن بقصور حسان واعلم عبد الملك بما محض الله به المسلمين فأمره بالمقام حيث أدركه كتابه الى أن يأتيه أمره فلما يعتمده فأقام هناك خمس سنين الى أن جاء كتاب من عبد الملك وأمره بالمال والرجال فلما سمعت الكاهنة بعزمه على إعادة الكرة عليها جمعت رجال دولتها وتبدلت معهم المشورة فيما تسلكه مع العرب فاستقر رأيا على تخريب بلدان افريقيا وقطع أشجارها وتغوير مياهها حيث أن العرب انما يقصدون من نتائج أعمالهم ما يتسهوه من نعم وهو انما سهل عليهم بالمدن والقصور التي يتعذر عليها الرحيل بها احتوت عليه من الدخائر النفيسة والأموال الطائلة فيدركوها ويعيشون فيها ويتشبهون ما وصلت اليه أيديهم معننا باردا أما الذين يظعنون على ظهور الابلهم الى رؤوس الجبال ويتوغلون في دواخل البراري والتفتار فلا يقدر على الوصول اليهم ولا حاجة لهم بهم وشرعت في قطع لأشجار وتخريب الدوير وتغوير الأنهار فصيرت تلك المدن لقاهرة وادحت الراهرة والقصور الفاخرة والحصون الشاهقة والأسواق الفاخرة اثرا بعد عين بعد

أن كانت يسير في ظلها الراكب ونحت أشجارها لا يحمل الزاد من برقة إلى طابجة فيبينها هي على تلك الحالة وسكان افريقيا يتقبلون على حر العصف ويتدمرون من سوء صعبها ولا يقدر أحد على معارصتها وإذا بالأمير حسان بن النعمان عقد له أمير المؤمنين عبد الملك جيشاً جريراً ورحف به على افريقيا وكنت الكاهنة قد أطلقت أساوس المسلمين ولم تترك عندها إلا واحداً اسمه خالد فأخت بينه وبين ولديها وقالت لهم بي مقنونة وكأنها ترى إلى رأسها يركض به إلى ناحية الشرق وأوصت خالد بأن يمضي بولديها إلى حسان ويستأمنه بعد موتها ثم تقدم حسان إلى ناحية قبس وانحرف في جيشه عدد كثير من روم وبربر وتلقاه من النصاري أمم لا تحصى يستغيثون من صنيع الكاهنة وسلك طريق قفصة وما كان أهل الجريد بها حصل لهم من ثروة والرحمة بمرور القوافل عليهم من جميع الجهات يحملون لهم ما يحتاجونه من الضروريات وحاجيات يستبدلون ما عندهم من النتائج بسبب ما حصص الله به هذا القطر من السخيل والثمار وجميع الفواكه التي هي روح حياة عمران بلادهم يدرؤا تلقى لأمير حسان وأهدوا له من نتائج بلادهم ما أقروا به عينه واشتكو له مما يتوقعونه من فساد الكاهنة ودخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً وعصموه من حسن عدل المسلمين ورفقهم من دخل تحت طاعتهم والمساواة في المعاملة فوعدهم بحمايتهم والانتقام منها وقصد توسع في تلك الديار بذلك الجيش لحرار فافتحم جنال الصعة وقصد الكاهنة في بلادها والتحم القتال بين الفريقين فهزمها وقتل من جوددها عدداً كثيراً وقتلت الكاهنة عند نهر محل أوراس يقال لها نهر الكاهنة وتسمى الآن نهر العاتر بقطع رأسها ويعد به إلى عبد الملك بن مره وشتت تلك الجملوع ووفد عليه خالد وأساء الكاهنة وأسلمها على يديه في اثني عشر ألف رجل فأحسن قبولها وقلد كل واحد منهم رئاسة ستة آلاف رجل الدين أسلموا معها ونظمها في جيشه ثم بلغه أن احلاط البربر وبعض النصاري تجمعوا بقرطاجة وقتلوا بعض من نسبه ولار الروم يشوب العارة بمركبهم على قرطاجة فرحف عليها وحاصرها وكسر القنوات الموصلة لها الماء ثم اقتحمها عوة وفتحها وقتل منها عدداً كثيراً ثم أخذ في عمارة تونس وخرق لها البحر من ناحية حلق الوادي وبني دار الصناعة لانشاء السفن الحربية وحلب ألف قطي وألف قطيعة يستعمون بها ما أدركه شاقب فكره من حاجة هذا المعقل إلى أسطول بحري فأنشأ السفن ودون لدواوين وبعث الخيوش وعقد السرايا سلاط المعرب يجاهدون في سبيل الله وصرب الخراج على الروم وبربر ودانت له البلاد وخصت له العباد ولم يبق في افريقيا من يعارضه إلى أن عرب وربي موسى بن نصير فتح بلاد الأندلس على يد مولاه طارق بن زياد وحيث أن فتح الأندلس وتداول الولايات عليه من قبل عمال افريقيا تكلفت المؤرخون به وتناقلوه بكثرة حتى صارت أخباره في حكم الضروري، فنقلنا إليه في هذه لعجالة يصير ضرب من تحصيل احاصل ام بلاد الجريد فإن تريحه وأحاراه مفصله كادت أن لا تعلم لأن المؤرخين يذكرونها مقتضبة بحسب الصدفة على سبيل الاسطراد وما يتعرضون لذكر بعض ما تأثرت به الدول وتداولها المثلث مثل القيروان والمهدية وتونس وحاية وتلمسان وفاس ومراكش وبلدان الجريد من الأهمية بالنظر إلى أسس الارثاق الطبيعية مما تعود به من النتائج واخيرات التي لا تحوج إلى كثير كلفة وكانت هي أول بلاد الصحراء التي اكتسبت أهلها شهامة وقوة جأش وما جلسوا عليه من عدم تحمل الصيم ونقل وطأة المعارك لركوبهم إلى ظهور بينهم ونكسهم من التوغل في البلاد القاصية وانفارات البعيدة المحرقة واحمر المستعمرات الرومانية التي انتشرت بها بدور التمدن الروماني فانتحلوه من الطرف لاستعمارية من هديب الأخلاق الانسانية والتحقافي عن التوحش البربري ووسائل الاستزاف الطبيعية واقتناس العلوم بكنية نسبية كاسب من الاعتدال مكان ولدا استعلت بها عدة أمراء في الأرماني الغابرة حتى بعد الفتح الاسلامي وكان لموجب لتحرير هذه لعجدة حسنا سبق التكلّم على تفصيل احوال الجريد على سبيل الاحتصار وجب ان نمرده بالكلام وما تقدم من الامام بتاريخ الدول الغابرة انما هو توطئة لذلك وشي عنان القلم للتعرض إلى ما عرّضت إلى بلاد الجريد من الأطوار وما تقلب فيه من حوادث الليل والنهار.

الباب الثالث

في احوال بلاد الجريد وما تداولت عليه من الأطوار

قد سبق للكلام في طالع هذه العجالة على وضعه الجغرافي وأولية امره ونشأته وحسن موقعه ومحاسنه وتكلم الآن عليه بالنظر لفصله حسب ما طبع في سبانه من علماء الملة واشرفت في أفقه من لشموس والأهله من لدن الفتح الاسلامي إلى هذا العهد اعلم أن هذا القطر بلغ من الحضارة وسعة العمران واستحكام التمدن إلى غاية قصوى فقد ذكر ولي الدين ابن خلدون عند ذكره لمدن المغرب الشمالية وبلاد الجريد قبلة تونس وهي نقطة وتوزر وقيوس وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها قسطنطية مستبحرة العمران مستحكمة حصارة مشتملة على السخيل والأنهار، واعلم أن قطر الجريد مشتمل على عدة مدن وهي بلاد الوديان وتوزر ونقطة ولحامة وبلدان نفزاوة وقفصة وكل بلد ما ذكر تعدد له فصلاً يخصه نتكلم فيه على ما يتعلق بها ويساكنها.

ولسندى بلاد الوديان، فيما بذكر أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله في كتابه الذين يسمونهم الآن بالسبعة الرقود ولكونها عاصمة بلاد الجريد في أول أطواره ولذلك اهتم بها الرومانيون كما يدل عليه وجود الهياكل وبقايا القصور التي تدل على قوة الاعتناء بهذه البلاد، تسمى

الآن بالوديان مشتملة على عدة بلدان وقرى أشهرها بلاد كيريز ودقاش لكونها محل سكنى الولاة أما بلاد كيريز فهي البلد لتعيق وتشمل بلد الررغان وأولاد ماجد التي هي فرع من الزرقان وإنما تفرقوا بسبب الشحنة الناشئة غالباً بين الأجوار وبلاد كيريز هي التي بها قصر الامرة وتمتد عمارة هذه البلاد الى بلد سداده واسمها القديم البربري تقيوس باسم أميرها البربري وكان هذا الأمير الذي تسمت به البلاد بلغ من الشهرة وضخامة الملك ما حلد له ذكراً في بطون التواريخ وعلى عهد هذا الأمير كانت الدولة القرطاجنية هي التي ناشرة علم السيطرة على البلاد الافريقية وقد سبق ان الدولة الرومانية أعلنت الحرب على الدولة القرطاجنية في سنة 264 قبل الميلاد واشتعلت الثانية بمعنة هذه الحروب وكان الظفر لدولة الرومان الى ان استولت على الدولة القرطاجنية نهائياً سنة 146 قبل الميلاد وفي هذه المدة أعني من ابتداء هجوم الرومان الى هاية استيلائهم وقع لدولة قرطاجنة وهن وتقلص ظلها على أطراف ولايتها فانبعثت روح الحياة القومية في نفس هذا الأمير البربري وناقت الى حب الاستقلال فارتفع صيته وقوي سلطانه وامتدت شوكة سلطته الى نواحي طرابلس وانتشرت عزوائه الى حيث انتهى به أمله فطعى ونجبر حتى ادعى الربوبية في قومه وكانوا وثيين فاقادوا المراعمه وخضعوا له وعدوه من دون الله وكان له سعة ورراء ورئيسهم يسمى يملبخا وكان ذا مكانة عنده وكان في بعض الأيام واقفا عند رأسه واذا بمخبر احمر بأن بعض أطراف لمملكة طرفها ملكت من أعظم الملوك وعثى فيها بجنود عديدة ويوشك أن يسحب عما تحت قدمي الملك فارتع الملك تقيوس لذلك واضطرب حتى سقط الترح عن رأسه فلما راه أكبر وررائه وقع في نفسه أن الملك حادث لا محالة وأنه مريب لفاعل مختار حارية عليه تصاريغه القدرة إلا ما احتاج من يدبر أموره ويرتاع من غيره وابعث في نفسه أن هناك رثاً حالق له حاكماً على كل شيء ويجب الوجود قديماً باقي قاهراً لكل شيء وهو على كل شيء قدير فاختفى في محل بنفسه ويسمى هو يفكر في هذا الامر

مدر حواص الملك دخل عليه فوجده على غير الحالة المألوفة ولما ساء عن سبب تغير حاله كنتم عليه وبعد إلحاح أحابه عما حتلج في فكره فأحابه بأنه وقع له مثله ثم دخل عنهم ثالث ورابع الى أن اجتمعوا سبعة ورراء فتباحوا مع بعضهم في هذا الامر وتفاوضوا مع بعضهم في كيفية التخلص من هذا الجبار فاستقر رأيهم على هجرة بأنفسهم وتعهيم كلب احدهم يسمونه فطميخا فوجدوا كهفاً في جبل خارج البلد احتضوا فيه ريشاً تسح لهم العرصة ويستقلون الى بلد بعيد عن بلد الملك فلما استقر بهم القرار وفي ذلك الكهف ألقى الله عليهم سوماً وبقي الكلب حارساً لهم حتى ألقى له عليه لوماً أبصاً وفي خلال بقاء هؤلاء الورراء في الكهف وهي مدة تزيد عن ثلاثمائة سنة بعث الله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وانتشر دين النصرانية في أقطار الأرض واستولى الرومان على أغلب المعمور كما تقدم وانتشر عمرانه وعوي سلطانه فاعتنق قسم كبير من البربر دين المسيح وما انتهى العمران الى بلد احريد وسطت دولة الرومان يد سلطتها عليه دحضت ما كان لأمراء البربر من سيطرته وأقامت من طرفها أمير مكان الأمير لسبق فدر البلاد وساس العباد الى أن قدر الله بإزالة ما عشي أولئك الأخبار من النوم فلما أفاقوا وقد ألقى الله عليهم من الخوف ما حملهم على إرسال أحدهم ببعض م لديهم من المسكوكات الفضة التي استصحبوها حين دخلوا الكهف ليشتري لهم طعاماً يقاتلونه وأكدوا عليه أن يتحفظ بعبية جهده من أن يشعر به أحد لكي لا يوشى به الى الملك تقيوس فلما دخل المدينة التمس عليه أمرها تكرر الدهور والسنين وأكبر ما عبه من امسكن والساكين وصار يتأمل مندهش اسأل حائراً فيما عرص له من تعبير الأحوال ولما ناول لائق الطعام ما عبه من امسكوك ليستبدل به طعاماً أنكره وزعم أنه عثر على كنز من كنوز الأقدمين فحصل بينهم شيطان الى أن آل الأمر الى الوقوف بين يدي الأمير فلما استنطقه على سبب وجود هذه الدراهم العتيقة لديه حكى لهم ما وقع له مع رفائله ووحيد الأمير وأهل المدينة متدينين بدين النصرانية يعدون لله الذي لا إله إلا هو وقد تساقل أهل المدينة خبرهم خلف عن سلف وبقي أمرهم محمولاً لا يعلم ما ستقر عليه حاكمهم الى أن عثروا على هذا الرجل وقرر لهم ما وقع وفي ضمن حكاياته أنه ترك بعض أولاده صغاراً وعين محل سكنهم فلما بحثوا وجدوا من عبه شيخاً انهكه الحرمان فاحصروه له وتبين أنه من عبية نراهين قاطعة فلما تحققوا صدقه أجمع رأيهم على أن يرووا أصحابه واحتفل الأمير وحاشيته لزيارتهم واحراجهم من كهفهم فلما وصل صاحبهم وأخبرهم بأن الملك تقيوس مات وانقطع خبره وتولى بعده عدة أمراء وانتهى الأمر الى قوم يعدون الله وقد بعث الله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وهذا الأمير مع رجال دولته في انتظاركم وقد مر علينا من السنين أريد من ثلاثمائة سنة فلما سمعوا مقالته بسطوا أيديهم وسألوا الله ان يقبضهم اليه قبض الله أرواحهم ولما لم يرجع للأمير من أرسله اليهم دخلوا عليهم في كهفهم ووجدوهم أمواتاً فتركوهم على حالهم واتخذ الأمير عليهم مسجداً تذكراً لهم ورجع الى مدينته واستمرت تلك المدينة عامرة بأهلها من بربر ورومان الفاتحين ها وقد أنشؤوا القصور وشيدوا الاستحكامات الحربية فمنه المسمى بكبة الذي ينقل عنه أنه تلى الحاكم الروماني معقلاً حصيماً وأعد له لحائره الحربية قرب قصر الحكومة الذي هو معد لسكنى الملوك ورحال الدولة ويدل على فخامة بنائه واعتباره بقية ثاره التي مصى عليها من السنين آلاف وهو كأنه بني قريب عهد ومنها تنبعث الجيوش العديدة والقوة العتيدة الى أطراف البلاد.

ويقال أن صاحب كبة عندما احرف صاحب سيطرة على والي قرطاجنة العام من العينيقيين وحاول الاستقلال وعحر عن اركاسه والتفت عليه البربر زحف عليه صاحب كبة بجيش جرار وقهره ومازال يردد عليه الغزوات المرة بعد المرة الى أن اضطره الى بناء بلد قفصة بصفة حسن بين جبلين وأودع فيها من الجيوش ما يكون حاجزاً بينه وبين كبة كي لا يفاجئه بالمهجوم.

ومن بناءات الرومان القصر المسمى بنو اصوار الذي هو الان اسم سانية نخيل وبقيت هذه البلاد مأهولة بعناصر شتى منها البربر لذين

هم أهلي البلاد القديمة ومنها الصبيقيون ومنها الرومان ومنها الواندال الذين تسلطوا على الرومان عندما أدركه الاحتياط والمهرم حسبما سبق عند ذكر تسلطهم وتاريخ ولاية ملوكهم وأسائهم ثم الروم الذين تسلطوا على الواندال الى أن افتتحتها العرب على يد الأمير سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد عمال سيدن عثمان بن عفان رضي الله عنهم وذلك سنة 27 هجرية وسنة 647 مسيحية حسبما سقت الإشارة اليه وتوردت على إفريقيك لغزوات من لدن خلفاء الاسلام الى أن وقعت غزوة حسان بن النعمان الغساني الأولى وهزيمة الأميرة لبريرية وأسرها من جيشه عددا كبيرا وأعقب ذلك تحريكها لمدن إفريقيك ونعوير مياهاها وقص أشجارها الى أن أتى التخریب على مدينتي كيرير وذاقش اللتين هما قرب مدينة تسة ولا زالت بقية أسرها الى الآن ويسرلون بها بقية قبائل بربرية بخيامهم فينزل بالأولى قبيلة أولاد محمد من أولاد خليفة وبالثانية أولاد مراح منهم وعندما حترت تيسك المدينتين انتقل بعض سكانها وتفرقوا شذرا شذرا فتطليين محلا يأوون اليه ويأمنون من ظلم الكهنة وفسدهم وقد بلغهم أن أهلي الجريد لم تطرق بلادهم لأهم استأمنوا لأمر حسن ودخلوا تحت كعبه واعتنق أعدهم دين الاسلام طوعا فخرج أهل تينك البلدتين الى بلدان الجريد.

فأما أهل دقاش فإبهم برلوا محل يعد على بعد كنة نحو ثلاثة ميال وعمرو ذلك المكان عمرانا وقتيا ريشا يتسنى لهم الرجوع الى وطنهم عندما تسمح لهم الفرصة وتضمن نفوسهم مما يخشونه من العدوان وبعد مدة من الزمان ما تحقق موت لكهنة رجعوا الى أوطانهم حيث دحر بقية القسوس لبريرية في دير الاسلام واتخذوا خيام من لشعر والوبر يأوون اليها مثل لقبايل لدوية ولم تعمّر بلاد دقاش بعد ذلك الا في أوسط القرب عشر هجري لما وفد عبيد بعض لأفصل من العرب المهاجرة وسكنها وهو العارف بالله سيدي عبد الله أبو رويس كان من العلماء لاعلام يتنسب الى مولاي عبد السلام بن مشيش فهو من الاشراف عكف على العبادة والرهف في الدنيا وأحدث رايته بدقاش وبها مدرسة ويؤتي فيها المتعلمون ويقوم بمؤتمراتهم مما أوقفه عليها وفي عدد دريته ثم وقد بعد ذلك بعض أولاد خير من ناحية التل وفيها نسلهم وكثر عمرانهم حتى صاروا هم العنصر الأكثر بدقاش.

وأما أهل كيرير فيه ما بقي بديهم من الدحائر والثروة فامر حوا في أهلي البلد وتادلوا معهم أنواع المتاحر والمساكنة والمصاهرة حتى صاروا كأنهم يحسبونهم في السحلة وكذلك بلد الررقان وأولاد ماحد فإبهم من أهلي البلاد الأصلية مثل بلاد سداة وقد وفد على هذه البلد الشيخ البركة الأستاذ سيدي أبو هلال من ناحية القيروان في القرن السابع هجري وتشرفت به رضي الله عنه.

وأما روية محرب فإبهم وفدوا على بلاد احريدي في القرن الثاني عشر هجري من ناحية الكاف وقد حدهم الشيخ لركة سيدي أنونب رضي الله عنه وهم ينتمون الى عرب أولاد يعقوب وسندوا الى مد الررقان وكان اول امرهم انهم وصدا امرهم بالقطف الأكثر الشيخ سيدي برهم حريف وأحد حريقته وأحد في ارشادهم لمصالحهم الدينية ولدياوية ووقع لهم به رتباط كبير حتى أنهم لا يتوأمرا من أمرهم إلا بواسطة لشح أو أسنة من بعده وحصل لهم بذلك اعتبار عظيم وشاهدوا لركة ذلك مادي ومعويا رضي الله عن الجميع

وسرجع الى الكلام على مد كيرير فيها بقيت مأهولة بأهلها الأصليين والواردين عليهم المتدخحين فيهم في القرون الأولى من هجرة الى أن اندفع طيب غنثة البربرية من بلاد الوديان وغمر سائر البلاد لأفريقية ودمر المدن والقرى وحرب الحصون وسفقت الدماء حسبما هو مقرر في حصار الفاطميين أمراء فريقية وعد طغرل الفاطميين بأبي يزيد رعيم هذه الفتنة وقتله وحشوههم جلده تساما كما يأتي قريبا أر د تحريك بلاده فحشش الشيعة حسودهم وعمدوا الى بلاد لوديان وحربوه وبقيت بقية من الاثار فيما وفد العرب في أيام المعز بن باديس في أواسط القرن الخامس هجري عمرو من هذه البلاد عدة قرى مع بقية من أهلها الأصليين وامتد عمرانها من أوسط لقرن الخامس هجري وهي تابعة لولاية نوررتين لأمراء المهديّة من صحابة وسلاطين توس من الموحدين وان كان وقع بعض استقلال لولاية نوررتين كما يأتي لكن غير معتمد به كما أنه حصت بعض ثورات من أهل الوديان واعتصموا بالجبال فباجرهم ملوك توس بالتأديب ويقتحمون عليهم ملجأهم ويضطرونهم لالحصون والروا على حكمهم مرارا عديدة الى أن هزمت دولة بني حفص وانقطع حركها وأقيمت على اطلالها دولة الترك فوجه السلطان سليم سان باشا بأسطوله الصخيم وعسكره الجرار على مياه توس لانقاذها من مخالب دولة اسانيا وذلك في حدود الثمانين وتسعين هجرية فطرحها بكلاكة ورتب أمورها ونظم دواوينها وخلفها جيشا مرؤوسا برؤساء لخراستها تحت نظر باشا وهو حيدر باشا يدير شؤونها وكررها للاستانة وبعد ذلك تعلب اولئك الرؤساء على البلاد وهم المسمون بالدايات واتخذوا رئيسا منهم سموه بالباي رئيسا على المعسكر المدي يسافر لأطراف البلاد جببية اخرج وتقرير راحة البلاد مع عسى أن يطرأ به من التشويش وبقيت دولة الدايات شبه لجمهوريّة الى أن تعلب عليهم أحد البايات المسمى مراد باي بن حمودة باشا بن مراد باي وقد قلد مراد باي هذا الذي هو جد مراد المتعلب رئاسة المعسكر سنة 1022 هجرية وأصله من حزيمة كرسىكا وكان شهما حازما ثم سعى في خطة الباشا لنفسه من قبل الدولة العلية وتقلد ابنه حمود باي رئاسة المعسكر وذلك سنة 1041 هجري وتوفي في عامه هذا وقام بمنصبه ابنه المذكور فتمتع الثوار وأوقع بالشيخ عبد الصمد الشابي أحد المتعلبين واشترع من يده حياء قتائل دريد وهم من العرب الداخلين أيام المعز بن باديس وهو الذي رسم منهم طائفة عظيمة في ديوان جسده فحلل منهم عند الحاجة ما يحتاجه من الرجال والفرسان والابل للحمل وله مآثر عديدة ليس هذا محل ذكرها ثم قلد رتبة الباشا ونزل لابنه مراد لمتغلب عن رتبة الباي فتقدها وتغلب عن لدايات وأورث الملك لعقه وهو الذي بنى ابنه محمد بن مراد دار الباي بتوزر

والمدرسة بها ولجامع انذي هو المحكمة الشرعية الآن تركه على وشك التمام وفي دولته عصت بلدان الوديان فجهاز لهم جيشا عرمرما فغلبهم واقتحم بلادهم وحررها وشردهم من البلاد فانتشروا في دواحل البلاد فوجد سكانها الآن على بلاد كروز وعمروها وكان جدهم ورد من بلاد المشرق من خراسان العجم واسمه سليم احد قواد سنان باشا الفصاح هذه البلاد ومن دريته عطية وهو جد أصولهم الثلاث توتي وعثمان وحد واج تريكي وهؤلاء أصول عروشهم الأربعة المعمرين لبلاد كروز الآن وقد اندمج مع هؤلاء أناس آخرون ويسمونهم اعصاء ولا زالت بلاد كروز عامرة بهم الى الآن، وأهلها أهل شهامة وسالة وذوو نفوس أبية وقد تكاثرت عليهم سحب المظالم من قبل الولاة وقبلوها بالتخلد تارة وبالمقاومة أخرى بحيث أن ما عارض لجيرانهم من ذلك طحنهم بكلاكه وهم لا يزالون مستمرين على عمران بلادهم لولا انه يعلب عليهم الكسل شأن القرى والمدائن وذلك، والله أعلم، بسبب ضغط الولاة حيث يرون ان تشيخ أعمالهم يعتالونها بدون مقابل فكسر ذلك من حدة شهاتهم وعودهم التكاسل اذ لولا ما هم عليه من الكسل الطبيعي لاتسع نطاق العمران ببلادهم بمقتضى قابضة بلادهم لذلك فهي صالحة لانتاج الخيل والريثون والحبوب والمواشي مع وجود امية وحودة الأرض واتساعها وزد على ذلك ثقتهم على صنع الثياب ربعة

فصل في الكلام على مدينة توزر وأولية أمرها

قد قدمنا الكلام في أول هذه العجالة ان توزر هي قاعدة بلاد قسطنطية التي تشمل توزر ونقطة والوديان والحامة وقد ذكر ولي سديس ان خلدون أن هذه البلاد أول من قطعها قبائل البربر وكان أول أدواهم حل يتنحون الغياقي ثم يأوون الى هذه الديار في بعض الأحيان الى ان هاجمت السيول بعض أماكن منها وتمحرت منها عوداء فجهروها ووسعوا محاريب وبتت في حافتها النخيل غير أن هذه الحالة غير منتظمة لا من جهة نبت النخيل ولا من جهة حريان الماء بل هي عيون متفرقة تقف عندما تصادمها الرمال ويقتت هذه البلاد وما حاورها من بلدان الحريد على هذه الحالة مدة قرون عديدة الى ان استولت الدولة القرطاجية على شمال افريقيا ونفخت فيها روح المدنية ولو أن هذه الجهات الحسوية لم تتمكن من ارضائها لكن قد رهم بعض التقليد في صروب بعض أسباب الحياة ولما هجمت دولة الرومان على هذا القطر بعد أن خرب القائد الروماني مدينة قفصة ودمت سنة 107 قبل التاريخ المسيحي حصصت له مدن قسطنطية فصمها الى مملكة لا إفريقية وكانت دولة الرومان لها اعتناء شديد بالزراعة فتأملت في حالة بلاد الحريد وبريتها وطفستها ومبها فرأت ان انجح ما تنجحه حركة الفلاحة هو النخيل والريثون حرارة البلاد التي تلائم مزاج النخيل والريثون وقلة المطر في بعض معانها نحاح الحبوب ويصعب بقفصها الثمر فشرعت في جمع المياه المتفرقة وتوزيعها بكيفية هندسية وشرع الأهالي بها هم من ملازمة غراسة النخيل يوسعون المجال للغراسة وأعانهم على ذلك اجتيع الماء الذي كان تفرقه عائقا لهم على الانتفاع به فبنا مجموع هيئة النخل وما فضل عليه من الماء يرسلونه للزيتون لأنه يكتفي بالماء القليل ولو بعد شهر وامتد الأمر الى بلد نقطة ففعلوا فيها كذلك واستمر عمران هذه المدينة مدة قرون عديدة في يد الرومان ثم الوندال ثم الروم ذوو السلطنة لشرقية الى سنة 647 بعد الميلاد أعني سنة 27 هجرية فهجم العرب على بلاد افريقيا وفتحوها معاقفها وحصونها ودخلت بلاد الحريد تحت حكم العرب صلحا كما سبقت الاشارة اليه فأقروهم على ما هم عليه تحت حفظ دماهم عن ان يؤذوا ما اتفقوا عليه من الأداء السنوي ثم في خلال هاته المدة اعتنق منهم البعض الديانة الاسلامية طوعا وما وصل القرن الثاني للهجرة حتى لم يبق فيهم متدين بغير الدين الاسلامي لأن من بقي منهم على الديانة النصرانية انتقل الى بلاد سردانيا ولم يبق من البربر ولا من الروم الا من اعتنق الدين الاسلامي غير أن الذين اعسقوا الديانة الاسلامية لما كان تلقيهم لأصول الديانة محرد تلقف يتلقفونها من العوام لم يأخذوها على حقيقة كانت عقائدهم مدخولة الا ما قل من ارحلوا الى الديار الشرقية ولقنوا أصول الديانة على حقيقتها ولذلك لما تكونت دولة العبيديين وكانوا على مذهب الشيعة قام زعيم يقال له أبو يزيد الحارثي محمدين كبراد من بني يرق احد بطون البربر وذلك سنة 323 هجرية وابتدأ حركته من قبائل البربر منتصرين لمذهبهم ضد مذهب الشيعة والتحمت الحرب بينه وبين القائم العبيدي الى أن هزمه العبيدي وقتله سنة 334 هجرية وبموت هذا الزعيم تقلص ظل مذهبه وانتشر مذهب الشيعة.

فصل في مبدأ اشراق المعارف في هذا القطر

كان العلماء الذين يرتحلون للخارج ويرجعون متضلعين بالعلوم لا يزالون مجاهدين في بث العقائد الحققة ويتزعمون فيها طمرا عليها من الأدران الى ان زالت تلك العقائد الباطلة بالمرءة وأعد على نحو آثار الشعائر المصلحة المعز من باديس الصنهاجي امير افريقية وألزم الناس بالترام مذهب الامام مالك بن أنس وذلك في أثناء سنة 441 هجرية وفي هذه الأثناء وفدت قبائل العرب من النواحي الشرقية وهم بنو هلال بن عامر وبطنونها وبسو سليم وبطنونها وهجموا على صنهاجة وقبائل زناتة من البربر كالسيل المفعم وعاثوا في البلاد بالسلب والنهب والقتل حتى استولوا على غالب البلاد الافريقية واستوطنوها وفي خلال هذه المدة استوطنت بعض البيوتات بلاد توزر ونما عديدهم وكان أغلب هؤلاء

العرب شيعة على مذهب ملوكهم إلا أنهم عوام ساكني الراري والقفار وبمخالطتهم لبعض العلماء ومسكنتهم في المدن أخذت عقائد الشيعة تنحى من هذه البلاد إلى أن رلت وأن بقيت فيهم اثر عوائد الخوارج كاحتفالتهم بعاشوراء الذي فيها ماتم سيدنا حسين رضي الله عنه وهم لا يشعرون بذلك وكلهجهم يذكر سيدنا علي على مذهب الشيعة كذلك وفي هذه الاثناء ارتحل منهم عدد ليس بالقليل وأخذوا لعلوم فقهية وعقائد الدينية على أئمة علام كالامام أبي عبد الله المازري وأبي الحسن اللحمي وعبد الحميد الصائغ وغيرهم من علماء الملة ومن ههنا شروعوا في هذه الأصناف وتهددت أخلاقهم وصارت البلاد زاهية بالعلوم والادب وظهرت فيها علماء ألقوا في كثير من الفنون منها من هم من بلد تور ومنهم من هم من نقطة سياني ذكرهم عند الكلام عليها وفي سنة 425 هجرية ورد الامام أبو محمد بن أبي ركريا من بلد نقيروان عندما لتورر بحث طانه بالعلوم فنشر دره ورتعت الناس في ريبه وكرعت من حياضه وقد أخذ العلم على لامين أبي الحسن اللحمي وعبد الحميد الصائغ وعبد الخالق السبوري وأبي حفص العطاري وأبي عمران القاسمي وأبي بكر بن عبد الرحمن وعبد الحق المصفي وقد علق تعقيب على المدونة سنة 429 هجرية ومن الأئمة لاعلام أبو زكريا والد أبي محمد المذكور كانت له رحلة للمشرق فلقي اعلام وأئمة أحد عنهم علوم الدينية والفنون الأدبية وحدث في خلال 402 هجرية ثم حج لنقيرون ومن شيوخه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد وأبو الحسن نقاسي وقد ذكر في تعقب له أن حملة من أحد عنه اثبات وسعوا الإمام من المشرق والمغرب وله مرثية في شيخه سبي زيد ومطلعها.

خَطَبَ النَّاسَ فَعَمَّ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
أَمَّ الْحَمَامَ يُعْبِدُ اللَّهَ قَدْ نَزَلَ
نُبَاً نَقَى سَائِلِي رَيْدٍ فَقُلْتُ لَهُ
أَسْمُنَا كَسَمْتُمْ أَمْ بَدَرْنَا قَسَلًا

وهي طويلة وسه يراجع في قريش من صمم العرب ومن علمه الأمانة أبو الفضل النحوي صاحب التآليف العديدة والارشادات المفيدة نحل إلى مشرق واجتمع أئمة اعلام فقه واستعداد ورجل إلى الأندلس واجتمع بالفاضي أبي بكر بن نعري ووقعت له معه محاورات في حنفية درسه وفي آخر المجلس شهد خاضعين بأن شيع أنا الفصل شيعة ومن أفراد العلماء الامام محمد بن علي بن خضري المعروف باسم النشاط وله عدة نسخ منها العدة بلانحة ومنها اشبهة ومنها تحف المسائل ومنها أبيس لعريد ومنها شرحه تحليل على قصيدة لشقر طسي في أسيرة سبويه في أربعة أجزاء صحاح أحدها فيه وأوردت في سنة 681 ومنهم عبد الملك ابن كردوس ومنهم التواتر شرح المدونة وكتب سبويه ومنهم العلامة أبو يزيد التوزري ولي قضاء الجماعة بتونس في خلافة المستنصر سنة 647.

ومن العلماء لاعلام الإمام قسطلاني ومن علمتها أبو سعيد بن يحيى بن حريش أحد علم الامام محمد بن لعربي التميمي ومنهم أبو بكر بن منصور حامي سميد بن أبي زيد ومنهم الإمام عتيق بن محمد النواعط ومنهم عتيق أبو علي الحسن بن يحيى ومنهم احتطيت لوعظ محمد بن يحيى وأبو عمر وعثمان بن الطوسي ومحمد بن عبد نعير بن حماد ومنهم محمد بن يحنف بن الامام والفقهاء لمحدث أبو علي عمر بن أبي الحسن والفقهاء المحافظ أبو محمد عبد الحق بناضي أبو عبد الله المغربي وعلمهم من بدء القرن الخامس رحيم لله وورأصرحتهم وهؤلاء الأفاضل تأليف انتهتهم أيدي الجهل والعدوان ويمكن نفاء البعض ويعثر عفا الله عن الجميع.

فصل في تبصر عمرانها

وما تأمل فيها من العمران الذي بدت أصوله أمة الرومان والتمدن الشرقي الذي حملته إليها المترحلون من أهلها والوفاءدين عليها من المشرق صارت من الأمصار المتمصرة والمدن المعترة فانتسعت عمارتها وامتدت سساتيها يسير الركب تحت ظل حدرتها وبساتينها نحو العشرة أميال وتقرها عدة قرى من جهتها الأربع لا تعد القرية على الأخرى أكثر من ثلاثة أميال وهذه القرى كلها مشعولة بغراسة الأشجار ولاسيما الزيتون، يدل على ذلك كثرة ما يوجد تحت أطبق الأرض من اثار معاصر الريت والقنوات والأقواس بين توزر ونقطة وبينها وبين لوديي وأخمدة، وامتدت عمارتها وادارونقها وبفقت أسواقها ونمت صدراتها وواردتها فتردها القوافل من دواحل السودان ومن المغرب الاقص ودواحل افريقيا فتملا حوانتها من نتائجها ونتائج ما هو محيى حوها من البوادي الذين يصنعون بأعمالهم ويتبعجون بها لمراعي ثم يرحعون ويأوون حوها في فصلي اخريف والشتاء وفي بلد توزر نهر عظيم ينقسم على ثلاثة أنهار كبار وينقسم كل نهر إلى ستة حدائق وأحد حدائقها يدخل من المدينة إلى القصبة ثم يخرج منها إلى ساقية للرجال ثم إلى ساقية للنساء ثم يدخل القصبة من موضع ثان ثم يخرج إلى دور المدينة ثم يخرج ويمر تحت صور البلد إلى أن يجتمع في محل القسم فيسقي بساتينها وبها جامع على شكل جامع القيرون وفحامته وبه عدة أبواب كل باب ينفذ إلى سوق من أسواق البلد ونقل عن الدلاء أن مدينة توزر هي أم الأقاليم كبيرة شريفة بها جامع شريف وأسواق مدمرة حوها رصاص كثيرة وهي حصينة منيعة وفيها جميع الثمار عدا قصب السكر تخرج منها قوافل الثمر في أغلب الأيام أكثر من ألف حمل.

فصل في سياسة بلاد توزر

وهي في سياستها تابعة لخلفاء تونس والقيروان والمهدية سوى بعض الأحيان اختطفها ملوك مصر على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وذلك سنة 565 وفي بعض الأحيان دخل أهلها تحت سلطة بني حماد ملوك بجاية ولم يطل ذلك وما دخل أهلها من البطر بما حصلوا عليه من الثروة والقوة واشتداد أزرهم بالأعراف الذين حولهم وشتغال الدولة الحفصية بتوطيد قدمها في ثغورها المغربية تارة وتمهيد أمر الثوار تارة أخرى ومدافعة المزارحين لها من ملوك بني مريس انسلخ هذا القطر وتطاول الأعياص الى الرياسة قال أمرهم الى اتخاذ عدة رؤساء في البلد ولتبادل المصالح الضرورية بين المتساكين صار الأمر شورى بينهم وذلك في سنة 678 هجرية ومن ذلك لتأريخ أحد أمر الجريد في الانقلاب حيث أن بعض الرؤساء تارة يستظهر برؤساء الأعراب فيغلط أمره ويكون له ظهور على الآخرين ثم يستظهر الآخر برؤساء الدولة فيجده مستظهرا به على بقية أقرانه واستمر الحال على هذا المنوال الى حدود سنة 715 هجرية فاستبد بالرياسة على توزر وأهلها أحمد بن يملول وعلى نقطة بنو خلف وعلى قصبة بنو العابد وعلى الحامة بن أبي المنيع ورسخ قدم ابن يملول هذا في الرياسة وقوي أمره وارتفع صيته ثم هلك أحمد بن يملول سنة 718 فحلّقه ولده في هذا السبيل وكان طموحا الى الامارة مافى في الاستقلال مزاحم لم يرسو اليه مستظهرا بأشباعه وأحلافه على من اشرأت نفسه لذلك فاستعمل على نظرائه حتى تطارحوا في هوة الهلاك ومزقهم كل عمق بين قتييل ومعرب فخلاه الحو واستوثق له الأمر واستقل بأمر البلد بالحل والعقد بأمره بعد أبيه وبقي في الامارة مستقلا بها الى سنة 734 هجرية ثم هلك وتلقفها من يده أخوه محمد تربي في برنسة ومحاريب في مصهارها فاقعد كرسي الامارة واستظهر على أمره بمصانعة أمراء البلد وكانوا رداء له فعظم صيته ونفذ استيلاءه وامتدت أيامه وعي ملوك بخطابه وأقام على ذلك الى أن هلك سنة 744 هـ فقام بالأمر بعده ابنه عبد الله فوثب عليه عمه ابو زيد ابن أحمد فقتله على قبر أبيه وشأت به العامة لحبه وكان مصرعا على سفك الدماء واستباحة الحرم وغصب الأموال حتى كان يسبب الى الجنون مرة وإلى الكفر أخرى فاستولى النصارى على نفوس أهل البلد وراسلوا آحاه أبا بكر وكان معتقلا بتونس فأطلقه لسلطان من محبيه بعد أن أخذ عليه المواثيق بالطاعة والوفاء بالحماية فصمد له واحتشد قرى نفاوة والمجاورين من القرى وأحلب عليها فاقتمحها وبادر الناس الى القبض على آحيه فاعتقله ثم قتله واستمر متمطنا متن الرئاسة تحت شراف صاحب أعمال الجريد الأمير أبي العباس أحمد بن السلطان أبي بكر وصم الى أعماله بلاد نفاوة وما حوها من القرى والمدن وما خيم ببواحيها من الأعراب وضرب المحرفين عليه بعصمهم حتى خضع الكل له واستخلص عليهم من الجباية ما اشتد به أزره وقوي به أمره واستمر كذلك الى أن هلك وقام بالأمر أخوه يحيى ابن أحمد بن يمدول فانتحل مذهب الملك ومساربه واقعد الأرائك وهينو في ابوابهم شارات الملك واتخذوا الآلة في الاحتمالات حتى لقد حدثته نفسه بالقباب الخلافة وأقام هذا الأمير وعائلته أدمارا والدولة في شغلها الى سنة 777 هجري.

فصل في تغلب السلطان أبي العباس أحمد ابن محمد

بن أبي بكر الحفصي على بلاد توزر وبقية بلدان الجريد

ان الدولة الحفصية لما آل أمرها الى السلطان أبي بكر بن زكياء، واشتعل بأمر الثوار ومدافعة المتحزين وتوغلت جوده في دواخل البلاد، تفت نفوس بعض البيوتات الى الرئاسة ثم صار الأمر شورى بين رؤساء أمصاره وكان أمر هذه الشورى مهينا من قس دولة السلطان أبي بكر لكن انقطع هذا الاقليم تقطاعا كليا في دولة هذا السلطان وبقي كذلك الى أن استقل بالامارة رئيس كل بلد كما سبق ومن ضمن المستقلين ابن يملول توزر، ثم لما توفي السلطان أبو بكر وذلك سنة 747 هجرية وباع أهل الحل والعقد انه أبا حفص عمرو وبقي أمره مضطرا الى أن هجم على دولة الموحدين السلطان أبو الحسن المريني وانتزع منهم الملك ومحي الدولة الحفصية وقتل السلطان عمرو وبقي أمره في اضطراب الى أن تفرقت جموعه ورجع الى العرب شريدا، ثم تراجعت الدولة الحفصية أمرها وباع المملأ السلطان أبو العباس الفص بن أبي بكر وأحد في تحديد رسوم الملك لكن لم تطل مدته لأنه ولي الأمر سنة 750 هجري وتوفي سنة 751 هـ وبويع أخوه السلطان بو اسحاق بن أبي بكر وكان يومئذ غلاما متاهزا فاضطربت عليه الأمور واستبد صاحبه ابن تاجر جين بأمور الدولة فاغتاظ لذلك أمراء بني حفص وحتفطوا من يده بعض الأطراف وكذلك أمراء العرب اشرأت نفوسهم الى تونس وجهر سلطانهم جيوشه برا وبحرا ولم يزل أمره في هرج ومرج الى أن فاحاه الأجل في رجب سنة 770 هـ وبويع ابنه ابو البقاء خالد وكان صبيا قلم يقوم كافلوه بأمره فتضعف أمر الدولة ونجراً أولوا البغي والفساد فلم يستقر له راحة وحينئذ نادوا أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن عمه صاحب قسنطينة لما علموا من كفاءته وعدله فوجدوه مستحكما للوشوب فتعاقدت الوفود على نصرته وهرعت اليه من كل جهة فنزل على الحاضرة وراوجها القتال حتى دخلها وتقضب على ابن عمه أبي البقاء خالد سلطانها واعتقله ولما تمت بيعته وجه ابا البقاء الى قسنطينة فأتلغه قاصف من الريح ثم وجه عنايته وصرف عرائمه وهبص

لاستر حاج أطراف ممالكه وجمع ما تشتت من شملها فجمع عساكره من الموحدين وطبقات الجند من الموالي وقبائل زبانة ومن استألف اليه من العرب وكان للدولة على قبائل بني يفرق وهوارة وبفسوة ومغراوة مغرم وجبايات وافرة فلما تغلب الأمراء على كل مقاطعة انقطعت هذه المعرمة على حزينة الدولة كما ان الدولة كانت تستظهر بهم في حروبهم فانقطعوا عليها فلم عزم السلطان على جمع شمل ممالكه ورأى القبائل عدم قنرهم على مقادمتهم خضعوا لأوامره لما طلب منهم الأسرى وبعثهم للمسجون واكتسح أمواهم فجمد ذلك من عتوهم وقص من حاحهم ثم رجع إلى القيرون وأرتحل منها يريد قفصة ثم استعد صاحب توزر للمقاومة والتفت عليه الأعراب وسرب فيهم الأموال فلم يعثر شيت ورحف السلطان إلى قفصة فنازلها ولحوا في عصيتهم وقتلوه ثم تسالط له الرعية من أمماهم وأسلموا له مقدمهم احمد وابنه محمد يستند فانقد له أهل قفصة بعد حصار شديد ثم ارتحل بجند السير إلى توزر وقد طار الخبر لاس يملول بفتح قفصة وقصد السلطان اليه فركب خيبه وحمل أهله وما حلف من ذخائره ولحق بالرب وطير الخبر أهل توزر إلى السلطان فتقدم إلى البلد وملكها واستولى على ذخائر ابن يملول وبرز بقصوره فوجد بها من الماعون والمتع والسلاح واثية الذهب والفضة ما لا يعد لأعظم ملك من ملوك لأرض حسب أشار اليه وفي حين اس حديدون ثم جمع ما وحده من نفيس احوار والخي والثياب وعقد لاسه المنتصر على توزر وانزله قصور بن يملول وجعل اليه مارتها واستقدم خلف صاحب لقطه فقدم اليه وأتته طاعته وعقد له على حجابة سه توزر وولاية بلده وانزله سنة 777 هـ وقفل إلى الحاضرة ظافرا.

ثم ان يحيى بن يملول استولى السلطان أبو العباس على بلد الحريد واسرح هو إلى الزبنة استقر بسكرة في حوز امير هارثما يتهز بفرصة ويرجع مرة فيعود إلى محل امرته فلم يلبث إلا مدة يسيرة ومات بسكرة بعد ان أنجلت على توزر سنة 784 هـ في لفيف من الأعراب هـ لم ينجح وزجع حاسن حسيما فحلف له صغيرا اسمه أبو يحيى فلما كان سنة 785 هـ وقع انحراف من الأعراب عن السلطان فاحدروا إلى مشيبتهم والتفتوا على هـ لصبي اس يملول ورحف بهم إلى الوثوب على توزر فاقحموها في هذه السنة وفر المنتصر تحت ذمام يحيى بن طالب حدرؤساء الأعراب فاحدروا وتلعه إلى مأمنه بقفصة واستولى اس يملول على توزر واستفد ما وجده بها من الذخائر وما معه في عطيات العرب ورادهم حاية السنة فلم يعثر شيت لأنه لما بلغ السلطان استيلاؤه على توزر شمر على ساعد الجد وجمع جنوده واستمد من يستظهر بهم من العرب ووجد لسير فني وصل إلى قفصة قدم أخاه الأمير بابي وابنه الأمير المنتصر على العساكر ومعهما صولة بن خالد يرأس الأعراب الذين معهم وسار على أثرهم فلما انتهى أخوه وابنه إلى توزر وحاصروها وضيقوا عليها حتى وصل السلطان فزحف بالعساكر من جونهما وفتنوها يوما كاملا ثم ساكروها فالتفتا فحذل ابن يملول واشياعه وذهب ناحيا بنفسه إلى حلل العرب ودخل لسلطان لند واستولى عليها وعقد له إلى محل امرته وكر راجعا إلى تونس سنة 78 هـ ثم عاد اس يملول إلى الاجلات على توزر في السنة القابلة وحرع السلطان في عساكره فكر راجعا إلى الرب وبرز السلطان بقفصة فوافاه به المنتصر هناك وتظلم أهل توزر من حاجبه ابي القاسم الشهرودي فسمع شكه وهم وتقصص عليه واعتمده بقفصة وحمله معه مفيدا إلى تونس ثم استقال ابنه المنتصر فأقاله من الامارة واستولى على توزر الأمير زكريا من وبه الأصغر لما كان يتوهم فيه من النجاسة فصدقت فراسه فيه وقام بالأمرا حسن قديم فأحسن المدافعة وقام باستيلاف الأعراب الشرادين واستمال أمراءهم حتى تم أمره وحسن ولايته.

فصل في أولية بني يملول والتعريف بنسبهم

نسب هذا البيت في طول العرب من تنوح فيما رعموا استقر سلفهم في هذا الصقع منذ أول الفتح وتائلوا ووشجت عروقهم نسب وصهرا حتى تنصموا في بيوتات الشورى المتقدمين في الوفاة على الملوك وتلقى العمال القادمين من دار الخلافة والنظر في مصالح الكفة في دولة بني حماد ودولة بني عبد المؤمن وآل بني حمص وبني وطاس وبني فرقان وكان بعض سلفهم انتظموا في بيوتات الشورى وانتدبوا لمراسة في أيام عبد الله الشيعي وهو لذي أخرج أبا يزيد الخارجي حين شعر به بأنه يريد القيام على ابي القاسم العبيدي ومهم النازع إلى أمراء المغرب الأوسط حارجا عن آل ملكين ملوك المهدية حين انقسمت دولة آل زبيدي وذلك سنة 403 هـ بين بني ساديس وبني حماد ثم انتقلت لمراسة من بني يملول إلى بني مروان لأول دولة الموحدين ومهم الذي تلقى عبد المؤمن واعطاه الطاعة عن نفسه وعن أهل بلدة توزر فتقله منه ووصله وصار الأمر للموحدين فمحو منها آثار الاستبداد والمقت ممالكهم الافريقية يديرون شؤونها ويحيون مغارمها وترد عليها العمال من لعاصمة تنوطيد الأمن واقتضاء المعارم وقد اتفق ان بعض سلف هذه العائلة وهو احمد بن محمد بن يملول سعى به بعض وحوه البلد إلى شيخ الموحدين وقتل المعسكر أيام السلطان ابي حفص محمد الفراري وذلك في حدود سنة 684 فتركه وصادته على مال امتنحه عليه كان أول بكباته التي أورت من زباده وأوقدت من حجره وقد نشأ احمد هذا متراميا إلى الرئاسة يدافع بالراح ويزاحم عنها بالماكب من وحوه البلد وشراف الوطن فتحلص إلى الحضرة يؤمل اعتقال مطيئته وثبوت مركزه من دار الخلافة فأوطنها يساكر أبواب الوزراء ويلثم أطراف الأولياء والحاشية وينزل كرائم أمواله فيما يقربه اليهم ويزدلفه لديمهم ويؤثره بعنايتهم حتى استعمل بديوان البحر لجباية الاعشار من

التحار الوارد من الخارج وبما له من الاضطلاع بالأمور متقددا سار أعمال الدولة بإعطاء الجربيات واستدرا لجنية واستمرت على ذلك حاله وتصاعفت فائدته فأثرى واحتجز الأموال واستخرج الذخائر قاطعا ألسة السعاية بالمصنعة والالتحف بطرف ما يجلب من بلاد الروم من البصائع حتى ابطره، لعنى وبلغ رجال الدولة انه تها للأحراف وذلك في حدود سنة 712 هجرية فتفرض عليه احاحب بأمر من السلطان ابي يحيى اللحياني وصادره على مال مقدر بمئين من الألف من الدينير وكبه النكبة الثانية وسجنه ثم أطلق وبقي مزاميا على الأبواب لاثما اطراف الاعتاب لكن ساعده لخط حينئذ شغلت لدولة بأمر لثغور المغربية وقامت بمد فعة بعض الأمر المتولين على الدولة فبادر احمد بن يملول للوثوب على الاستعداد بأمر البلاد الوزرية كما سبق واستتب أمره الى ان مات وقام سوه بأمر بعده حتى وقع بهم ما وقع كما مر ولله في خلقه شؤون.

فصل في من استوطن هذه الديار وما تداولتها من الأطوار

قد سبق أول من استوطن هذه البلاد قائل البربر من هواراة ومعرارة وبني يفرق وهم يصنعون حياهمهم الى حيث يتجمعون برعى لمواشيهم ويؤوون لهذه البلاد شتاء ثم اتخذوا أكواحا من الشجر ويؤوون من طين يسكون اليها عند حاجة ونفو على هذه احواله فربوا عديده الى ان وجدت على البلاد الافريقية أمة الغيبقيين من بلاد الشام حراوس فهم من صفة الملك ورسوخ في قسوس شدد وقد حصوا ذات الفلاحة والبناء وتوسعوا في شتاء لفسف والمندوع وساءل حياطو مة البربر باستخدامهم في قسوس لاستعمار ود هو لسة خية لاجتماعية و استدرا حريرات الأرض بعد ان ساءل في البربري والقفار يتمعثون بها تدفعه فهم لطبيعة من حوم اخيوسات وساءل ويتقون عديده الحر والقرو وأصوفها وأمرها فكيفهم هم صناعه السج وفروع لفسف واهتدوا الى طرق الفلاحة فأحدثو مسكن واستوصوه وهذا أول أدوار لأمة البربر وأول درحة في ساءل من حصيص امتوحش الى معارج الرقي وعلى عهد الغيبقيين حثت مدينة تورره غيرها من بلاد اخريد وحدث سنة 1100 قبل امير المسبحي وانتقلوا من حلة الدواة الى حلة حصارة وقلدوا الأمة الغيبقية بعض سقيده و يمترح لفسفون بأهالي هذه البلاد كل الامم لفسفهم عن مراكزهم الحرة و لفسفية وبقي الأهلي قسوس وأحدثوا حصصين من خصص لدولة قرطاجنة والفور عنها الى ساءل حمت هاته دولة البربر وحدث سنة 146 قبل الميلاد وطحنتها بكلاكم وحرب مدسه قد طاحه وبعض مدن أخرى واستولت على ما كان بيد لقرطاجين من البلاد ومدن مودده الى ما وراء ذلك حتى تداولوا هذه البلاده وعمروها وقد سبق أن القيصر أغسطس وساحه غلبته الى تعمير البلاد لافريضة واستخراج كورها لطعبه فحلب الاف من الرومانيين عارفين بطرق الاستعمارية ومجهم لأرضي فسبحه فشرعوا في تخطيط المدن وتشيد المعقل و حصون وتسايقو في ميادين العمران بعرسة الأشجار ولاسيما الزيتون وحرارة الأرض ونفحير المياه وتقسيمها بالطرق هندسية فانسعت ثروتهم ونفطرت الأمم لرومانية على البلاد الافريقية استخرج عمراها فنتهى من جهة الجنوب العربي الى مدينة مطة من بلاد الحرد واشتهرت افريقية في أقطر لدب على عهد الفاصلة الرومانية بالخصب والثروة ونمو المحصولات الزراعية حتى صاروا يعرفون عنها بمخزون حبوب روم وبعثت من عابهم بها حتى قد عابها القيصر درياسوس بنفسه في أوائل القرن الثاني بعد المسيح وعلى عهد قيمات عمارت مهمة لأب عديده لميهم ومطمح لفسفهم تمجده امية وجمعها وتوزيعها على المروع الكثيرة لاعتداءهم بالأسعد الزراعية وما وحده من الحياة البربرية في بلاد اخريدية تقطروا عنها حانطو أهلها وأخذوا في جمع المياه وتوزيعها بكيفية معتدلة وشرعوا في غراسة الزيتون والأشجار شجرة من تن وعس ومشمش والبرج واحصا أنواعه ونفول أرضه وحصصوات عالم يكن سكان البلاد يعرفون له اسما ولا رسما وامتد غراسة الزيتون من مطة الى مد صف قس شرقا ثم بلاد سيطلة شلالا سوى ما يتخلل ذلك من بعض لفرع يترك برعى حيواناتهم أو بعض ضرورياتهم وفي هذا الدور صار لمصر العصب في عمران هذه البلاد التورية هو المعصر الروماني ولو أن المعصر البربري ساءل به لكنه صار ندعا للمعصر احيى في جميع حركته فامتد عمرها واستبحرت حصارتها وقوي شأنها الى أن فشل ربح دولة الرومان وأدركها الهزم فسقطت عليها دولة الواندال و ستولت على مملكها لافريقية ومركزها مدينة قرطاجنة وصارت افريقية دولة ملكية وراثية وذلك سنة 439 بعد المسيح ونشرت أمة الواندال في لفسر والامصدر وسكنوا أهل البلاد فصار سكانها اختلاط من البربر والرومان و الواندال واستمر الواندال منسلط على البلاد الافريقية الى أن هجمت عليهم أمة الروم سنة 533 بعد المسيح وهي القسم الشرقي من سلطنة الرومانية فسقطت دولة الواندال هانيا و ستولت دولة الروم على بلاد افريقية الشمالية ولم تتمكن من اخضاع أمة البربر المتوغلين في دواخل البلاد ولذلك لم يختلطوا بهم في هذا الدور وكذلك أمة العوطلي التي كانت مستقرة غربي أوروبا ثم تسلطت على غربي البلاد الافريقية سنة 618 بعد المسيح فلم تختلط بأهالي هذه البلاد أيضا وغاية الأمر ان البربر أهالي البلاد الأصلية لما ضعفت فيهم سلطة الأجنبي انسعت فيهم روح احية القومية وصار أمر البلاد بيد أمرء من البربر وهم نوع ارتباط بالمركز السياسي الى أن وجدت أمة العرب من بلاد المشرق على فريقية تحت لواء سيدا عبد الله بن ابي سرح وذلك سنة 27 هجرية وسنة 647 مسيحية وساق على المركز حدود الحرارة والتحم القتال بين العرب وبين الروم والبربر في عدة مواطن انتهت بقوز لحدود عربية

واستبلاهم على الأراضي الافريقية بعد مقارعات عيفة ومن هنا تقتصر على التاريخ الهجري لأن بمعرفته تبين ما بين التاريخين فيقع الاستعانة به وبعد أن استقر قدم لعرب ورسخ ملكهم دحل أعب البلاد في الديانة الاسلامية طوعا لما رأوه في طبيعة الديانة الاسلامية من المحاملة والرفق وبها تدعوا الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساواة في الحقوق الشخصية والمدنية التي هي الضالة المشوذة والأساس الذي قامت عليه الشرائع السماوية والوصفية وبذلك استقرت عدة عائلات بالبلاد النورية بصفة مأمورين وبعضهم من أخلاط الجند واحتكك الأهالي بمعصر العال مع حسن معاملته جذبتهم طسعة الدين الاسلامي لاعتناقه وأخذ في الانتشار واستمر الدحل على ذلك الى سنة 440 وفي هذه الأثناء هاجمت القبائل العربية من بني هلال وبطونهم وبني سليم وشعوبهم بلاد افريقية للأسباب المقررة وانتشروا في سهول وحبش وشرعو من البربر أغلب ما بأيديهم من الأراضي وامتد تسلطهم الى المدن والقرى فانتزعوها من أيديهم وفي هذا الدور زاحوا سكان هذه البلاد احريديهم واندجوا فيهم وزحزحوهم عن مراكزهم وضعف العنصر البربري مع العنصر الروماني والوندالي ولم يبق منه في هذه البلاد الا لقليل يظهر من أول نظرة للرأي المدم الروماني والحرماني اخري في عروقهم أما ما هو موجود الآن في البلاد التوزيرية فأغلبهم من حسن العنصر اذ يرده أصلهم من مدحج قبيلة من عرب اليمن الا بعض لدحلاء فيهم ومسعوسه أصلهم من دريد الذين هم من قبائل العرب مداحين وأخصه فرع من بني يزيد احد عشائر بلاد بقطه أصلهم عربي سباني الكلام عليهم في التعريف عشائر بقطه والشرفاء فرع من عشيرة شرفاء بقطه يأتي تعريفهم أما البقصة فيهم من الخيامة من فريق أولاد أبي يحيى وأصلهم من بني سليم الدخيلين وأولاد سيدي عبيد بن جعوب الى القبائل العربية ويستسول الى اهواشم وان اندمج فيهم غيرهم من القبائل فيهم تختلطون بغيرهم وأما أولاد اهادف فجدهم اهادف ورد من ثرب من نيف بني مربي الذين هم من عرب الاقح، حنفوا قبيلة العرج في الرئاسة على البلاد وانتزعوا ما بأيديهم وشتموا شتمهم بنوع المكان فلم تنق لهم بقية وأصل قبيلة العرج هذه فرع من الدواودة الذين هم من العرب الدخيلين استوطنوا بلاد تورر عندما أدرك اهرم دولة بني حمص في أول القرن العاشر وبها هم من العصبية في بني حلدتهم قوي بقودهم وصار هم اخط الأوفر في البلاد الى أن أذن له دحل الأيهم عبيهم فبقرصوا والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أما حهم فيهم أخلاط من لبربر الأصليين والورديين من بقرصة بقرصة من سبل الرومان والوندال إلا البعض منهم هم من قبيلة رهانة شعبة من العرب لخالين استقر سلفهم في أواخر القرن الخامس هجري وأما لشاية فأصلهم من لشاية قرية من قرى المهدية ستقر سلفهم بها في أو سط القرن لثامن وردوا على افريقية من بلاد الأندلس عند تغلب السلطان بي الحسن امريبي عليها في حملة اخذ وعد وقوع بكبة السلطان ورجوعه الى المغرب استوطن هؤلاء بلاد اقبية ثم تأمل محدهم وقوي شأنهم وانتقلوا الى بلاد الشاية ومكثوا بها واتخذوها وطنا وكان احد أفاضلهم المسمى سيدي نعمون من استحب نذهب بصوفية قد استوطن مدينة القيرون واستمال الناس لمدهه فأقبلت عليه بعض القبائل وانقدت لموعظه وخضعوا لأوامره فحصلت بدت لدريته وحاجة واعتار في بقر لعموه وفي سنة 933 قام منهم الشيخ عرفه على السلطان الحسن الحفصي حين اضطربت عليه لبلاد ببيع رحل من لمتوبه اسمه يحيى أوقفه في السلطة ورغم انه حفصي جاء من المغرب وتم له الأمر والقوذا الحقيقي للشيخ عرفه ثم فر بعد دحل ونوس في دولة السلطان احمد فوقع عليه القص وقطع رأسه وبقي الشيخ عرفه لشاي بيده الأمر ولنتمت عليه لأعراب من قبائل دريد وغيرها الى أن مات وقام بالأمر بعده بن أخيه محمد بن أبي الطيب ولم يزل مركزه مدينة القيرون الى ان انتزعها دزغوث باشا طر بيس في حدود الستين وتسعمائة بمواليات أهل القيرون بالقبض عليه واعتقل ففرت أشبايعهم من القيرون وسكوا بالبادية وانتشروا واستوطن جماعة منهم جهات الحريد بنحهم يتجمعون المرعى لمواشيعهم اين ما وجدوه ويأوون لبلاد تورر وغيرها من بلدان الحريد عند الاقتضاء وبم كتسبوه من السمعة والوجاهة بحروجهم عن الدولة وانتحال مذهب المتصوفة صار لهم نفوذ في عرب افريقية وعوائد يستخلصون عليها فقوي أمرهم ولارلت نفوسهم نائقة الى قوة لسيطرة والنفوذ الى أن جاءت دولة المراديين وأوحسو منهم خيمة فانتهاز محمد بن مراد باني فرصة ظهور بعض الخو دث على يد بعض رعيانهم وأوقع على طائفة منهم القبض وقتلهم بتوزر سنة 1090 ومن ذلك التاريخ أحد أمرهم في ضعف الى أن استوطن أكثرهم بتوزر لكن بقي لهم ميل لاقتناء العلوم وظهرت فيهم علماء وصلحاء لا ينكر فضلهم رحم الله لسلف وبارك في خلف وأما لجماعة فليسوا من فريق واحد يستسبون اليه فيهم عدة عائلات متفرقين في العشائر وردوا في أزمنة مختلفة ثم التحموا بنولاد اهادف في المدة الأخيرة وكان لرؤساء هذه العائلات نفوذ ووجاهة بين أهالي البلاد يعتمدونهم في الرأي وسديد النظر ولدت يعبرون عنهم بالجماعة بمعنى الأعيان وقد ظهر فيهم أفراد نفتخر بهم البلاد فمنهم العائلة الشاذلية التي أحد أفرادها الشيخ محمد ابريس بن شاذلي رنخل لنوس وعكف على اقتناء العلوم العلمية وجد واحتشد الى أن حصل على لخط الأوفر منها وكان العلماء بتونس يباهون به ولاسيما في العلوم العقلية فكان له فيها القدر المعلى وبه عدة تعاليق ورسائل في فنون شتى ومن نظم الشيخ الزين قوله :

وتباهها بعلوم المرتبة

ودنسها من بسبابه فحجته

جلس السعد على كرسيه

وألقى العقل إليه زائرا

رأيت مقامات في لأدب يحى بها منحي مقامات الحريري وقد تقلد خطة لاقتناء بتوزر فقدم بأعبائها أحسن قيام رحمه الله وقدر روحه لبركية مات سنة 1280 هـ كما ظهر بعشيرة الرسة رجال فطاحل ريت بمأثرهم المحافل وسارت بمفاخرهم الرواحل فكم نوا من المحدث

تصوروا وملؤوا بالعلم صدورهم، فمَنَهم العلامة الماهر والبحر الذي تفتنص منه الجواهر من طوق ذكر ثلثه الافاق وانتشر عبره في البرية على الاطلاق الشيخ سيدي ابراهيم بوعلام تغمد له برحمته وأسكه فسيح حته كان له قدم راسخ في العلوم العقلية ولثقبة ارتحل الى محروسة تونس واجتهد في اقتناص الجواهر واقتناء المفاهيم والارم أيمتها الاعلام وهجر لذيد الميام فحصل من الفنون لعلمية ما عمر به حرانه وملأ به وطابه ثم رجع لبلده توزر وتقلد رئاسة القضاء بها في زمن صرب فيه لتعسف أطبائه وفقد الحق وسننله وأسبابه فشمّر على مساعد خذ وتصدى لمقاومة الظلمة وصد تيار جورهم ولاقى من جراء ذلك صعوبات وأتعاب مدنية ومالية ولم تفر عزيمته قدس الله تلك لروح لركبة الطاهرة وكان له مكانة عظيمة عند أرباب الدولة وله محاليس ومحاضرات تكتب بهاء العين وله تأليف ورسائل شتى في فروع مختلفة من قصائده لرئاسة فقد سارت بها لركبان وفاقته بلاغة سبحانه رحمه الله وتبرز قبل ذلك علماء اعلام يعدل حصرهم مات سنة 1303 رحمه الله تعالى

فصل في الكلام على مدينة نفطة

ذكر ولي الدين بن خلدون أن أول من استوطن هذه البلاد قبائل البربر وهم من ولد كنعان من حام من نوح عليه الصلاة والسلام حسبي نقل عن ابن حزم بن حزم من بلاد أسبانيا بلاد إفريقية وهم خوة القنط والوثة والخشة سكن هؤلاء أراضي مصر وتشرّب قبائل البربر في جهات إفريقية الغربية الحبوبية والسهلية والوسطى وما عددهم إلى أن ملؤوا البراري والغفار والتلول وحال وهم رحلة شأهم سكنى حكام ومكسهم الشاة والابل وسوم على هذه الحالة فكتب في سنة 1100 قبل الميلاد وفي هذا الدور تبدأ عمران هذه المدينة على ثلاث مدن أشهرها مدينة درجين ثم مدينة فرشانة ثم مدينة قطار وكانت قطر عربي راس عين البلد يعتمد من العرب إلى المشرق ثم يغطف شمالا مسددا من جهة الجنوب بحرى وود سند إلى أن يفصل عنه فبعت حصه الطريق الموصلى إلى توزر المسمى الآن بشبه لعائد حسين ويسمى من جهة الجنوب لغربي مدينة فرشانة وما صربح سيدي حسن عبيد وبني فرشانة من جهة الشمال المسمى مدينة درجين وهي التي بها صربح سيدي أبي علي وكانت هذه المدن في ابتداء أمرها مدائن إلى أن استولت دولة الرومان على إفريقية وامتد تسلطهم إلى هذه البلاد فجمعوا ما كان متفرقا من مهاب وورعوه على امراخ ولأخيه وشرعوا في عروسة اسجبل ولرينون في الجهة الشرقية الحبوبية وامتدت لعراسة حول بلاد عروا وشرقا معطف إلى جنوب إلى أن اتصلت الأحصنة بعضها وحصصوا أحياء قرب البلد لعرسة الأشجار المثمرة من تين وعنب ومشمش وإحاص جميع أنواعه وره من درج مع القنط والخصرة وامتدت غرسة الأشجار نحو شامية أميال واستحل منهم أهالي البلاد طرق لاستعمار وقلده هم في يسكنونه من احصنة عظم شأهم وقوي عمرانها وانتقلت من حصيص الاحطاط إلى أوج لتزقي وبهذا الامتراح اكتسبت أهمية عظيمة فتفتت أسواقها وتبحر عدها ماها من حسن لموقع الجغرافي وهي واقعة في جنوب الغربي من مدينة قرطاجنة تحبذ فاصانع السودان وتفتح لغرب الأقصى والأوسط ومنها تنتقل إلى دواحل البلاد الإفريقية ولا زالت زهرة مدة احتلالهم بالرومان إلى أن تطلعت أمة لوندال على البلاد الإفريقية وشرعوا من يد الرومان فوقف سير تقدمها لفقدان الأمن في طريق القوافل لأن عداية الرومان بأمن السبل أكثر من عداية لوندال وبقيت على هذه الحالة إلى أن هجمت أمة الروم على بلاد إفريقية وفي هذه الأثناء استقل عدة أمراء من البربرها ومن حملة المستقلين أمراء قسطنطينية ثم هجمت أمة العوط على إفريقية لغربية كما سبق وفي أثناء سنة 647 مسيحية وسنة 27 هجرية افتتح العرب بلاد إفريقية وقد سبقت الإشارة إلى أن فتح بلاد الحريد كان صلحا بحيث أن سكان هذه البلاد انعقد بينهم وبين الأمير حسان ابن النعمان اعساي عهد والنزاهة فيها أهالي بلاد بالطاعة والالتقياد ودفع ما تعاودو عليه لست المال وتعهد لهم الأمير بحفظ ذمامهم والبدفع عن مصالحتهم لشخصية ومدنية وعصب فيهم من يقوم بشؤونهم ويدافع عن مصالحهم فلم يلبثوا إلا قليلا حتى اعتنق أغلبهم الديانة لاسلامية طوعا ومن بقي على الديانة النصرانية انتقل إلى حريرة سردنيا وما وصل القرن الثاني هجري حتى لم يبق هذه البلاد غير المسلمين إلا أنهم لما كان دخولهم في الاسلام مجرد تقليد في عوالم المسلمين كانت عقائدهم على غير أساس إلا النزر القليل الذين هم من العائلات العربية أو الذين ارتحلوا إلى المشرق ودرسوا أصول الدين الاسلامي وفروعه وأتقنوا العلوم الشرعية ووسائلها فإنهم لما قفلوا هذه البلاد أخذوا في نشر العلوم والآداب ولم يزلوا يذللون جهدهم في نزاع طرا على العقائد من الأدران واعتزستهم في سبل ذلك عقبات إلى أن جاءت دولة العبيديين وكانوا مع أشياعهم على مذهب الشيعة وذلك سنة 297 هجرية فاصطدم مذهبهم مع مذهب الخوارج الذي هو ضد مذهبهم وقامت بين الفريقين حروب شديدة والولدان وكان رعيم اخوارج رجل توزري من قبيلة يفرن إحدى قبائل البربر يقال له مخلد ابن كيداد ويكنى بأبي يزيد والتفت عليه قبائل البربر من كل ناحية منتصرين لمذهبهم إلى أن انتهت بهزيمة اخوارج وقتل رعيمهم وبقيت هذه البلاد محضرة بين خوارج وشيعة وسنية إلى سنة 442 هـ فعمد العرب باديس الصنهاجي وحمل الناس على مذهب أهل السنة وألزمهم بتقليد مذهب لامام مالك رضي الله عنه ولم يبق على مذهب الخوارج إلا من نزح لمستعمرات الجبال ومستعمرات البراري الفقار وبعض الجزء البحرية.

فصل فيمن طلع في سماء البلاد النفطية من علماء الأمة
ومن سطع في أفقها من البدور والأهله

[illegible]

وحتى متى ليل الضلال معس
فينزع للترحال صب معرس
وما لاح اصباح وما اشمط حنفس

أماء ان من صبح الرشاد تنفس
ترائي أرى فجر الهدى متعرضا
ومما حذري الا شعوب مغيرة

من شيب لاله بل حجر اي يعقوب ، ثم بعد فإن كتابك مشتمل على ماهية العقل و حقيقته وقد ألعبته و افا بمقصودك غير و اف بمقصودي و لست بم قسح عن لدر بالصدف و اقتى علوماً لم يؤمر بها شرعاً و استعرفت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور في مهوات الشف ، و كل ما تدروه روح الموت فالحمة تقتضي تركه و قد استشهدت بأحدث في الأسباب و الترقى منها الى مسبها فالأمر كما ذكرت لكن ليست أسبابا هي طلعت ثلاث بل هي اسباب نورانية يستدل بها على منورها فمعرفة النفس مقام محمود و هو مقام المقربين يمزج من شربه الصراف لأصحاب اليمين ، فالمقرب من عرف نفسه موحد لربه و قد من الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعصدها الشرع و يشهد لها بعض السليم اجمع بين الأصل و الفرع كالجمع و لا فرق و حرق السبع الطاق و حقيقة البر زخين و ما شملت عليه أرحام الاشيين و لترقي من الأين الى حيث لا أين و كيفية الأرواح و الأشباح و سكون الليل و انفلاق الأصباح و اختلاف الألسن و الأصوات و منطق كل شيء و عجائب الآيات و غير ذلك مما لا يلغى قط مسطوراً و قد اصمحل الوجود و بطلت دعواه و أبرز المكون على كل شيء كلال هو الله و اعرب بلسان فصيح غمزا و رمزا هل تحس منهم من احدث او تسمع لهم وكزا .

لرأيت غزلانا تصيد سباعا
لظلت بالحسن البديع مراعيها
وأرى التكلف لا يسزيل طباعا

بل لسورأيتنا والأجبة يبتنا
بل لوتسرى تلك البقاع وأهلها
شوقي طباع واصطباري كلفة

وكثيرا ما تشير الى كتب حرام مطالعتها والوقوف عليها شرعا ولنا في رسول الله أسوة حسنة ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وكفى بهذا جمعا واحتفية السمحة قد أشرق سراجها وغمر سورها قهر سلطانها كل أشوص عاني القلب ليس له تحقيق أهل الوصول ولا تدقيق أهل الأصول اجمع الرعاع الذين هم لكل باعق اناع قد أوثق الغي عقولهم فهم في ريسهم يترددون افتي معرفتي أرى الشر من دوي البهجة قريبا وكأني بسبيدي يقول شب عمرو عن الطوف وما أحوجه في حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شيء من الدوق، واعلم أنه لا تظهر حالة حسنة الا بملازمة أصل صحيح فإن كنت ممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وأباب الى الله بقلب سليم فهذا إذا أقبل فديك متع لما يوحى اليك ولا فاطوعني طريان الهذيان ولا تقنع لي بالشنان يأتني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فأتعني أهدك صراط سوي ب أنت لا تعد الشيطان ان الشيطان كان للرحمان عصب يا أبت أي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولي قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفياء.

ولما استبان الصبح أدرج ضوءه بأنواره أنور أنور ضوء الكواكب أشرق في الليل نور هجته ولاح حتى أطمى شعاعه كل مصباح

مازلت أنكر أيامي وأعرفها
حتى استبان فلابيض ولا سود
وجمال بي في مجال الكون غتبطا
لا القرب قرب ولا الأبعاد تباعد

جعلنا الله وبياكم من الموحدين المتبعين ربه ما من الملحد من المتدعين وما كان لنا أن نأتيكم سلطان إلا بدن الله وعلى له فليتوكل المؤمنون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين (اه).

وله ماهر لا تخصي فقد اشتهرت مناقبه في لافاق وصدرت بحل حجاج وتدفق نوفي رحمه الله يوم الخميس عاشر شعبان لأكرم سنة 610 وتجاوز عمره المائة سنة.

ومن الوافدين على بلد نفطة البرر امتر ولطود الشهير إمام المعارفين وقدة المشايخ الشيخ سيدي محمد معاد قدس الله سره ورد من تلمسان على بلاد القيروان في أوائل القرن العاشر وسنه يتصل بالمولى سيدنا ادريس اس عبد الله الكامل من ولد حسن اس مولانا سيدتنا فاطمة الرهراء اسة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكانت عائلتهم في تلك الأصقاع مشتهرة هذه السسة وهو ذو وحاهة واعتبار ارنحل من بلد تلمسان لانعام معلوماته الى الدير الشرقية ثم استقر بالقيروان مدة حتى امتلأ بالعلوم الدينية ووسائلها وعاءه وأشرقت بالمعارف والعارف سماءه ثم حج وقفل راحل لبلده تلمسان فلما برل بنفطة وذلك سنة 933 هـ استقر سزوية هناك لأحد المراضين بها اسمى لشيخ محمد الوطاسي وكان مشهورا بالولاية فمكث عنده مدة ريشا يجدر رفة يسافر معه لبلده وفي حلال دت طلب من شيخ لراوية أن يقرىء درس ينتفع به لناس حتى يجد فرصة للسفر فشرع في التدريس وشر الدر العيس وأقبل عليه الناس بتمعون بعلومه من كل صقع حتى قيل أن حلقة درسه تشتمل على مئتين من الطسة وشتهر عبد الناس علمه وصلاحه وسنه الشريف فرعب منه الشيخ الوطاس المذكور أن يصاهره على ابنته فاعتل له الشيخ بأنه لم تكن له هذه البلاد وطنا حتى يتروح فيها فأجابه الشيخ الوطاسي بأنه احتاره لأجل شرفه وعلمه ليكرم به ابنته وبعد البناء بها يسافر بها الى بلده متى شاء فاستخدر لله تعالى ثم أحياه لمروغه وصاهره عليها على أن يقبها معه عند سفره، فلما بى لم يمض عليها عبر شهرين حتى ظهر حملها وبسما هو يترقب الرفقة ليسافر بها حتى ثقلت عندما وجدت الرفقة فوحت نأخير لسفير الى وضع حملها ولما وضعت ولدت ولدا ذكرا وهو بكر الشيخ سباه محمدا ثم غلب عليه اسم حمود على عادة بلده أهل المغرب فانهم يدعون محمد حمودا وبسما هو ينتظر ان يترعرع الولد ويجدر رفة حتى حملت حملها الثاني فولدت آخر سباه عبد القادر ثم ولدت ثالث سباه عبد الرحمن ولما مرض الشيخ الوطاس ولم يكن له ولد ذكر عهد بنظارة زاويته وأوقفها لسيدي احمد معاد فكان ذلك سبب قامته بنفطة فانصب لتعلم العلوم على اختلاف مشاربها وتنوع فنونها من عقلية وتقنية ثم عكف على العبادة وسلك طريق الزهد والمجاهدة وكان له المقام الأسنى في طريق الارشاد والتصلع في معرفة مناهجه فاستنارت بهديه هذه البلاد وسلوكوا سراجهم منهج الرشاد وسبأت ذكر عقبه وما ظهر فيهم من علماء وصلحارصي الله عنهم وأرضاهم فقد نفع الله بعلومهم الأمة وانقضت بشموسهم السحب المدخمة ولن يرال ضوء شمسهم بشرق في الآفاق واعلامهم تحفق في أرجاء العالم أي اخفاق.

ومن الوافدين على بلد نفطة العالم المحقق سيدي عبد القادر تلماسي قدم الى هذه البلاد في حدود سنة 1140 هجرية وشرع في بث لعلوم وأخذ عليه من أهالي البلاد وغيرها خلق كثير فقبو على ماهر علمه واغترفوا من بحر معارفه وحصلوا على الحظ الأوفر من العلوم البوغة وتوفي رحمه الله سنة 1156.

ومن الواقدين على هذه البلاد العالم الشيخ سيدي محمد المداي بن عزوز والتقى بالشيخ محمد الصغير بن المبروك وكان عددا متبحرا في فنون لعدم ولله القدر المعلن في علم الحديث رواية ودراية واس عمها الأديب العلامة الشيخ سيدي محمد التارزي بن عزوز ومنهم العالم علامة شيخ سيدي محمد بن عزوز وقد هؤلاء لاعلام في حدود سنة 1257 من بلاد الزاب فشيّدوا من لعلم قصورا وأشرفوا في أفق هذه بلاد بدور واستمروا في نشر علومهم وادبهم ولا سيما الشيخ سيدي لمداي فإنه ركّز في هذا الميدان وأحرز حلة السبق في مضمار العرفان ربحهم الله تعالى، أما المرتحلون فسيأتي الكلام عليهم عند ذكر عشائر بلد نقطة ان شاء الله تعالى.

فصل في تبصر عمران بلد نقطة وكثرة خيراتها

قد تبصر هذه البلاد في وب صوارها يسكنها فئات من البربر وانحدروا من مسكن من حريد النخل و لطيف بأوون ليها عند الحاجة الى ان ستوت دولة - من على بلاد افريقية وامد بمودها ان بلد نقطة وتصدى الرومانيون انى ث بدور لعمران وحصر لميه المتفرقة وجمعوها ثم فسموها بكيفية هندسية على الأربع وحفون وعم لانتفاع بها وشرعوا في عراسة السحيل والريون وغيرها من الاشجار ثمرة وزرع لبقول واحصروا وب وقت حله بلاد وحدت في السرح الى ان وصلت نهاية العمران بالنصر للحلة الاولى وستوطن الرومان البلاد وامتحروا انهميا وفلسدوهم في سيراتهم معمرسه والاخرى عية وصارت مدينه نقطة من الأمصار عطيفة بسبب كثرة مياهها وجوده ترابها وحسن موقعها خمر في وتشمل هذه امده ثلاثة بلدان كما تقدم هي - فصر وفرشاه ودرجين وحوب هذه مدينت غرسة الريون والسحيل ولشجار على اختلاف نوعها فكانت بكثرة مياهها وانتاج عمارها حدث تحري من تحتها الأنهار وبها حصل لها من الثروة وميو العمران اشجارها منها نوع لثكس من ررعه وصنعه ونحوه بسبب وجود لانتاج املاحه وورد انفسه من عليهم من دول فريضة وبلاد سودان وب سقطت دولة الرومان واستوت دولة بوبد على بلاد افريقه وذلك سنة 439 بعد ميلاد وحدث فريق في الاخطاط من جهة عمرها ودرجعت حلتها ووقفت حكتها بحرية بسبب خدم من اسس د لوندك لم تكن هممة الرومان في الأمن ولاطمئن واعية نبيه شعب ولاستبلاء على الارضي لأهل دولة حدثة لم يكن عندها رسوخ في سياسة الشعوب ومعرفة أساليب تدبير شؤونها وبذلك اندم حتى هاجمت دولة الروم اشرية وطحها كلاكها وذلك سنة 533م وقد ملخص صل تسطها على أطراف لبلاد من قبل تسلط روم عنها مائة وسبق بذلك عدة أمراء الى أن هاجمت الأمة لعربة على بلاد افريقه وذلك سنة 647م مسيحية وسنة 27 هجرية وعقدت مع أهلى هذه لبلاد صلح تعهدت فيه لأهلى بربح من الرسوم مائة الشريعة لتست من المسلمين واخضوع لأحكامهم وعهد لهم لأمير بتوطي الأمن واحترام لأحكام العدية والسياسات في الحقوق وحفظ دماهم مما يطرقتهم من كل عدو مدحج فاستقر فرهم وب جمعوا لهم سبي بعد أن وقد بعض عائلات عربية من بلاد اشرق حامية لواء السمل اشرقي فشروه في هذه لأصقاع مع ما تقتضيه قم عد اشرع الاسلاميه من كف لندى القتل والعدوان والامر بمعروف والعدل والاحسان فأقبل الناس على سكى البلاد وورد د عمرانها ووقفت سوقها ورحت بصنعها في طبيعة البشر من أن الاساس اذا كان آمب على نتائج عمله نعتت نفسه للسعي في استجراح كور لأرض بجميع المؤسسات ولكد في مناسبت تحصيل ثروة وكم اردادت ثروته انتقل في جميع حالاته الى حالة أرقى من حالته التي كان عليها بسبب ما تقتضيه لأدوار معدرية وبذلك فون أهلى هذه البلاد ستفحل أمرهم وقوي شأنهم واستبحر عمران بددهم حتى بلغت مساحة عمرها ثل عشر ملامرعا لأن صوبه من لشرق الى مغرب ثلاثة أميال وعرضها من الجنوب الى الشمال أربعة أميال ومما يؤيد ذلك ما يوجد من بقاير وآثار مواحل لريت ومعاصر ريتون بأطراف لبلاد ووسطها وفي اثناء تسلط لأمة لعربية على هذه البلاد اعتسق من لبربر ورومان أهلى البلاد الأصلية الدينية لاسلامية طوع ولأرأوا يدخلون في دين الله أفواجا وما وصل القرن الثاني هجري حتى لم يق بها غير تدبير الاسلامي لأن من بقى على دينه المسيحية انتقل حريرة سردابا عية الدين سلموا لم يحسوا العقائد الاسلاميه على حقيقتها لأنهم تنفقه من خلط الأعرب ولطيف لحد ومن هم موجودون من بعض من لهم رسوخ في العقائد الحققة قليل جيد ومع ذلك فلم يستقر قدمهم هذه لبلاد لأنهم امراء منكوبين أو رؤساء الجند وهؤلاء ينتقلون من بلد الى أخرى على حسب الاقتضاء الى أن جاء دولة لعبيد بن وديت سنة 297 هجرية وكان العبيديون مبي مذهب الشيعة ومن أنظم لهم من البربر فتمذهب بمدتهم ولما كان أغلب سكان افريقه على مذهب اخوارج المدن هم صدم مذهب لشيعة اجتمعت قبائل البربر تحت رئاسة زعيمهم أبي يزيد الخارحي لمستخدم ذكره وقامت بينهم حروب مالت فيها لدماء أنهارا كن منتصرا المذهب وساء ورء تحصيل الرئاسة لأهل عصمته وأخيرا انتصر العبيديون وقتل رعيم اخوارج وبقطع مدتهم من بلاد خريد وغيرها من البلاد الافريقية إلا القليل من تشرذ في الحال وبعض لجرر الحرية ولم تزل بلاد افريقية على مذهب لشيعة الى أن جاءت دولة لمر من ناديس المصياحي فابع خليفة العباسي سنة 442 هجرية ورفض مذهب الشيعة وحسن لاس على مذهب أهل السنة والتزام مذهب الامام مالك رحمه الله حسبيا تقدم بيانه.

فصل في أولية بني مدافع أمراء نفطة وما آل إليه أمرهم

سبب هذا البيت في عمان من طوابع العرب استقر منهم منذ أول الفتح في بلاد نوازة ثم انتقل أحد أجدادهم لبلد نفطة في أول القرن الثالث وثقل بها هم محمد وكان له أربعة أولاد مدافع وأبو بكر وعبد الله ومحمد وتفرع من هؤلاء أربع عائلات استبدت فيها رؤسائهم بأمر البلد من لشورى كما قدمناه ولما استولى السلطان أبو بكر على الخريد ونزل ابنه أبا العباس بقفصة ودلث سنة 742 هـ واستولى على بلدان الخريد وأرسل أحد أركان حربه أبا تقاسم بن عتو إلى بلد نفطة فحاصرها وصابقتها ولاد أهلها بالطاعة وأسلموا بني مدافع المتعلين فضررت أعينهم وأفلت سيف منهم عليا ولم هلك خليفة أبو بكر سنة 747 هـ وعدل الخاحب ابن تاجر كين على ولي العهد أبي العباس صاحب الجريد إلى بيعة أخيه أبي حفص عمر رحت أبو العباس إلى الحصرة طاب حقه واصطربت الأحوال وأسرع إليه لاحتلال فرجع أمر الخريد إلى ما كان عليه من سيادة كل رئيس ببلده ومن أولئك الرؤساء عبي بن خلف من بني مدافع فإنه استبد بأمر بلدة نفطة وعندما صرف السلطان أبو حسن وجهته إلى إفريقية يترعها من بني حفص وقد إليه رؤساء نفطة ونورر وقفصة وتلقاه علي بن الخلف ومن معه من الرؤساء إلى وهران فتغلبهم مارة وبكرمة ورجع كل منهم إلى بلده حاملا رنسته عبيها واستقر عبي بن الخلف بمارة بلدة نفطة ولم وقعت الكبة على السلطان أبي حسن سنة 749 هـ استدر رؤساء الأمصار بمصارعهم وعدوا إلى ما كانوا عليه من الاستبداد بأمر البلاد وكان من أمر الرئيس عبي بن الخلف أن تترع مدحبه الأخير وطرق برصى وبعدها ثم توجه إلى بيت الله الحرام فقصى مناسك الحج سنة 764 هـ وقفل إلى بلاده وهلك سنة 765 هـ وبلى مكانه به محمد حازم على سنته سالك سبيل الرفق والعدل والصلاح وهلك سنة من ولايته وقدم بالأمر أخوه عبد الله بن عبي فادكى سياسته وأوقع عمره وأرغف للناس حده فقممو سيرته وكان القاضي محمد بن خلف الله من طلبة الفقهاء قد نزع إلى لسلطان أبي اسحق من بلدة نفطة معاصيا لرئيس عبد الله بن علي بن الخلف وكان منهضهم في الشرف ومجديهم في الرئاسة على البلد فرعى له السلطان بوعه إليه واستعمله حصنة حصاء توسع عند مدح أبي عبي عمر بن عبد الرقيق فتمكن منه وسعى بعبد الله هذا عند خليفة ودله على مكانه بصره بمراتب بلده وقاد عساكر سلطان أبيه في رماحه ولما احتل بظاهر البلد وعبد الله رئيسها أسد ما كان قوة وأكثر جمعا وأمضى عمره وقد استأنف أخوه الخلف بن علي بن الخلف جماعة المشيخة دونه وحرضهم عليه ودخل القاضي وكان المرصد في اقتحامها حتى إذا كانت بيعة دس إلى بعض لأوعدي قتل أخيه عبد الله ومكر بالقاضي والعسكر وامتنع عليهم وعصم دوحهم واستقل برئاسة البلد وأقام على ذلك يدعي الملوك في سيرهم ويطرحهم في الكثير من مداخلهم ورجع القاضي محمد بن خلف الله إلى الحصرة بعسكره حاصر صفقته إلى أن توفي السلطان أبو اسحق فقام عليه بعض حاشية السلطان لصعوبة كانت له عليه واعتقله ثم قتله ولم يرل هذا الأمير مستندا سلاسه وما جاءه شامخا بانه على من يحاربه في هذا المضمار إلى أن أطل على إفريقية البار الأشهب والأسد المدرع أبو العباس أحمد الخفصي بحنوده الجررة من مكر حلافته وماوى أحداه وقد سبق ما قررناه أن أمر هذا الخريد قد صار شورى بين رؤساء أنصاره فيما قبل دولة السلطان أبي بكر لا اعتقل الدولة بقتلها فلما استعل السلطان أبو بكر أمر الدولة الحفصية وفرغ من لشور على صرف اليهم نظره وأوطاهم عساكره ثم نهض نفسه وتعب عنهم وعقد لاسه أبي العباس كم سبق في كان بعد مهلكه من صطرب إفريقية وتعلب الأعراب على بواحيها ما كان مد هزيمة السلطان أبي الحسن فريسي وتنازع رؤسائهم بعد أن كانوا أسوقة في انتحل مذهب المثلث حتى لقد حدثتهم أنفسهم بألقاب خلافة وأنقموا على ذلك نحو لا والدولة في شعر شاعر فلما استبد السلطان أبو العباس بأمر إفريقية وعمالاتها وأمر رؤساء أمصار الخريد على عداهم وأردادوا اعتوا واستكبروا شمر عن نمه ومهض من الحصرة سنة 777 هـ في عساكره من الموحدين وطبقت الجند والموالي قبائل زناتة ومن استألف إليه من العرب وكر على من حلف عن الدولة من الأمصار والاحياء فاكشع أمواهم وبعث رجالهم أسرى إلى السجون فحمد ذلك من عتوهم وقص من حاحهم إلى أن وصل إلى أنقرة وان وارغل منها إلى قفصة فاستعد صاحب توزر للمدافعة واستحضر الرجال وسرب فيهم الأموال فلم يعش شيئا ودار السلطان قفصة فمدجوا في عصبياتهم وقائلوه بجمع الأيدي على قطع نخيلهم ثم تساءلت إليه الرعية من أملاكهم وأسلموا له مقدمهم حمد بن العائد وأسه محمد استبد عليه بكر سنة واستولى على دحائره ومساكنه واجتمع أهل البلد عند سلطان ونوه طاعتهم وعقد عليها لاسه أبي بكر وارغل بجند السير إلى نورر وقد طار الخبر بفتح قفصة إلى ابن يملول فركب خيبه وحمل أهله وما حلف من دحائره وخلق بالرب وبعث أهل نورر بخير إلى السلطان فلقية أثناء طريقه وتقدم إلى البلد فملكها واستولى على دحائره ابن يملول ونزل بقصوره فوجد بها الماعون والذخ والسلاح ونية الذهب والفضة وعبد السلطان لابنه المنتصر على نورر ونزله بقصور ابن يملول وجعل إليه امرها واستقدم السلطان الخلف بن علي بن الخلف صاحب نفطة فقدم إليه وأتاه طاعته وعقد له على ولايته وولاه حجابة ابنه نورر وقبر له معه واستحلف عهده على نفطة ثم سعى بـ خلف بن علي بن الخلف بأنه يداخل ابن يملول ويراسله في السعي للاستعداد برؤساء الأعراب والنجار بهم على السلطان والاستظهار بهم للحصول على بغيتهم والرجوع إلى حالتهم من الاستيلاء على البلاد والاستبداد بمصارعها كما كانوا فبث المنتصر عليه النعوى والأرصاء حتى عثر على كتاب بخط كتيبه المعروف إلى ابن يملول وإلى يعقوب بن عبي أمير لدو ودة يحرضهم على الفتنة فتقبض عليه وأودعه السجن وبعث عماله إلى نفطة واستولى على أمواله ودحائره وخاطب أياه في شأنه

فأمهله بعد أن تبين بقضه للطاعة وسعيه في الخلاف ولم يزل المنتصر مرتاباً بالخلف وحز رأسه متوقفاً سوء بغيته فقتله بمحسه وذهب في غير سبيل مرجه وانتظمت أمصار الحريد كلها في طاعة السلطان أبي العباس واتصل طهوره وعلا كعبه وبقيت أمصار الحريد كلها في طاعة السلطان أبي توفى رحمه الله في شعبان 796 هـ وبايع أهل لدولة ابنه أبو فارس عروور فانتظم أمره وقوي شأنه واستند عليه أخوه أبو بكر بأمر قسنطينة ونزعها منه وحالفه ابن عمه الأمير أبو عبد الله صاحب بونة فنهض إليه وأخذها منه ورجع به معتقلاً ثم حالف عبيد الحريد سنة 852 هـ ففخر لهم نفسه وأحده منهم وكانت له وفدت مشهورة بلغ في بعض غزواته إلى نواحي عدامس وفي سنة 856 هـ استدعى من نقطة في خلافة السلطان أبي عمر عثمان فحرج له بحوذه العديدة واسترجعها ونظمها في سلك الإيالة وبقيت بلاد حريدة أمصاره حاصصة لخلفاء تونس إلى سنة 917 هـ عندما أدرك الهرم دولة بني حفص واستقلت أطراف مملكتهم واستند أمر حريدة بمصارها ومدهمت دولته بني حفص واستولى حمر الدين على تونس وبعض مدهم وحصبها بالسياسة سليمان وذلك سنة 955 هـ فسجد خفصي بدولة سبب وهجمت بحيلهم ورحلوا على البلاد التونسية واستولت على مدينتيها وحصبها فاستأصلب رحاها وأمواها ووطب مدهم سبب حبيب وبقي أهل البلاد يقاسون في اصطهاد سبب ومساد لأعراب وعشورهم إلى أن هدم أسطول الدولة العثمانية تحت رئاسة سبب باشا فشرح البلاد من يد دولة سبب ووصل الأمر ونقطع أثر الدولة خفصية وذلك سنة 981 هـ وأحدثت دولة سبب بواسطة أمر حديد أحد مدهم مدهم به باشا يظلمون سياسة لبلاد وأحكمها وشمره على مساعد أحد في نوصد لأمن وقمع المفسدين واسترجع ما سببه بعض رؤسائه في سنة 1010 هـ جهز عثمان دي حديد عتيد من البربر ومن مدهم منهم وسار لتمهيد السبل وهدنة لبلاد واستخلاص حبيب فمضى بقاد حديد طاعته ومن الحرف أخصه بقوة إلى أن وصل بلاد نقطة وسعد بنسبها فسمى على بن سعيد مقدومه شاف عليه بعض الأعماه خصوص بالمدن وشنت الحرب بينهم وحيث أنهم لم يأتمروا به فحاربهم في عدة أماكن من بلادهم ووسط عتيدهم بالمدن وأحدثت حارب لبلاد وشنت الحرب لعداها بدون سبب في حاصص أهل خلاف ولحق ومن هذا التاريخ وهو سنة 1010 هـ حسب بلاد نقطة سبب أمصار الحريد تابعه في سياسها وحكمها بحكمته حوسسة له مالك المملكه مدير شؤونها لأرب سواه سبب لمدن على بن توفيق.

فصل فمن استوطن البلاد النفطية من الشعوب والقبائل وما تداولتها من عناصر الأواخر والأوائل

قد علمنا من أول من استوطن هذه البلاد قديم البربر بدني وفيه من بلاد شرق قبل مبلاد فسخ للاف سبب باشا في بلاد الافريقية فمضوا سببوا وحاربهم في أول أحوارهم لا مفر لهم حيث لم ينجسهم بوحب عليهم انتقل لأن معشهم من الابل والبشاه يظلمون بها في حيث يستحقون كلاً منشتين في البربري ولحقهم يتمسبون بمدهم مضعة من حوم الخيول والبشاه سبب باشا وبتفهم سبب باشا وأوبره عدية أحر والقا يأتون لحملهم شتاء إلى هذه البلاد طلباً للصيد واستمروا على هذه الخنة دهور وأحدثت ثم حاربهم في حارب حديد السحل وطبر يأتون سببهم عند الاقتصاء ولازمو كذلك إلى سنة 1100 قبل مبلاد المسحي وفي هذه الأثناء وجدت لأمه اغنيشيه من بلاد الشام على بلاد افريقية واحتلوا بامهم البربر وسخدمهم في مصاحهم لاستعمارية باستبداد بامهمهم وتسحيرهم في أنواع تنكس من زراعة وصناعة ونجارة فأفدوا واستمدوا وقواعد حبة الاحماعة وفي القرن الثامن قبل مسيح حطت عدة مدن مثل قرص حبة وسورب وسوسة وأونيكه وهي الآن حارب قرب عر الملح وحيث تنقلت حارب القوطا حبيب من حابة لاستعمار في دور السياسة فحدث من البربر حديد وشرعت في تدبير شؤون البلاد بواسطة مأمورين من بني حديدتهم ومعصده لبلاد سالكة سبيل البربر والمداير إلى أن رشح قدمها واستحكمت سلطنتها إلا أن أطراف البلاد مثل جهات الحريد لم يتمكن من ارضاحها كل نوصوح وبسبب سببها بعض فروع انتمد بوعا واحتطت لأهالي من البربر بدنا لكن على حابة سيطرة وابتدأ عمران بلدان حريد في القرن الثاني عشر قبل مسيح وبقي على حابة الساذحة إلى أن وفدت أمة الرومان على بلاد افريقيا ونعلت على لأمه القوطا حبة وذلك سنة 146 قبل مبلاد وشرعت منها لبلاد الافريقية وأحدثت في تنظيم سياستها ودارة شؤونها بتأمين السبل وأشياء الطرق الصناعية ونحطيط المدن واعداد الحصون والمعاق وشمرت على مساعد أحد في اتخاذ وسائل الاستعمار من تفجير المياه وتوزيعها على المزارع وعراصة الأشجار المثمرة على اختلاف أنواعها وتسهيل طرق المواصلات وحدثت الافا من العائلات الرومانية لتدريب لبلاد على الأشغال الاستعمارية فاحتلوا بهم وقلدوهم في تقدمهم وابتدأ عمران البلاد الافريقية إلى أن وصل إلى بلاد نقطة من بلدان الحريد فجمعوا مدهمها المتفرقة وقسموها بكيفية هندسية على الأحياء حتى أشبهت غراستها وامتدت غراسة النخيل وبرتون نحو ثمانية أميال في الجهة الشرقية الجنوبية ومثلها في الجهة الغربية الجنوبية وتقاطرت عليها أمم البربر ولرومان وبما أن العصر الحربي هو العصر الروماني صار هو الغالب على العصر البربري قوة وثروة ونفوذ أمر ونكس البربر أكثر عدداً وبقيت الأمة الرومانية يمتد نفوذها ويموا عددها إلى أن فشلت وأدركها الهرم فسقطت عليها أمة لوبدال وهي أحد القبائل الحرامية التي وفدت من شمال أوروبا واستقرت غربها دهوراً حتى استفحل أمرها وقوي شأنها فسطت على دولة لرومان وشرعت منها بمسكها

الأفريقية وذلك سنة 439 بعد الميلاد وبلغ بها الأمر إلى أن استولت على مركز سياستها مدينة رومة وذلك سنة 455 بعد الميلاد المسيحي ثم انتشرت أمة الواندال في القرى والأضر وسكنوا أهالي بلاد الحريد وغيرها من البلاد الأفريقية فصارت سكانها أحلاط من البربر والرومان و سوندل و سندر لوسندل متعبد على لبلاد الأفريقية وأمصارها إلى أن هجمت عليها أمة الروم سنة 533 وهي لقسم الشرقي من لأمة لرومية لآلأما استقلت سياسة اليونان وتعاليمه ونظاماته فصارت ذات صبغة يونانية ولأ تغلبت دولة الروم على البلاد الأفريقية لم تتمكن من حصر البربر المتنوعين في دول لبلاد ولذلك لم يحتفظوا بأهالي هذه البلاد العظيمة في هذا الدور، ولما رأى البربر أهالي البلاد الأصلية لاحتلال سلطة الروم والوندال انتعشت فيهم روح احبة لقومية واستقل عنهم أمراء وبقي أمرهم على هذا المنوال إلى أن هجمت الأمة العربية على بلاد افريقية وذلك سنة 647 مسيحية وسنة 27 هجرية واستعدت دولة الروم لدفاعها بمعاضدة البربر ولتحمل خرب بينهم في عدة موار وفي ذلك الحرب بين الفريقين محالا وأخير انتهت غوز العرب وأحوا الروم عن مراكزهم واستولوا على معاقلهم وحصونهم وسروا من الروم والبربر عدد كثير وأخذوا كثير من أمراء البربر والروم واعتقلهم الأمير حسان وتقدم إلى مدينة قرطاجنة واستولى على ديارهم وأنشأ مدينة تونس فسقطت دولة الروم بها لئلا وذلك سنة 81 هجرية وسنة 700 مسيحية وحضر أمراء البربر وم بقي من الروم في بلاد الروم وأحكام المسلمين حصونا تاما حتى أن بعض المدن والأحياء لم تطأهم حدود العرب بل دخلوا تحت طاعتهم طوعا ومن ذلك مدن الحريد فبان فتحها وقع صلح كما سبق حيث أن بلد نقطة ونور وغرهم تنس أهلهم الأمير حسان بقفصة عندما أقل بجوده حربة من ناحية بركة مدار على بلد قفصة فأعطوه طاعتهم وعقد معهم عهده المعروف ولما رأوه في طبيعة الدين الاسلامي من المحاملة والرفق وحسن المعاملة ونسبوه في الحقوق أقلوا على اعتنا طوعا لقوة حادبته واستقرت عدة عائلات عربية وأصبح أهالي البلاد الأصلية من بربر ورومان ووندال هم المعمرون لبلاد إلى أن هاجمت قبائل العرب من بني هلال بن عامر وبني سليم ومن ادمع فيهم من غسان ومدحج والفتح وذلك سنة 442 هجرية في عهد الأمير المعري بديس الصحابي على اسلاذ الأفريقية كاخراذ ششتر واششروا في سهولها وحارب بعد حروب فمب بينهم وبين أمير صحاحه وفشل رسالة ست فيها دماء عريرة واشترغو من البربر ما بأيديهم من الأراضي وامتد تسلطهم إلى مدن والقرى واشترغوها من راسها وندحوا معهم وخرحروهم عن مراكزهم وضعف العنصر البربري والروماني والوندالي وما بقي من هؤلاء صارت تابع للعنصر العربي ومسح له الا أن القبائل العربية في هذا الدور لما كانوا من القبائل الرحالة لم يألوا سكى الأمصار ومع فو طرق الاستعمار وكنت هذه الاسلاذ حريدية متسعة لأرجاء فسيحة لأراضي عريرة انباه متوقعة في استخراج كورها على مواصلة عبيد وندفد وصارهم احار إلى مشاركة أهالي لبلاد وتقليد هم في شؤونهم الاستعمارية ولما كنت مدن نقطة عارة عن ثلاث مدن كى قدمه هى فرشنة وقصير ودرجن وكل عرب بدين سنقروا نقطة استوطنا اميدية درجن ومدينة فرشنة وقطيار يقطه البربر وبقي أحلاط من الرومان والوندال إلى أنى حرب عبيها في أواسط القرن السادس ولما بقى الاميدية درجن حسبا أشرا إلى ذلك من الشط.

أهالي بلد درجين

ولما بقى عن بعض لسبيين أن أهالي بلد درجين من عمل نقطة مقسمون إلى أربعة وعشرين قبيلة وهذه أسماء القبائل (1) سوزيري - (2) سوزرج - (3) سوزوء - (4) سوزجور - (5) سوزمادع - (6) سوزسبهمان - (7) سوزوروا - (8) سوزسيد الناس - (9) سوزابراهيم - (10) سوزتلايت - (11) سوزمحس - (12) سوزشيج - (13) سوزفرج - (14) سوزمحمد - (15) سوزجومس - (16) سوزولعاد - (17) سوزموقين - (18) لدار عيسى - (19) سوزربي - (20) سوزسنيح - (21) سوزدود - (22) سوزادريس - (23) سوزويداد - (24) سوزمحاسم، وقد قلنا أن بلدتي قطنار وفرشنة تنس عليهما لحراب وم يبق إلى بلد درجن ثم نوردت عليهما العتن والبلا حتى تافص عمرها وقل ساكوها وكاد يؤول أمرها إلى حرب والماء ثم نراجع أهلها وأقل عليها بعض قبائل العربية في أزمان مختلفة واستوطنوها واحتلظ الواندال من لعرب بأهل البلاد لأصبيه من بربر ورومان وندحوا فيهم بالمصاهرة واستوطنوا الآن أصلهم من الخنس العربي وماها من الرومان والوندال قليل جدا ويظهر بديى برني لدم احرماني لحري في عروفيهم من شقرة بعض الأفراد ويبض بشرتهم وحمرة شعورهم كما أن البربر يظهرن للمتأمل بجمودة شعرهم وكثرة ألوانهم وان اختلط الخابل بالنايل.

عشائر نقطة

لما عشتربند نقطة المرحودة لها لأن في ثلثة عشر وهذه أسماء لعشائر (1) الموعدة - (2) الشرفاء - (3) بنو علي - (4) خط الطين - (5) مسعود - (6) حشاشة - (7) روية سيدي حمادي - (8) أولاد شريف - (9) سوزيزد - (10) علقمة - (11) بيدة - (12) المصاعة - (13) زاوية سيدي حمد.

فصل في بيان نسب كل عشيرة من العشائر

فالمراد عدة ورد جدهم سيدي احمد معاد على بلد نقطة من تلمسان كما في ترجمته عند الكلام على الوافدين من العلماء والصلحاء وكان ورود سيدي احمد معاد على بلد نقطة في حدود سنة 933 هـ وسنه يتصل سيدنا احسين بن مولانا فاطمة الرهراء امة المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو من عائلة الادريسين الذي وفد جدهم سيدنا ادريس الأكبر على بلاد المغرب وتفرع من ابنه سيدنا ادريس الأصغر عدة عائلات وتفرعوا في بلاد المغرب الأقصى والأوسط ومن لتغلبين الى بلد تلمسان من عائلة الادريسين مولى عند خسار بن حمدان عطية الله لخد لأعلى لسيدي احمد معاد ارتحل من بلد فاس الى مدينة تلمسان واستقر بها وكنت له خطوة ومكانة بتلك الانحاء فتأهل له بها محمد وبصرعت منه عدة عائلات سيهة كان هم القدح المعلي في الوجاهة والاعتبار علما ونسبا وارتحل من هذه العائلة الكريمة عدد ليس بقليل لبلاد المشرق ولأندلس لاقتناء الفنون العلمية ومن لم تحل لبلاد المشرق سيدي احمد معاد فاقم بها مدة ثم كر راجع فلما وصل مدينة تقيروا ان قام بها سيرة يفيد ويستفيد ومنها انتقل الى بلد نقطة وستوطنها بعد الحج لنسب اندي قدماء وهو احمد (1 معاد - 2) بن محمد - (3) بن علي - (4) بن يحيى - (5) بن عبد المعطي - (6) بن عبد العالي - (7) بن حمدانومي - (8) بن مسعود - (9) بن اسماعيل - (10) بن عبد القادر - (11) بن عبد الجبار - (12) بن احمد - (13) بن عطية الله - (14) بن سعد الله - (15) بن ابي القاسم - (16) بن علي - (17) بن عمر - (18) بن محمد بن يحيى الخطوطي - (19) بن محمد العموم - (20) بن يحيى العموم - (21) بن القاسم - (22) بن ادريس الأصغر - (23) بن ادريس الأكبر - (24) بن عبد الله الكدم - (25) بن حسن المتن - (26) بن حسن سبط - (27) بن فاطمة الرهراء - (28) امة المصطفى صلى الله عليه وسلم استقر سيدي احمد معاد ببلد نقطة واستوطن بها وبزوح بكريمة الشيخ الوطاس كما مر فولد له بكره سيدي حمود ثم ولد له سيدي عبد القادر ثم ولد له سيدي عبد الرحمان ثم ولد لسيدي احمد سيدي علي معاد وبشأت من صلب سيدي احمد معاد أربع فرق وهم المعمر عنهم بنو عدة اولاد سيدي حمود وأولاد سيدي علي معاد اولاد سيدي عبد الرحمان وأولاد سيدي عبد القادر وحينئذ فبسبب موارد في صميم العرب من قرين من بني هاشم، ولد لهذه العائلة خبيث من اخذ الدخ بسبب قتل أفرادها على مباحث العلم وقتها حوهره ولاهيك في معاده والمجاهدة في رشاد الأمة تشبث لعموم بأذيائهم والتغو حوصه فاصحح اوية الملو عدة كعبة لقصد ومهل بورد وأقل أهلي الخرب عنهم يستفيدون من علومهم وارشادهم زيادة عن يرد من الأصناف العديدة فيسفر بمدارسهم التي أشروها ليعبري السبل والمستطعين لتعلم العلم وحفظ القرآن فيقومون بضرورياتهم المعاشية ومن المدارس التي أنشأت لخدمة لتي حول صريح جدهم سيدي احمد معاد فأنشأت لهذه العاية سنة 1017 وحدثوا بها بيوت لسكنى المقطعين لدراسة العلم وحفظ القرآن ومكتبة لتعليم صبيان ومسجدا للصلاة ومطبخا للطعام وبيتا خزن مؤونه الطلبة المقطعين بها وأوقفوا على ذلك عقارات يصرف متحصلها في كل سنة في لقيام بمصالح المدرسة ومن تصدى لتدريس العلم يشتغل بذلك بمجان وعصمهم له اعانات كافية بحسب الرمد والمكان ومن المدارس التي أنشأت لذلك المدرسة التي أحدثت حول صريح سيدي طاهر بن احمد معاد الأصغر سنة 1138 وأشروا بها بيوتا لسكنى المقطعين لتعلم ومسجدا للصلاة ومطبخا لطعام الطلبة وبيتا خزن قوتهم ومؤدب لتعليم الصبيان ومدارسا لتعليم العلم وأوقفوا لأجل لقيام بذلك عقارات يصرف متحصلها في القيام بذلك ومن المدارس التي أنشأت لهذه العاية لمدرسة التي أنشأت القط لمير والدر الشهير عمدة سالكن وقوة لرهدين شيخ سيدي ابراهيم خريف وهو أحد أجداد المؤلف من ذرية سيدي احمد معاد حول صريح حده سيدي علي معاد بن حمود بن احمد معاد أحدثها سنة 1218 هـ وجعل بها بيوت لسكنى المقطعين لتعلم العلم وقراءة القرآن وأحدث بها مسجدا للصلاة وأوقف عليها سيدي ابراهيم خريف عقارات للقيام بشؤونها ثم بعده وسع نطاقها ابنه سيدي محمد التابعي فألحق بها محلا لايواء المرضى والقيام بضرورياتهم ثم أحدث محلا آخر لزول الصيوف واناء السبل ويقوم بمؤونتهم مدة اقامتهم ورتب مدرسا بمرتبة سنوي يدرس العلم صاحبها ومساء وجعل مؤنلا للطلبة في كل شهر زيادة عما كان رته والده قبله يحتمون عليها استنهاضا لهمهم واعانة لهم على مقاصدهم ومرتبت تعطى لهم دراهم عيا يتفصوهم مشاهرة اعانة لهم على تعلم العلم زيادة على موائد واعانات مالية تعطى لهم في المواسم وأوقف على ذلك أوقافا طلبة فأسضحت المدارس طافحة بالعلمين والمتعلمين زاهية زاهرة بالعلوم على اختلاف انواعها ومشاربها ثم لما تانت نفوس ابناء الشيخ سيدي احمد معاد الى التوسع في الفنون العلمية أخذوا يرتحلون الى الخارج لاقتناء العلوم والتسحر فيها فارتحل منهم عدد وافر ورجعوا ممتلئة حقائقهم بالعلوم العقلية والسقلية وظهرت في هذه القبيلة المعادية أفراد تفتخر بهم البلاد ومن المرتحلين سيدي طاهر بن احمد معاد الأصغر ويعرف بظاهر ذهب ارتحل لطلب العلم في حدود الستين وألف لمدينة القيرون وأقام فيها مدة صحة اعلاما وصلحاء اخذ عنهم علوما غزيرة ومعارف كثيرة ثم رجع سنده نقطة وعكف على تعليم العلم وانتصب للافادة ثم لازم العادة والزهد في زحرف الذنوب وسلك طريق القوم وهرع لاس اليه من كل حذب يسلمون وكان عموم سكان الخريد يقتخرون بالانتماء اليه ويترحمون بالاقبال عليه ولم يزل كعبة مسترشدين وقوة المهتدين الى ان توفي رحمه

ومن ارتحل لطلب العلم العلامة الأورع سيدي سويكر عرف الشرح ارتحل لتونس وأقام بالمدرسة الشاعية ومكث بها نحواً من عشر سنين وصحب علماء اعلام وأخذ عنهم الخط الأوفر من العلوم الدينية ووسائنها ورجع لبلدها نقطة فانتصب لافادة العموم وكان رحمه الله من علماء الاعلام والصنعة الذين يعمون الأدم أفي عمره المدرس في تدريس علمه وافدة الأمة والارشاد الى منهج لتجاح ثم عكف على العبادة الى أن توفي رحمه الله سنة 1124 .

ومن المرتحلين حفيده . علامة الأورع سيدي بلقاسم بن عمر بن أبي بكر وأخوه سيدي محمد بن عمر ارتحلا لمدينة تونس وأقام بالمدرسة السنيقية وشرع في قضاء العلوم لعقلية والسنية ولأرب مشيحتها الاعلام سنيين عديدة ثم رجعا لبلدهما مترودين بالخط الأوفر من العلوم على اختلاف مشاربها فانتصبا للتدريس بمدرسة جدهما سيدي احمد معاد وهرع بينهما الطلاب من لأشياء البعيدة يترعون في رياضها ويكرعون من حياضها ولم يزا الا مشمرين عن ساق الجد في نشر العلم الى ان انتقلا الى الرفيق الأعلى رحمهما الله .

ومن المرتحلين العلامة الحوي والدقة سيدي احمد روفي ارتحل لتونس في سنة 1160 وأقام بالمدرسة لعقلية ولأرب أيمتها الاعلام كاشيخ صاحب كواش ومن عصره وجمع ساشيخ محمد بن يحيى شيوخ عبد الحفي عن المحتصر وأخذ عنه وعن غيره طوائف من طلبة لأمة وحصل على خط الأوفر من العلوم لعقلية ولأشياء البعيدة فانتصب للتدريس وشر اندر سنيين وانتفعت به طوائف من الأهالي والوافدين على البلاد الى أن انتقل رحمه الله الى رحمة الله سنة 1190 .

ومن المرتحلين العالم الفقيه الأسرع وحبر البرية الأورع سيدي ابراهيم بن ساعي من جده ساشيخ سيدي احمد معاد ارتحل بحروسة تونس سنة 1172 ثم رجع لبلده نقطة وأحدث علمه بجميع أنواعه من معقول ومنقول وله تصلح وسع في علمه الحديث رواية ودرية وكان له حظ من حدا على نحو احد الأسدي وكان ذلك من لدو عي التي دعه الى استباح الكتب العلمية على اختلاف فروعها فقد جمع من كتب التي يحفظه حرارة دابة من كتب الحديث والتفسير والفقه واصطلاح وأصول والملة ونصب والسلاغة ومطلق وتوقيت . دعه ذلك ما يريد على انثني سمر وأوقف جميع ذلك على من يريد العلم من ذرية سيدي احمد معاد خلفا عن سلفا وتوفي رحمه الله سنة 1205 خمس ومائتين وألف .

ومن المرتحلين لطلب العلم العلامة لاعدل سيدي أبو بكر بن عمار ارتحل لبلد ففصة ونفقه بها وأخذ عن علماء أجلة من علمتها ثم رجع لبلده نقطة وتولى خطة الافتاء بها وسار سيرة مرضية .

ومن المرتحلين انه الشيوخ محمد بن أبي بكر ارتحل لبلد ففصة ونفقه بها مدة طويلة لتعلم العلم فحصل على خط عظيم من العلوم لعقلية والتقليدية وتقلد خطة الفتيا ببلده مدة طويلة وتوفي رحمه الله سنة 1215 وترك ذكرا جيلا .

ومن المرتحلين الشيخ محمد السعدي بن محمد بن أبي بكر ارتحل لففصة عقب وفاة والده المذكور ونفقه بها وعكف على اقتطاف اثمارها ثم رجع لبله نقطة وشرع في نشر العلوم وتقلد خطة الفتيا بها وتوفي رحمه الله في حدود الستين ومائتين والف .

ومن المرتحلين العالم الأورع سيدي احمد الصالح بن عمر ارتحل لبلد ففصة وعكف على اقتناء العلوم ولأرب أيمتها الاعلام وهرح في تخصيب السبب اسم حتى حصل على الخط الأوفر من فائس العلوم ثم رجع لبلده نقطة وتقلد خطة القضاء وسار سيرة مرضية وتوفي سنة 1251 .

ومن المرتحلين العلامة المتفنن الشيوخ محمد المارك بن احمد الصالح ارتحل لبلد ففصة ونفقه بها ثم بلد مطماطة ومنها الى تونس لاستكمال معومته فلأرب دروس الشيوخ محمد سيفر الكبير وشيخ أسنى والشيخ حمدة بن عشور والشيخ بن ملوكه وغيرهم فامتلا وطابه ورجع لبلده نقطة وانتصب للتدريس فصول علمية وتحرير مسائل الفقهية وأصولها ثم تقلد خطة رئاسة الفتوى وبقي نحو أربعين سنة الى أن توفي سنة 1304 رحمه الله .

ومن المرتحلين الفقيه النبيه الشيخ احمد الصالح بن ابراهيم بن بلقاسم ارتحل لبلد ففصة ومكث بها مدة لاقتناء العلوم لعقلية والتقليدية ورجع لبلده نقطة وشرع في التدريس بجامع جده سيدي احمد معاد الى أن توفي رحمه الله سنة 1286 .

ومن المرتحلين الشيخ ابراهيم بن عمر بن أبي بكر ارتحل لبلد ففصة ومكث بها زمنا لتعلم العلوم الدينية ووسائلها حتى حصل على الخط الأوفر ولما رجع لبلده شرع في التدريس بها الى أن قلد خطة القضاء وسار سيرة مرضية وكان رحمه الله مع القيم بحقوق لله تعالى وحقوق عباده يبطه بعهدته محافظ على العادة والاحتياط في آدابها كما يجب فقد ثبت ثبوت قطعي انه لم يتخلف عن صلاة الجماعة نحو أربعين سنة وكان مولد على صلاة الترويح كل ليلة بعد صلاة العشاء الأخيرة فيصلي عشر ركعات ونصف فكان يحتم القرآن في كل أربع وعشرين ليلة ثم يستأنف ذلك ويجري على هذه السيرة نيف وأربعين سنة بحيث لم يترك ما التزم به الى أن توفي رحمه الله في عرة جمدي لأولى سنة 1289 .

ومن المرتحلين الشيخ سيدي محمد الناصر بن الشيخ سيدي محمد التابعي ارتحل لقصة وزول ما التعلّم مدة ومبها لتونس وعكف على التعلّم باحتهاد وجد وصرف مہجته في تحصيله فلازم مشيختها الاعلام وهجر لاقتناء العلم ليدلّ بناء حتى نصلح في الأصول لمفہية والعقائد لدينية وقد لاء العلماء خلّد وشموس لدين وبدور الملة كالشيخ سيدي محمد بن ملوكة و الشيخ محمد الطهر بن عاشور و الشيخ محمد الشاهد وغيرهم من طرّد الأمة ورجع لملده سنة 1272 فانتصب لتدريس في مدرسة حده وأقبل لجمهور على دروسه ولارتشاف من عذب كؤوسه وله اعتناء كبير بصغار المتعلّمين زيادة على دروسه العليا والوسطى وكان يحثهم على حفظ الكتب وعرضها عليه بعد كتبها وتصحيحها ثم يقرّئهم ما حفظوه على ظاهر المتن ليدرهم على القراءة حتى يكون لهم داع من أنفسهم وليرى على حالته تثبت في توفى رحمه الله سنة 1282 .

التعريف بسيرة الشيخ سيدي محمد التابعي ومآثره الجليلة وكان والده شيخ سيدي محمد التابعي رحمه الله له اهتمام عظيم وحرس شديد على بثّ علم والسعي في نشر بدوره فكان يجهر بنيه وغيرهم ويرودهم بما يحتاجونه من النفقات والكتب حسد كاست ملكت الشرب لحظة وشأن عظيم من جهة قضاها ويحث من يرى فيه أهلية ويرغبهم على الارتحال لطلب العلم ويمدهم بالاعانة زيادة على حديثه في إفقه من امرت لم يدرس العلم بمدرسته لأن الشيخ سيدي محمد التابعي كان من فصلاء الأحبار والأتقياء لأبصاره وكان دأبه رحمه الله تأسيس المعاهد العلمية والمآثر المستدامة النفع لعموم الأمة خالصة لوجه الله تعالى .

وكان العلامة التقي والدراكة امّني سيدي محمد امّني بن عبور يعرّعه بحاشية العدد ونفيه بمره لانه كان يلازم محاضرة سوعصية الطمحة بالعلم والصلحاء لدين بردون عليه لخلّ ما يعرّيه من مشكلات ونقل عن الشيخ امّني به كثير من كان يردد قوله أن شيخ سيدي محمد التابعي منطلقه عليه قضية الامام الشافعي رضي الله عنه وهي قوله مدار الأعمال على أربع بعد أربع وهي المحبة لله والرضا بقضاء الله والمره في الدنيا والتوكل على الله . والقيام بقرائن الله والاجتناب لمحارم الله والصمت عما لا يعي والورع عن كل شيء يلهي . انتهى كلام الشيخ المدني .

ومن عدم أحوال الشيخ سيدي محمد التابعي وسنقرى سيرته وحدها منطوقة على هذه نصية انطق السواد على نعصه فاما المحبة لله فتد كان يحب العلم والعلماء ويعشق محاسنهم وكان له مجلس خاص لا يخرج فيه عن دائرة الأبحاث العلمية ومواسط بدنية وكان يحب البتامي ويقوم بصرورياتهم الى أن ينسو رشدهم فيحصل عندهم على حفظ القرآن وما تسر من العلم ويؤثرهم على أولاده في مؤثرهم وكسوتهم رضي الله عنه ، وأم الرضى بقضاء ، فكان رحمه الله لا تسفره مضائق ولا تؤثر فيه لوائب مقاد لأحكام الله رصيا بما سبق به فصاءه فقد كان في بحر سنة 1266 حدث في بلد نقطة وأحرف فمات له في صرف ثلاثة رعة أولاد بعضهم متزوج وبعضهم بلغ خله ولم يرّ عليه أثر احزن والأسف بسبب هذه لمصيبة العظمى بل لم تدمع له عين واستمر على عادته والقيام بوطائفه وأوراده لمعهودة حتى ولى الذي لا يعلم ذلك لا يعلم دليلا يستدل به على مصيسته وكان دأبه ذلك فيما يعرض له من النقص في الأمور والأنفس والشمرات لا يتخرج له حال .

حدث العارف بالله سيدي محمد الشارزي بن عزوز به ما توفي لعلامة الفقيه سيدي محمد بن صر من لأستاذ سيدي محمد التابعي وذلك سنة 1282 قد أنته مع وقد عظيم من العلماء للتعزية وأخذ البعض في تسليته على ما أصابه من وسه الوحيد يد كان رحمه الله من فحمر العلم والأعلام ومن صرف أنفس عمره امبرك في التعلّم والتعلّم حتى تحورت تلامذته لانتين فلي استوعب كلام أوشت الاعلام ووعبي مرماه ولسانه في أثناء ذلك لم يمر عن ذكر الله أحاب رضي الله عنه ان هذه الحادثة لا تعد مصيبة في نظري حتى أطلب الثواب عليها فلم يكن عدي أدنى قصدي في الجاه ولا في نشأته ولا في انتقاله من دار الفناء الى دار لقاء وعاية الأمر أن الله الذي خلقه وقرّبه رما يعيش فيه وعدد انقصته يقضيه ليه فأي وجه للتداخل بين الخالق والمخلوق حتى أطلب الثواب على قبض عده منحرد كوي واسطة في الجاه ومع ذلك فأي موسط مثله تحت تصرف أحكام الرب حل وعلى ، قال فعلمت ان مقام الشيخ رحمه الله مقام الصديقين وهو مقام التحريد الذي تحرد صاحبه للعبودية المحضة بحيث لا يعمل للحصول على ثواب ولا لدفع ما يعرض من العقاب .

وأما الزهد في الدنيا فحدث عن الحر ولا حرج فقد كان بعض علماء عصره بدعوة سلطان المراهدين وأمّام العبدلين وقد بلغ من ردهه رضي الله عنه به كان سفق جميع ثماره وما يستتجه من متحصل عقارته على الطلبة المقطعين لتعلم العلم وقراءة القرآن وعابري السيل واليتامي والمسكين ويقترش اللب ويفطر على خبر لخالدة ويلبس الصوف على حمة واعل اللبالي يتطر بعشاء من يرد جنح الليل مع ان له شروة عظيمة اكتسبها بكده يمينه وعرق حبه من خدمة الأرض وتبائها لعراصة التحيل وسقيه وتعبيره وتدبير شؤونه وذلك في حال صوته وقوة بدنه ولا تحده بحس عدد الدراهم أصلا بحيث انه لا يقبض ولا يدفع اما يتولى القصص والدفع المتكلمون شؤون الراوية وغاية وجهته انه يسأل في بعض الأحيان هل اعددت للزاوية ما يقوم بشؤونها ويحثهم على ذلك .

ومن المنتحين لذلك الشيخ عبد الباقي بن محمد المارك من احفاد الشيخ سيدي محمد التامعي تقلد خطة القضاء بتورر سنة 1291 على عهد الشيخ ابراهيم بوعلاق ثم استعفى سنة 1299 ، ومنهم اي من المنتحين لذلك الشيخ سيدي محمد الكبير التامعي قد حطة القضاء بتورر سنة 1302 وبادر للاستعفاء تورعا عنها وبراروا من خطرهما .

ومن المنتحين لذلك الشيخ بلقاسم بن عمر بن ابي بكر تقلد خطة القضاء بقطنة ثم انتقل لخطة لغتيا توفي رحمه الله سنة 1279 اما الدين عرضت عليهم الوظائف وامتنعوا عنها فلا يحصون كثرة ولو تتبعنا مائر هذه العائلة المعادية وما حفظها التاريخ من المجد الراشح والمخبر الباذخ لضاق بنا المقام على احصائها ولكننا اقتصرنا على القدر اكتفاء بما هو معلوم واستغناء بالمشاهدة .

وأما عشيرة الشرفاء من اصل استيطانهم بقطنة ان سيدي سعيد ورد من ناحية المغرب الأوسط لبلد بقطنة بقصد قراءة القرآن ودراسة العلم وهو من عنصر عربي اسد مع بريقه بين قبائل بربرية موطنهم حول بلاد الاعواط من عمال اجرائير يطعمون نخبهم على عادة عرب وكن ورد سيدي سعيد في حلال سنة 1090 هـ فتصدى لتعلم العلوم الدينية ووسائلها حتى حصل مهيب على حفظ القرآن ثم عكف على العبادة ونصب للارشاد الى ان توفي سنة 1150 هـ وحلف عائلة نبيلة اشتملت بتعلم العلم وسلكت طريقا مرصبا وورد اليه الشيخ سيدي ضيف الله من الرب واشتغل بقراءة القرآن ثم تصدى لتعلم العلوم الدينية ووسائلها الى ان توفي رحمه الله سنة 1255 وحلف ذرية شعبة بالعلم والتف حول عائلتي هذين السيدين عدة عائلات من قبيلتهم وغيرها وكذلك صارت محتلفة من عدة قبائل ورثتهم في العائتين لشار اليها وسما لسلفهم من الرعة في اقتناء العلوم أسسوا مدرسا وأحدثوا بها بيوت لسكرى المقتطعين لقراءة القرآن وعلم وعلم فاشؤو مدرسة حول صريح سيدي سعيد كما أحدثوا مدرسة كد صريح سيدي صيف الله يقطنها المقتطعون بتعلم العلم وحفظ القرآن ونصوا مدرسا للعلم وجعلوا عانة كافية مع تقدم سوسة الطلبة المقيمين بالمدرسة واشؤوا حول المدرسة جامع للصلاة الجمعة وخمس ومكتبا لتعلم الصبيان .

كما ان الشيخ العارف بالله تعالى سيدي ابراهيم بن احمد الشريف احد افراد هذه العشيرة وعين أعين فصلاها حدث مدرسة كذلك وجعل بها بيوت لسكرى المقتطعين لقراءة القرآن وتعلم العلم ومكتبا لتعلم الصبيان ومطبخا لطعام الطلبة وعسري السبل على اختلاف طبقاتهم وحدث حوها مسجدا جامعاً للصلاة الجمعة والخمس ورتب بها مدرسا بدرس العلم وأوقف على جميع ذلك عقارات بصرف متحصل ريعها في ذلك وكانت رابوية هذا الفاصل يحطه رجال الوردين من جميع الاسماء على اختلاف طبقاتهم ولا رلت عامرة معدية سائه وقد احدث ابناؤه عدة زوايا بعدة انحاء .

فمن ذلك زاوية بقفصة أحدثها الشيخ محمد العربي بن الشيخ سيدي ابراهيم بن احمد ومنها الزاوية التي عمرها الشيخ محمد لارهر بالقصور لأنه أحدثها والده ونسكت ثم تصدى لها ابنه المذكور وسالغ في تعميرها ومنها الزوايا التي أحدثها الشيخ الهاشمي بسوف وسكت وورقة ولا زالت هذه الرواي محط الرحا ومحلات لرحاء ولا مال رحم الله اسلف وبارك في اخذت توفي الشيخ سيدي ابراهيم بن احمد سنة 1290 وتوفي ابنه الشيخ الكبير سنة 1332 وتوفي ابنه الشيخ محمد عربي سنة 1334 وتوفي ابنه الشيخ محمد لارهر سنة 1339 وتوفي ابنه الشيخ الهاشمي سنة 1342 رحم الله الجميع .

وأما عشيرة بني علي فمنهم فرع من أهل بني عبي المستوطنين سواحي الرب وعمل الخراش وسبهم يرجع لسي سليم احد القنابل العرسة لدين وفدوا على امريتية في اواسط القرن الخامس وقد وردت هذه القبيلة على بلد بقطنة بعد ن حرب الأترك في حدود سنة عشرة وبع حجرية وبقي أغلبها اطلالا دارسة وفي هذا الدور انفصل هذا الفريق من قبيلته ووفد على بلد بقطنة ولما وجد سعة في المعيشة والاستيطان استقروا بها واتخذوها وطنا وسكنت فيهم عدة فرق اخرى مثل ولاد عرو الدين ورد جدهم عزور على بلد بقطنة في حلال سنة 1060

وحكى بعض نسابتهم ان جدهم الأعلى ورد على مدينة فس من بلاد الاندلس على عهد امير المسلمين يوسف بن تاشفين وبثل لعائلته مجد بها لأهم . استخدموا في حند المرطين ثم في دولة الموحدين ثم في دولة بني مريب وخيرا اوقع لضرور هذا المصور من الاشراف لسعدين لاهمهم له بالتشيع الى مخالفتهم فارج بلاد المغرب واستقر بعائلته ببلد بقطنة ويقال به استصحب معه ثروة عظمت ولما استقر فر ره رأى من حسن الرأي ان يقتني أحة من النخل لتكون له ولعائلته عدة في مستقبل الايام فشتلت الانظار وتشوقت لهم نفوس الولاة وأصمروا في نفوسهم استراف ثروته ثرة بالاستقراض وتارة بضرائب مسية على اسباب واهبة فلي أحسن بالشرب وكان رجلا مخنكا سافر الى مراوة واشترى عددا من العبيد السود بين دكورا وناث وظهر انه يريد ان يستخدمهم في الأحة والفصد انوحيد الحقيقي استعانة بهم في لدفاع عن يقصده سوء ويكونون ردا له يدفعون عنه من يريد سلب ثروته حيث لا عصابة له فناسلوا وامر جوايمو ليهم واستعدوا لهم في خدمة أحتمهم التي افتنوا وتكثر عدد اولاد عزور مع السودانيين وصار لهم النفوذ الأعظم على عموم نعيمه بل عموم البلاد وصبح لعصر الأغلب في بني علي هم ولاد عزور مع ان بني علي مشتملة على حصرة الدين هم بقية من المربر واجبيرة الدين اصل جدهم من ماجر وفد على بلد بقطنة في

حدود سنة 1020 هـ واستقر بها وخلف ولادتنا سلوا وكثر عددهم وأولاد كنوز أصلهم من أولاد أبي عمران المستوطنين بنواحي قفصة والخيرية وصلهم من قاتل البربر وفدوا بعد حراب البلاد واندمج معهم فريق الخوالة الذين وردوا من بلد تقرير في حدود سنة 1172 هـ وهم من قاتل بربرية قبوا على محتلة من عرب وبربر وسودانيين وهم من قبائل آخر امتزجوا بهم في ادوار مختلفة وكانت موطنهم حوالي سيدي مرروق العبد ممتدة إلى سيدي مرروق لغريب شرق ثم يمتد نحو ميلين ومن الشمال والجنوب نحو ميل داخل في ذلك كثير من المساحة التي شعلت بعراصة لجيل وغيره من الاشجار وصارت احنة اندمجت في غابة ابند ثم انتقلوا إلى موطنهم الحالية في حدود سنة 1235 هـ وشيئ فشيئ حتى بقي بمواطنهم الاهلية أحد وفي خلال سنة 1257 هـ ورد على بلد نقطة من بلاد الراب مهاجرا القدوة المرشد صفوة ببررة وحلاصة صباخي احيرة صاحب لماثر العبدية والاحلاق الحميدة لشيخ سيدي مصطفى بن عزوز البرجي فاستوطن مع عائلته وعدد كبير من أتباعه ونسبته فأقلت عليه بلاد وهرعت اليه العباد يلتصقون بركته ويستمدون فيوصاته ثم أحدث راويته المشهورة المشتملة على عدد كبير من مسكن لا يواءم نواردين عليه من كل صقع واشاء مطابخ لاطعام كل من يرد من اباء السيل وغيرهم واحداث بها مدرسته حافلة وشاهب سبون سكي المنقطعين لقراءة القرآن وتعلم العلم وحشرها العلماء لاعلام من كل جهة ليدرسوا فنون العلم على خلاف مشارب فكان من المدرسين في مدرسة الشيخ المذكور العلامة الأسرع والدركة الأورع فخر العلماء الاعلام ابن عمه الشيخ سيدي محمد مادي بن عرو وكن رحمه الله تعالى من أكابر المحدثين والعلماء العاملين بحرد لتدريس العلوم على اختلاف نوعها من حديث رواية ودراية وتفسير وفقه وأصول ونحو وغير ذلك وله طريق عجيبة في أسلوب لائق سهل لتلاميذه طرق التحصيل ومنهم العلامة الأوحده عمه نوريه الأرشد الشيخ سيدي محمد بن محمد بن الشيخ سيدي مصطفى المذكور وكان له تطلع في علم الحديث وسنده ومهم العالم العامل شيخ سيدي محمد الصالح بن حمادي ومنهم الشيخ محمد بن عرو وحلب لها من بلد قفصة لعالم المتفكر الشيخ حمد السوسي بن عبد الحميد لقضي ومن توري العلامة الاديب حادي من كل من اوفر نصيب لشيخ اسراهم بن علاق الثوري تصدر كل من هؤلاء لتدريس العلوم من عتبه ونسبه وشروا من المدرس والخوهر السية وسعت بهم البلاد وانتشر غيرهم في كل ساد رحمتهم الله وهدس أرواحهم وكثير من مدرسين غير هؤلاء من انصلاء الأخوة علمه من وشوموس المنة احتفلت بهم هذه المدرسة وطمحت بالعلم والعلماء فصارت روضة يبعث قصوبها دينة تقتطف من ثمرها ويستعم من أثمارها وتخرجت من بين عرصاتها ثمة بمعوا معلومهم أفراد الأمة قدس الله أرواحهم وكان لشيخ سيدي مصطفى رواية كثيرة في جهات إفريقية ريادة عما يقوم به من معقدات ولوازم عدد كبير من العائلات فعدها الدهر وعصها سابه على ليدوم والاستمرار لأنه رحمه الله كان أحد من البحر وأسحق من العلم وقد انتفعت به البلاد ماديا وأدبيا قدس الله روحه الركية ثم في رحمه الله تعالى آخر ليلة من ذي الحجة سنة 1282 هـ ودفن برأيته بنقطة ولارالت زاوية زاوية راهرة بعناية نحده لشيخ سيدي محمد لأبرهي أدام الله عمارتها امين وأما حظ الطين فهم أربعة فرق احدها الرواحح وسبهم يرجع إلى دريد من بني هلال بن عامر من عصر عرب ورد حدهم بن الحادي على بلد نقطة مع احبيه سيدي سالم بن علي سنة 1075 هـ واستوطنوا نقطة فأما سيدي سالم لم يعقب وأما أخوه بنو هادي منه ترك عائنة تسلسلوا واندمج معهم بعض عائلات اخرى من البلاد الأصلية وثانيهما حباية ورد حدهم سيدي حسون الشريف على بلد نقطة في حدود سنة 1080 هـ وهم يتسلسل إلى العلويين فهم من عصر عربي وثالثها المتقدمون وهم من عرب أيضا لأن سآبتهم يذكرون أن أصلهم يرجع إلى بني هاشم من قريش ورد حدهم سيدي مقدم في أول اقرن الحادي عشر وستقر بنقطة والرابعة التواتيون وهم من بقايا بلاد الأصبه وهؤلاء الفرق الأربعة تابعون في شؤونهم وأحكامهم لعرفية إلى بعض عشائر البلاد كما سيأتي وأما مسغونة فإنهم من فريق دريد سيدي يرجع نسبهم إلى عرب الحلايين وكذا الحشاشنة وأولاد سيدي الحمادي يتسلسلون إلى العلويين من بني هاشم ما مسغونة ومنها تابعة في شؤونها ببني علي وأما الحشاشنة وأولاد سيدي الحمادي فهم تابعون للعشيرة الشرفاء.

وأما أولاد الشريف فإنهم يتسلسلون إلى قبيلة العامرة إحدى قبائل البربر وردوا على بلد نقطة في أول القرن العاشر وتلاحقت بهم عدة عائلات من قبيلتهم في زمان محتلة واستوطنوا هذه البلاد ولتموا حول الشيخ سيدي احمد معاد ليهتدوا بهديه ويسترشدوا بمعارفه وكانت هم ثروة عصمي وفتوا أجنة شجيلة شميعة وقوي شأنهم وأوقموا على راوية سيدي احمد معاد أجنة لينفق ما يتحصل من أرباعها فيما يعود بالنفع العميم ولما حرب اند بات بلد نقطة في أول القرن الحادي عشر وتشتت شمل أهل البلاد ستوطن أحفاد سيدي احمد معاد باحية رس لعين تي هي موطنهم لأن واستوطن أولاد الشريف حافة الوادي من ناحيته الشرقية ثم في أول القرن الثاني عشر افرقوا فرقتين فرقة بقيت بموصيا وفرقة استوطنت حول مرسة بحافة الوادي من الجهة الغربية وهي مواطنهم الآن وكان لأولاد الشريف لتحام شديد مع المواعدة لما لأسلافهم من الاعتقاد في حدهم سيدي احمد معاد وأوقفوا عه أوقافا طائلة ولكن انقلب ذلك الالتحام مقاطعة شديدة لسبب وذلك انها وقعت مرة بين أولاد الشريف وعلقمة أفصت إلى صرح البارود فترا المواعدة تحب هذه المعامع الناشئة عن التوحش والتهور ورأى أولاد الشريف أن عدم اعتدائهم هم مقاطعة فحقدوا عليهم وعاملوهم معاملة سيئة أسأل الله أن يرشد الجميع إلى ما فيه صلاحه.

وأما بو زيد فانهم شعبة من بني يزيد وهم القبيلة التي تصنع بخيامها وموطنهم حول بلاد قابس وما يليها وهم بنو يزيد من رعية بني من بني هلال بن عامر من لعرب الداخلين في واسط القرن الخامس على عهد المعز بن باديس المصنعي وقدت شعبة منهم على بلد بنطة في أواسط القرن العاشر واستقر سلطتهم بها واعتزجوا بشردمة من ورعمة من قبائل لبرير وكرايت موطنهم حول صريح سيدي بن طاهر سيدي هو احد صلحائهم دخلته المساحة التي صدرت نحة التي منها جنة بستان شوكل وما يليه من جهة المغرب ولما أتت الحروب على البلاد في أول القرن الحادي عشر كى تقدم بتقلو منها واستوطنوا بالساحية الشرقية من وادي الملد التي هي موطنهم هكت رثستهم قديمي في فريق اولاد ابو راس منهم ثم غيرهم الى ان استولى رثستهم محمد بن طاهر فسار فيهم سيرة عطف وحناء فتمرو عنه وتعصوا على قتله وقلوه بالفعل في حري طول وذلك سنة 1239 هـ وبقي أمرهم في اضطراب الى ان نقلت رثستهم الى محمد بن نصر واستمرت في غشه مدة طويلة وهو من الفريق سيدي ينتمي الى ورعمة وكان هذا لرحل دة ثروة عظيمة وكان ميالا للمناظر الخيرية فأسس اساءة مدرسة وأنشئت حوف مسجد جامع تقدم فيه اجمعة فمواها من حصة منهم ، وأم عشيرة علقمة بني مركبة من عدله عاصر منهم هي اسالاد لاصديه وهم حرمة تدعى الشبح سيدي ابي علي ومنهم لشافعي ومنهم لسوء وهي فرقة من بني يزيد انفصلت عنها وانحلت بعشيرة علقمة ومنهم اولاد بوبل من بني من قبائل البربر ورد سلطتهم في أواخر قرن ثلثي عشر ومنهم اولاد ملاح وهم عدة عائلات من دريد ومن غيرهم لاء واعصم لعرب في هذه العشيرة فريق الرعيس وهم من عصر عربي ومسطه ابن حمدون بالعين النهملة ويسمى في ذات من ربيعة من رعب لأكبر من حيرة من ثالث من خفاف من امراء لقيس بن بيشمة بن سبيبة فهم يجتمعون مع الحميد والموثق في ذات من ربيعة حرس حررة في الدس من حمدون والظاهر ان فريق ربيعة سيدي سدحوي في قبائل حمة . . . هذه القبيلة وقد وفد سلف الرعيس على بلد بنطة في أول القرن العاشر ومن عدل ما سمي عدد دريته حتى عظم صيته . . . في سبهم وتوسعت ثروتهم وراحوا أهلى اسالاد فخرجوهم عن مراكهم وبني حمة من الثروة وقوة حصنة صار اسفود والرنسة هم ومن تفر تعلم ان كلمة علقمة وان كانت لفظة عربية لأن جميع لعصا سركت منها هذه العشيرة لم يظن عليها هذا الاسم دة هو احسن وكل شيء من ولد المغرب هكذا ذكره قدموس ويسمى لعرب لسبهم علقمة وحصله بؤلا لأنهم بان يكونوا شداء على أعدائهم يصعب سؤهم والأقرب ان يكون هذا الاسم يطلق على فروع من سؤطمة وهي البلد الذي أشار اليه صاحب القاموس بأنه بلد بالمغرب والله أعلم واليه الأمر من قبل ومن بعد .

وأما عشيرة الريدة فهي قسم من ربيعة سيدي استوطنوا بسور . . . وهم يتسبون الى مدحج من قبائل عرب لشمس الدين دحجوا مع بني هلال وبني سليم وقد استوطنوا اسالاد حريد في حدود سنة 1075 هـ و فترقت عشيرة سريرة فريقين فرقة استقرت بنطة و فرقة اسوحت نورر وهي اعينهم وندحت في لعرقين عتلات أخرى وردت من مغرة وغيرهما من قبائل لبرير وكان لأهل هذه العشيرة نفوس بيده حمة عليه ونحوه عربية شأهم اشتوق لاكتساب المجد والسعي في تحصيل وسائل الحمد وكان لأفرادهم ولوع بقب العنوم على اختلاف أعين فمهم العلامة لفصاح حائر حنية لسق في مصر لكمل صاحبها الشيخ يوسف ابن عون كان عدل متمسك في علوم لاديب والأدبية والرياضية وكان من شعراء هذا العصر الافريقي حسن المحاضرة جيد الخط وله تليف عديدة ورسائل مفيدة وله منظومات في مسائل روحية وفقهية وسطحية بقصد حصنة القضاء نورر عقب استعفاء الشيخ محمد لكبير الشافعي وذلك سنة 1322 هـ فشمرو على ساعد اخذ في تنقيح الورل لفصانية وصبط لسنن لشريعة وتنسيق لاحكام العربية فهو سراج مير حبيبي زمان سحنون وس بشير وقد فتحه في سبه عقبات كنود عترسته في سبيله ولم ير بدل صعبا ويفتح أسوابها وهو مع ذلك لا يغتر عن لطلعة ولا يحجم عن المراجعة ولا يدع خطه من تدريس العوم ولا هو ملزم به من انتساح الكتب العلمية بخط يده ولازل على هذه الحالة المرضية الى أن عرس له مرض وذي به ان مسه وكنت ولادنه سنة 1256 هـ ووفاته سنة 1329 هـ رحمه الله وقد من روحه الزكية احد علم الحديث عن الشيخ محمد المداي بن عرو وولام مجالسه العلمية مدة قامت بنطة وأحد عنه لفقته والتوحيد والحو وعن شيخنا الأبر سيدي محمد سوري بن لفسم احد فاصل عشيرة اولاد شريف وكان رحمه الله تعالى عدل بيها ومتواضعا نزيها وقد ارتحل الى تونس وأخذ العلم عن علمائها لأعلام ومن أحد عنه الشؤيد لشيخ محمد لشير التواتي ومن أحد عنه علم لأصول والبلاغة والمطق شيخ الجماعة وشيخنا سيدي سالم موحاحب ومن أحد عنه لفقته لشيخ عبي العفيف و لشيخ صالح ليفر و لشيخ يوسف المذكور شعر جيد وقصائد رنانة سارت بحديثها الركبان فمن شعره قدس الله روحه لركبة ما خاطب به العبد لفقير وأن بمحرسة تونس أول العلوم بالكلية الزيتونية عن مشائخها الاعلام عذمت وقف على قصيدة فدرجت بالرائد التونسي أشدتها عند ختم المطول لسعد الدين الشترابي على التلخيص عن الشيخ سالم موحاحب وذلك سنة 1302 هـ فحطبي بمكتوب فتتجه بأبيات من بحر الطويل وهذا نصها :

يفسوق عريف المسك والعود والتند
فحدثت ولا تسأل عن اليم والجود
وفاظله عن والد وهو عن جد

سلام عليكم يا أهيل ذوي السعد
لقد حزتم فخرا بنسبة جدكم
ورثتم عن الأسلاف كل فضيلة

كمثل الذي تروي السيول عن الحيا
لقد حدث النعمان عن ورد عرقكم
فجكم يـا آل بيت محمد
ولكن يحق الفخر عن وصف من غدا

عن المزن عن بحر خضم ومزيد
عن الزهر الأشقى المفتق والرنند
أمان ولايمان ربط بمشدد
سليمان يسموا الى ذروة السعد

أعني بذلك حب الربورق اللامع اسنان عين الكمال لجامع التحرير الأمل النادرة المفرد المتفنى الأكمل الشاب الذي ليست له صبوة لمه من احفوة وهفوة الشاعر المنصف الأورع النابوت لانتع لأجمع لنشأة الركبة ولهبحة المرسية سبيل الأحبار ونجل الصالحين لأرر دن الاخلاق الحميدة التي تعجز الحاصر والكنيف أي اسحاق الشيخ سيدي ابراهيم حريف بن شبح النعم سيدي محمد الكبير بن الشيخ مقدس سيدي محمد الشامي لول الصبح سيدي ابراهيم حريف نعى الله بركنهم وحرس محادثهم اما بعد فإن الحامل على تسطيره وسعت على رده وتخيره سؤال عن الركبة أخلاقكم لأرالت بطائف المس مشمونه وبالرصى الأكر من رب الأرباب موصولة هذا وقد لعنت فضيلة حلالكم رائقة المثقة السليعة الفاتقة منشأة عند حتم مطول لسعد الدالة على كمال القابلية ونمام لسعد وفتح لقلب عند رؤيتي حور وفرت العين بذلك وملئت نوراً وتهللت الى الله بالدعاء لذلك لعلم الأشهر القدوة النصوح العمدة لادم موصح المشكلات ومظهر دقائغ انصلاصات شيخ الصدر الأورع دي الفاحر التي لا تحدد والخلالة وارث العلم لا عن كلاله معتمد لادجب الشيخ سيدي سام بوحاح حرس عه محده وأد في أفق لسيادة سعده ثم أقرأ سلاماً على ذلك الإمام وكافة السادات لأعلام وجمدة لطيفة بالتمام لاسميا أهل دابكم ومن يودكم ويصافكم من ودودكم فقير به يوسف بن عون خادم العلم الشريف وأهله وكتب غرة ثني الربيعين عام 1302 هـ وأجبتة بقصيدة من بحر قصيدته ورويا فمنها قولي :

نسيم الصبا عرف الحبيب لنسا يهدي
ألا ليت شعري يجمع الدهر باللقا
رعى الله أياما تقضت بجمع من
ومنفق أنفاس لبذل نفائس
إذا رمت علم النحس فهو خليله
فيما عين علم الفقه يا بحر أصله
كتبكم قد جاءني وهو مادحي
وهل أنا إلا موطي حسدو نعالكم

ويرق بدا من نحوه للهدى يهدي
وهل ساكن السوداء باق على العهد
له الممة العليا على الحر والعبد
ويضحك من فسطر المرور لدا الرفد
وأشرق في أفق البلاغة كالسعد
ويامن له رجعي اولى الحل والعقد
نجلت كنان المدح توييخه يهدي
وهل حبة الحصباء توزن بالطود

وهي طويلة اقتصرت منها عني هذه المقدرة سان بعض قصائده لرحل رحمه الله ، ومهم الشيخ احمد بن عون جد الشيخ يوسف مدكور وتمتد رتبة لقصصا بنمطة ومكث بها مدة طويلة ومهم العلامة الأسرع والتقني لأورع الشيخ علي بن الحاج نصر تغد خطة لقصاء ممتصة مده بعد لارم التدريس ببلدة بقطنة وتمعنت به الدس انتصاعا عظيما ثم استعفى من خطة القصصا بنمطصة وعكف على تدريس نفسه ، ومهم الشيخ علي ساسي بن عبد الرحمان تغلد خطة القصصا بنمطة ثم تنقل الى ولاية عمل الجريد ونال حظوة عظيمة ووجاهة جسيمة ووجه صاحب القول الفصل بالمركر السبسي وله يعود قارب درجة الاستقلال وسيأتي ذكر نصر فاته وقته تغلد مهم رئاسة عمل الجريد ابراهيم بن احمد بن عون الا انه أصر بالأهالي بوسطة بعض أفراد عائلته في استنزاف امواهم وسيأتي ذكر بعض نصر فاته أيضا .

وأما عشيرة المصاعبة فسبهم يرجع الى طرود وهم فريق بني قيس بن عيلان من عرب اليمن الدخيلين الى افريقيا في أواسط القرن الخامس وردوا على بلد نمصة في أرضان مختلفة ، وكان بدء ورودهم في أوائل القرون الحادي عشر والثامن منهم هذه العشيرة وقد استوطن فيهم الشيخ المركة العرف بالله تعالى سيدي محمد التدرري بن عرور ورد من بلاد الزاب سنة 1262 هـ بعد ان استوطن أخوه الشيخ سيدي مصطفى بن عرور بعشيرة بني علي وكان هذا الأستاذ الجليل عالما تقي ورعا بقيا صرف عمره المبارك في اقتناء العلوم وبثها بين طبقات الأمة ثم عكف على العدة والارشاد وانتفعت معلومه العدد وازدانت بأفراد عائلته البلاد ثم انتقل بأغلب عائلته الطاهرة الى الأقطار الحجازية وتوفي رحمه الله بالمدينة المنورة عني ساكنها افضل الصلاة وأزكى التسليم وكنت وفاته رضي الله عنه سنة 1310 ودفن بالقيع وخدف ذكره احملا ونشاء عطر وكان شاعرا مطبوعا وأديب ماهر نظم قصائد زمنية في مواضيع كثيرة معطيا في تربية لنفس وتهذيب الأخلاق وله عدة رسائل في هذا الشأن .

وأما عشيرة الزاوية فإن حدهم سيدي حمد بن خاخ ورد في أواخر القرن الحادي عشر وعكف على خدمة ضريح القطب الأشهر سيدي أبي علي قدس الله روحه وتوارثها بوه من بعده خلفا عن سلف وفي سنة 1164 هـ لما ورد علي باشا أمير البلاد التونسية وابنه سليمان بجيشهما

الجرار لتأديب فريق اللماشة الذين عاثوا في الأرض فسادا فتلا وسلب ونهباً حتى بلغ بهم الحال إلى أنهم أعاروا على الركب احجاري لو رد من المعرب الأقصى ماراً على بلدان الجريد وبه من الحجاج عدد من لعلاء والصلحاء وفيهم الشيخ التودي شارح تحفة الحكيم وغيره من الفضلاء الأعلام مهبوهم وشتوا شملهم وبلغ الأمر إلى الأمير عبيد الله المذكور فتجار مع ولي الجرائد في هذا الشأن فخص له في تأديبهم وأجمع على ذلك ومرت بلدة نقطة بقصد الدحوق لأنهم هربوا إلى بلاد سوف عندما تلعبهم خوق الأمير المذكور بهم فأدركهم وحدثهم أحد عرب مقتدر وشتت شملهم ومزقهم كل عرق وقد أشار إلى هذه الواقعة الأديب السارح أبو الحسن علي بن عبد الله الشاعر الأمير المذكور في قصيدته التي امتدح بها وضمن فيها بعض الوقائع لتأديبية مثل هذه الواقعة الواقعة الخيامة الذين أفسدوا السيلة وأدركهم في محل يقال له الحب ومطلعها

عليه حسواشي السقم مني تحور
دموعي من ترشيعها تتحور
علي ولكن فساعل الشوق مضمور
ويكذب في التصديق ذاك التصور
لها من سواد اللحظ وهو موخر
مباح ومن تدوب ووصلي يحضر
غدا عرضاً لما بدا وهو جوهر
عباب غرامي فيه مازال يسخر
وان مديباً البحر لا شك يقصر
لها من سواد السقم مني تحور
فكشافه للمبهمات مفر
غرام بقلبي وهمسوا فيك محير
أيما من يسرى دوا على الصدر يثبر
على أنه من قائد التوم ينفر
لبعد عوته كل القلوب تسخر
لا غناه عن أسم به كان يسحر
يقبل أزهد العباد الله أكبر
تحيط بوجه من سنا الصدر أنور
غني من الأشواق والصد مومر
وقالي من قلب على الصد يقدر
ومن بعلي يحتمي ليس يحور
لله بين اشراف الملوك تصور
لله السعد في تيسر ما يتعر
لكان له خرج عليه مقرر
وتفقدوا بهاتيك الحراسمة تفخر
صياغة مشتاق مدى الدهر تذكر
وكل ملك عن معاليه يقصر
عن الفحش في أفعاله وتطهر
ولا طائر النسرين لو يتطر
يصح له بالضرب قسم موفر
ليوث الشرايين بأسها وتؤخر
كان له من بأسها الدمير يذعر
من الدهم في شهب الامنية يسزور

يحفني بشرح الحب درس يقدر
وللنار من نار الفؤاد استعارة
عن الشوق من دمعي وسقمي مظنرا
وكم رمت صدفا من تصور سلسوه
وصري مسوح لرسوخ ساسح
وسري ونومي من كراهة صده
وجسمي من شوق لمنضود ثغره
بقصد صحاح الجوهر منه محكي
وما لمد يد الصدع قصر اذا جرى
لأنسان عيني مسرسلات مدامع
من رمت افهام الهوى عن عواذلي
ولولا سنا تلك الثنايا لما اعتدى
أقول اذا شاهدت ذاك طولها
غزال نقاد الأسد طوعا للحظه
فلسو لم يكن في طسرفه السحر ما غدت
ولو ساحر يدعوا باسماء لحظة
ومها بسدا محراب حاجب طسرفه
فدت بحواشي خده لام كاتب
فقير من السلوان والوصل معدم
لئن راح يبيدي في مخاوف صده
فلي بمن استعلى الأنعام حايصة
ملك الوري الصدر الذي ذكر مجده
هو الملك الشهم الهام الذي قضى
فلو شاء طساعات الملوك بأسرها
وتصبح في اقطارها حرسا له
ملك له في الحلم والعلم والقدا
ملك له فضل ومجد وسودود
له عفة في توبة وصيانة
له له هم لم يدرك الطرف شأوها
اذا ضربت للحرف يوم ما خيامه
لله وثبات في غنى الحرب يتشني
اذا ما دعى للحرب يسوم كسريه
تسرى كل ليث طالع فسوق غسارب

إذا ما جمرت في الأرض شهب جياته
وان أصبحت يسومها بساحة متذر
فما وطئت الأعلى جثث العبيدا
كان لها بالجسم علما وقد غدت
ومد العبيدا أعناقهم لبلاده
بمسركهم ذارت دوائرهم ومن
وكل ابن همام غيدا وهو حارث
وظنوا بأن النقب يمنع جمعهم
وقد زعموا بالجهل ان يضعوا الهنا
فبرافت عليهم خيلهم فكأنها
كما زعمت نهش تنجسوا بغربها
ولو انها في مغسرب الشمس أو غلت
أو اتخذت في الأرض سربا لأمنها
فلم يغن عنهم كلما امتنعوا بسبه
وحاز بلاد الزاب طرا وسوفها
وكسانوا كوادي النحل حتى حطمتهم
إذا وقعت أسيفاه في عبيداته
إذا رفع الأعلام فأجزم يفتحاه
وتخفق من خفق البنفسود لعلمهم
ملك له انقاد الزمان لقهره
ملك غدا مرحوا السعادات ان ترى
لكم رخصوا بالرصود بعد كواكب
إذا استنحت أفكساره لقضيصة
يمينا بها تحوي شمائله التي
لان له بين الملوك ممانثر
كسريم له في المكرمات ماثثر
إذا ذكرروا مجدا فإن محمدا
ومها شياطين المعادين أفسدت
ملك في العلم أشرف رتبته
إذا استغلق المعنى بمفتاح ذهنه
له منطق تسقي غصون رياضه
له السعد عيد في البلاغة اذ غدا
لله في أصول السدين من
وكم في أصول الفقه جمع جوامع
ترجح في الميزان اذ لا مقدم
واما علوم النحو فهو خليلها
ولما تبدي فيه مبدع شرحه
ولسوا بلغ الشرح الجليل ودونته
لقطعها مسيحسا لواد وهكذا

تسرى الشهب في أفق العلى تحير
يسوء صباح المنذرين ويكدر
نديق من الأعضاء ما ليس يجبر
لأضلاع أشكال العدا تكسر
فقصر مدود العدا منبه اتر
دماهم سيسوف الدوائر تقطر
لما هو من جنس المفسد مكثر
نعم مانع مما أرادوا وقدروا
بموضع ذاك النقب وهو تغير
من الجو عقبه ان عليهم وانسر
فكان لها بالقلب غريب يؤثر
لادركها او مطلع الشمس تنفسر
او اعتقلت بسالنسر حيث تؤثر
ولم يجد نفعا ما به تتسور
وحكمها عن اذنه كان يصسر
فجند سليمان فسولسوا وأدبروا
رأيت سيسوف المعتدين تطير
لما أم والجمع الصحيح يكسر
بملكيمه للخسافقين وينصر
فأصبح للأعداء بالرغم يقهر
وعسكره المنصور فهو المظفر
فهتمه انفسادهما ليس يحصر
أنته القضايا بالتناج تبدر
البرس منها نيم معطر
تسرى الزهر في العليا منه تزهـر
بها يتحلى المدح نظما ويثـر
له في العلى ذكر لمن يتدبر
غدت بسليمان الشياطين تسدخر
بها اعظم الاعلام في العلم يصفر
له فيه بسلاياضح فتح ميسر
بيانا فتغدوا بالبلاغة ثمر
له سيدا دون الأنعام يحور
مواقفها عنسد التأمل تبهر
بقول محلى الصندر منه ويفخر
مسواه وكل فيه ثمال مقصر
وكل خليل بالمخبال اخبر
عسا كل شرح ظاهر منه يضمـر
بحور وأمواج على البر تزخر
الخليل بتقطيع البحور مشهر

على احد لكنسه بك يفخر
وذكرك محمود على التجم يزهر
بعزمك كل المهملات تسور
خصهم وما منها عن عين راه مستر
تفيد الي الي دونها وتقصر

أرى العنقاء تكبر إن تصاد فعمائد من تطيق له عنادا

46

وزاد عمارتها ووسع نطاقها وتقلد ابنه سيدي محمد حريف ولايتها فأمر على مؤرخ سنة 1263 ولما توفي سيدي محمد حريف سنة 1266 نشر أمرها والدبا سيدي محمد الكبير من الشيخ سيدي محمد التابعي ثم تقلد أمر ولايتها ثامر علي مؤرخ في سنة 1268 فقام بأعبائها حسن قيام ثم أوقف عليها والده المذكور عمارات يصرف متحصل ارباعها في القيام بشؤونها مع ما أوقفه أهل البر على ذلك فتجلد لشيخ الوالد لتعمير هذا المعهد العظيم ودل الصعوبات التي اعترضه في هذا السبيل وأفق في ذلك من ماله الخاص به أموالاً طائلة لتسديد نفقات الروية وأداء المغارم الدولية التي تراكمت على نخيلها مما يستعرق جميع مداخلها في أغلب السنين فيصطر إلى حيز ذلك من حصة ماله بل ربما باع عقارته الخاصة ولازال باذلاً وسعه في تشييد مآثره وتوسيع دائرة عمارتها إلى أن توفي رحمه الله سنة 1299 وبعد وفاته تقلد مشيختها به العتيق الأسرع والزميزه الأورع الشيخ محمد الصحيحي وبمجرد ولايته قام إحياد الشيخ سيدي محمد الشامي بدعوى استحقاقهم من أوقف الرواية وعارضهم الشيخ المذكور بأن أوقف الرواية مخصصة للقيام بشؤونها حسناً حتى به عمل سلفه وسيف سلفه وعمل مؤسسين لها على أن المؤسس للرواية لم يقصد سدث نفع دريته وإنما يقصد نشر لتعليم وسد حلة للمعوزين لأن دريته حصص هم أوقف سدد نقطة يقتسمون متحصلها فاستظهروا برسم رعموا فيه أن بعض أمكن من أوقف الزاوية حس على المذكور من سوء الشيخ سيدي محمد الشامي ولم أحدث نسخة من الرسم ووقع التأمل فيها تبين أنه مفتعل وافتضح افتعاله من عدة أوجه وأخذت المسألة أدواراً وبعد الأخذ والرد انتزعت الزاوية وأوقفها من يد أساء الشيخ ووضع تحت نظر جميعه لأوقف وقد أوردت هذه المسألة برسالة سميتها كشف رأي عما حتمي من مسألة الوديان أتيت فيها على تأسيس الزاوية وأصل تأسيسها ومؤسسا ونظارها وما تقلبت فيه من الأدوار فليتراجع.

فصل في شؤون نقطة الادارية الحديثة

لما كان لبلد نقطة نشأة حديثة سببه لأدوارها الأولى أي قبل أن يجربها الاتراك مد ثلاثة قرون ونصف أعني من سنة 1010 هـ لأن لبلاد العتيقة ثلاثت وأقيمت على أطلال بلاد أخرى ووجدت عليها أسس من قبائل شتى في أدور مختلفة و استوطنت بلاد نقطة وقد بقي البعض من أهالي البلاد الأصلية الذين رجعوا بعد تشتيت شملهم غير معتبرين في الأهالي لطائفتين الذين عمروا البلاد الحديثة وبذلك لزم أن يلم بأحوال الادارية في أطوارها الأخيرة، قد كنت شرحاً في القدير لدرس ومدوا على بلاد نقطة في دورها الأخير هم قبيلة بني عبي وقبيلة بني يزيد وقبيلة بلاد شريف والمقتدر الذين استوطنا علقمة وما نبتة اشعرتهم فإسلافهم وردوا فرادى تأسسوا ونرايد عددهم وبدمج مع الواقعيين من بقي من أهالي البلاد الأصلية، وحيث أن الأحكام الادارية واستحلال المعارم الدولية كانت سبباً دية محصنة تحريمها الدولة بواسطة من تخناره ويعينه لذلك ثم يتوسع هؤلاء الرؤساء في الاستبداد ويتصرفون في الرعية على حسب هواهم وما تقبله عليهم صبرهم من غير تقيد بنظام بحيث أن لرعية في هذا الدور مسوفة بعض القهر لا أمن لهم على أديارهم ولا أموالهم ودارع فرد ووصفته شكاية إلى الدولة لا يجد أدماً صديقه شكواه بل يعد من يترقب على الدولة والمحررين عنها والمحافظين لأمرها فتجري عليه أحكام الذين يسعون في الأرض فساداً وبمجرد سماع شكواه تؤمر بباية العذب بوقفه مع من انصم اليه ويسبق إلى تسخون منظمة ولا يكتفون بسحق لسيط بل يعتمدون إلى تلك الأحساء المكرمة ويتذولونهم بحضرة بعض الخور إلى أن يمرضوا أديارها من غير شفقة ولا رحمه ونصدر الأوامر بتعريمه عرامة تأتي على جميع كسبه منق لا أثوت وإذا قدر بقاء حياته بعد خروجه من السجن يبقى فقير يتكفف ومهده لحالة يمرض نفوس الذين لهم سكة من الدين وبارقة من العلم من الرئاسة التي يكون صاحبها آلة تخريب البلاد وتعذيب العباد

فإن العائلات الذين سددت بصائرهم بأنوار علم وتسلخوا أهداف الذين الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بقصصت مواسمهم عن الرئاسة المخزية ولذا لما توجهت همه بعضهم لذلك ولم يتحاش ما تحاشه سلفه لم يقع بالشيخ فقط بل تحووه إلى رئاسة كفة الحريد مثل ابراهيم بن عون وعلي لاساسي وغيرهما وهؤلاء (أي العائلات المذكورة) مثل عائلة سيدي احمد معاد المعمر عنهم بمواعدة وعائلة سيدي احمد بن الحاج المعمر عنهم بالرواية وقبيلة الزبدة وحط الطير وان هؤلاء العشائر أقبلوا على مداخل لعدم ووشجت فيهم عروقه وشر في عقوفهم صوءه فكنا يرون أن الحالة التي اتحدوها أولئك الرؤساء طريقه لهم تشتمز منها النفوس فتدعوا عنها وفروا من عوقفها الوحيدة اللهم إلا الما صاب الشرعية فانهم يتلفوها بصدر رحيب بحقيقة منهم على العقود الشرعية والحقوق الشخصية كاللكاح والطلاق والموارث والحصانة وغيرها كي لا تحرقها أيدي الجهل فتتلاشى هذه العقود التي قام بها ولتلك الذوات وحفظوا على ما موسسها وتوطيد مركزها وربما اعترضتهم في سبيل ذلك عقبات يعسر قطعها فيتجشموا صعوبات لتدليلها ولدت ترهم يسلكون طرق المجاملة والمدارات مع أولئك الجبسة كي يتيسر لهم اجراء الأحكام الشرعية لئلا لا عرض هؤلاء الطغاة في تعطيلها وبهذه الحالة وهذا السبب كانت الرئاسة للحرية أعني الاستبداد يتفقدونها رؤساء العشائر الأربعة المذكورة به هم من البدوية التي يلازمها الوحش تلقنوا هذه الرئاسة واتخذوها دريعة لاستئراف الأموال

وسرقق لرجال ويعبرون عن هؤلاء الرؤساء بالمشايخ فكل من هذه العشائر شيخ يستخلص جباية وعشيرته ومن يليها وان شئت قلت يمتص دمهم وتجري بينهم الأحكام العرفية على ما يقتضيه هواه وتستدعيه الأغراض حسية والأهواء الشخصية ويوجه اليه التهور كبقية قبيل هؤلاء المشايخ ان يدل من يريد هذه الرئاسة مقدارا من المال لرئيس الدولة وبعض حاشيته ويقبضه لرئاسة المذكورة مقتضى صهيير يكتفه حد كنه الأمير ويحمله بحتمه علامة على امصاته وبمجرد اتصاله بالأمر يعمد الى الرعية ويستخلص منهم ذلك اصعفا مضاعفة ويستمر منصرفا في الأموال والأبدن لا يحرره راحرا ولا يردعه رادع ان يستبدل بعيره فيركس ركضه في ذلك الميدان وبقيت هذه البلاد وما حوفا من سدان حريدش تحت ثقل المعزوم ويرصف تحت قيود المطالم دهورا وأحفا من أواخر دولة الموحدين ثم دوة لدايات وما عدى الى ان استولى الامارة محمد بن فعدل الأمر وخصه لأداءات وصرى العمال على أيديهم وتوعدهم بالانتقام دا تجاوزوا حد لأوامر حرمه نظم مدته ورجع الأمر الى ما كان عليه الى ان استولى سوري حير الدين فقصص المداحيل والمصاريف بطريقة منظمة وبقي الأمر دولة في حطاط ورفق الى ان وصفت لدولة غرسانية حريتها على هذه الأيالة وسياتي تفصيل ما أخرته هذه الدولة من الاصلاحات الادارية والاقتصادية والاجتماعية.

وكان أصل احباية مرتبة على بلاد احريد عشر ما يتحصن من غلال بحبلهم وريائيتهم في كل عام يدفع خزينة الدولة وهذا لترتيب سلس من دفع الاسلامي لأنه هو الأداء الشرعي وهذا مقدار هو غاية في العدل ليس بأسطو لرعية فقط بل حتى من جهة خزينة يصاد بحريد لدولة كانت مقعمة بالأموال قائمة بوحاشتها تحسني قدام لأن هذا المقدار بالنسبة لعمروان اسلاط وجراء العدل فيها كثير حد فقد يت في بعض التعديلات معتقفة احباية التي تستخلص خزينة لدولة في خصوص بلاد احريد في صدر دولة الموحدين تسع مائتين ألف دينار وهي مائة من خمسة ملايين من المراكات تقريبا لأل لدير قيمته خمسة وعشرون فرنك والدير هو المحسوب المومي وهو يسوي خمسة عشر من فرنك وأكثر ثم أحدث خدابة في لف قص بغير مكثف مضام وتراكم المعارم وطلاق الأيدي بالسلب ولهب حتى نزلت الخدابة في سبيل لاحيرة الى أقل من عشر هذا مقدار بالمعنى من كون احباية التي تستخلص عن النجيل ولريتون تسوي ربع متحصل غلالها تقريبا حسب في ذلك أمور منها ان الدولة اذ كانت مقصورة على الأداء الشرعي وهو عشر المتحصل من الرعية تسبعت بموسمهم الى لتعمير وكثرة معسمة وحكمة لأرضي فتموا اعداد لأعشار ويرداد ثمرها وتسع الأراضي التي يشعلوها بالعراصة وبذلك تكثر موارد الخيرية الدولية فقد تساع ثروة لأهلي ومنها تسس ودفع متفقتين عن احتطاف المصنوع التصادرة والوردة فيقع الاقبال على التفتح ويكثر تراحم عومدين غريب فترفع أسعارها وتنصف أثاثها ومنها حلب لمصانع الضرورية من اقاصي السلاط ليستدلوه نتائج أخرى فيحصل بذلك سلاط تسرح متكرر ومنها الدولة في أول أطوارها لعنل عسب السذحة وتفتقر في مفاصلها على الضروري فلا داع الى امتداد يدها ليهب ما ثابتي رعية و سطول لأكثر من حاجتها والعكس بالعكس ذلك ان الدولة اذا استحكمت صبعة لمك فيها تلوت في مذهب اتروا ومسايرة بعيوم وصار ذلك ششنة في كل من يمتني لها من التوزيع الى لخدم فتشند اخذة الى تسديد رعايتهم وما تستدعيه شهواتهم فلا يتكفون من تسخه هم لدولة من مراكات فتستد يدبهم في ما في يد الرعية وتطلق هم لدولة العنان في مضغمة الضرائب وريادة المعارم على ثمرها الرعية وشند وطاعة لعمال فحقنون وسنن وأسباب لاستراف الأموال تارة بدعوى حراف بعض الرعية عن الدولة ومعاكسة الامراء بغير ابرعاهن لمعصيت عن أهلي عصبية أخرى ووعدوه بانواعيد المرحفة حتى يسلط عليها فيسلب نعيمها ويتركها تحت أديم سماء لأرض وطوايفه لسماء عاصف واوتاب حدث صرنت عمومية رائدة عن المعتد هذا فصلا عن اطلاق يد العمال في الارتشاء السلب وغير بعض الخبائث بالنقص بالاصطبا في اداء لعكر وهذه الاسباب نقل العمارة ويفقد الأمن فتقبص الأيدي عن العمل وتنفرد شغوس من ذلك ويفشى الكس بين طبقات لأهلي أنهم يعممون أنها ابلة ن السلب والنهب بل ربما تركوا أوطاظم مهاجرين الى حيث ظنون لأمن على لأندل وأموال فيقل الساكن ويقعد التعمير وبذلك يقل مورد خزينة الدولة فتريد في الضرائب حبرا لما بقصها وهكذا حتى تقرب من درحة الثلاثي والاصمحلال هذا هو المعزوم لمدول لاستبدادية وموتها وحرى الأمر على هذا الموول في بلدان احريد شقة المملكة التونسية من احري لدولة الموحدية ثم دولة لدايات ودولة المردين الى ان تقلد الامارة على السلاط التونسية وأعماها حسين بن علي ردت سنة 1117 هـ وكان يصيل بطمعه الى الرفق والذين فعقد انعمز على احراء العدل في الأحكام والاقتصاد في الأداءات الدولية على الأداء الشرعي لكنه من سوء لحتة ساعده ظروف الأحوال لأن السلاط التونسية صادفها في حالة انفاقة ودور الخراب بسبب ما لاقت من محاسن في لأموال وانفس مما جرته عليها احروب التي شبت بين العائلة المرادية وأشياعها السنين لعديدة مع تسلط الولاة على أموال رعية ونيها فهي عارة عن ذئب في وسط أعنام تنهشها ولا راعي لها ولم قام عليه حفيده علي باشا بن محمد بن علي والتف عليه أشياعه وفامت بيده وبين عمه حروب أنت الى قتل عمه حسين بن علي وانتصاب حفيده المذكور أميرا مكانه وذلك سنة 1153 هـ وسلط أشياعه على تسب عمه فاستأصدهم ومن بقي تركهم حفة عراة وحرى في تصرفه على شاكلة من تقدمه من الأمراء الى أن مات قتيلا وتقلد الامارة بعده بن عمه محمد بن حسين بن علي وذلك سنة 1169 هـ فلم يتمكن من ترقيع ما خرفته أيدي المطالم وترميم ما هدمته معاول المغارم فتعذر عليه حرم ما أصمره من الاصلاحات لعدم وجود من يعضده من رجال السياسة العارفين بسياسة الشعوب لأن لرجال الذين تعلق عليهم

الآمال أفتتها لحروب والسحون المظلمة وبقي الأمر على حاله إلى أن توفي سنة 1173 هـ وتقلد الإمارة أخوه علي بن حسين بن علي مسيح على موال ساقية في حالة اجباية ولأحكام إلى أن تقلد الإمارة ابنه حمودة باشا في آخر حياة والده وذلك سنة 1196 هـ فهتم بمؤرخة وتصحيح الدولة وأضمر أمرا تساعده عليه ظروف الأحوال واتخذ لذلك قوة حربية وما يلزمه من العساكر والدختر خريبة والعلاخ والخصون وغير ذلك ولم تقم بمرعوبه مقادير لحاية فأطلق الأيدي في مكاسب لرعية وسلبها بكل وسيلة ولم يكن ذلك لأجل الاسراف في البذخ ولشهرجة الشخصية بل كان يهني بعض خدامه على ذلك ويأمرهم بالاقتصاد وبالدعاء لذلك لرعية في توسيع ترب المسكة وردها إلى ما كانت عليه في دولة الموحدين وقد غاب عنه ساعه الله أن ذلك لا يتم إلا بالعدل والسعي في تشييط الرعية على عمرة لأرض وسخراج كنورها وأمنهم على أديهم وأموهم وأعر ضهم وبذلك تسط بقه سقم ويأمرهم على ثمة سعيهم فتكثر نعية ويتعاطم الحرج به يدان لطمم والعدوان مؤذبات بخراب العمران كما نقل عن لموحر أن صاحب ديانة القرمس مما قاله لملك غرمس حين أسرف في عظمه على سويل لتهديد في قلب حكاية حال معرضا له بذلك نصرت مثل في ذلك على لسان لوم حين سمع ملك تصوتها وسأته عن فهم كلامها فقال له أيها الملك يا يوم ذكر يروم بكاح أنى فشتطت علمه عشم بين قرية من الخراب فقبل شرطها وقولها أن دامت أيام الملك فقتطعت ثمة قوة فتته الملك من غفنته وسأله عن مراده فقال له أنها الملك لا يتم إلا بالشرعية وقيام له بصاعته وتصرف تحت امره وبهم ولا قوة لشرعية إلا بالملك ولا عر للملك إلا بالرحال ولا قوام للرحال إلا بال ولا سبيل لدمار إلا بالعمرة ولا سبيل للمعمارة إلا بالعدل فتمت الملك فقيع عن طلعه وهتم بالسعي في أساس العمران الذي هو اكسر الثروة والعبي ولكن احصل بطرقه مما حرم على عتال أن يشد به إلى مدهج السداد وسار في ذلك لسيلين وقد غرا بلاد خرنر سنة 1227 هـ إلى أن بلغ أسور مديها وم يساعده خطه على مر منه كي به عر بلاد طرس ويربها بمساكره التي أرسلها عليها بر وجه ١٠٠٠٠٠ صمها لبلاد لمويع سياسي وتوفي رحمه الله سنة 1229 هـ بعد الإمارة أخوه عثمان وششهد في عامه بيد بناء عمه حسين ومصطفى طلبا لاسترجاع حقهم نهصوم على أبيه لأن والدهما محمد داس محمد لشد أكبر منه ومن أخيه حمودة سب وقد منع من لولاية من حمودة حتى يوحف المس ثم أحرم بعده فكب ذلك ذاع لحرجه حتى مات وقعد الإمارة ولدهما محمود بن محمد برشد بن حسين بن علي وسار في سنة تة على ما سار عليه سبقه إلى أن توفي سنة 1233 هـ وتقلد لأمه به حسين بن علي وكاب شهها حرما فتصدى لأحياء رسوم الدولة وتربيت أمورهما وحفظ مصنفات فرتب أجد النصف مني الوطني وهي له ما ساسه من مدحجر الحربية وما يقوم به من كسوة والمؤونة والمساكن والبرعة من صصاره بشفقت ساهضة فلم يرد على لصراب الاعتدلية وسار في سرتة عن ما هو مألوف إلى أن توفي رحمه الله سنة 1251 هـ وبعد الإمارة أخوه مصطفى بن علي مسيح على ماله وبهج مدهجة وسند مسلكه واستمر الحال على ذلك المنوال إلى أن تقلد الإمارة ابنه أحمد بابي سنة 1253 هـ.

فصل في تغيير الهيئة الادارية في نفطة وغيرها من العمالة

كانت هذه البلاد لنفطية يدير شؤونها اربعة مشايخ من كل عشرة من العشائر الأربعة المتشعبة ذكرها شيخ بقده لأمير هذه الدراسة ويأشر إدارة شؤون ما لظهره تحت اشراف الأمير ولما بعد أحمد باشا الإمارة وكان هذا لأمير ولوغ هيئة الخد واهتم بشأنه مع صل بحمة الدولة وتشبيد أمة الملك ورأى أن مالية الدولة ضعفة لا تتحمل نفقات ما أحدثه من لراتيب الدولية فأحدث في حدث صرت أخرى أثقلت كواهل لرعية واسترفت دمهم فمما أنه في سنة 1256 هـ رتب أداء وهو أن يدفع كل بالغ لشيء بحمة وعشرين في السنة من ثمن بيعه حرية سدولة وكل بلد من بلدان القطر يلتزمه أحد القواد بمقدار من المال يتفق عنه مع الأمير وراثته وتطبق له الدولة ليدى استخلاص ذلك فيستخلص من الرعية أضعاف ما التزم به للدولة بواسطة دعاوي ملققة توجه على الأهالي توجب عصارهم بدل على مقتضى استددهم ومنها احتكار الحكومة لبعض الصروريات وبيعها بثمن ساهط ومن عثر عليه يتعاطى ذلك يعاقب بحرمة رست على جميع كسبه مقولا وثاننا زيادة عما يخلقونه من التهم الموحجة على من يرومون سلب نعمته من غير مراعاة ولا بحكمة ومنها أحداث أداء على عدد النخيل والريتون وذلك سنة 1258 هـ وزيادة على أدائه الأصلي إلى غير ذلك من لصرائب التي لا تدخل تحت صسط أو ربط وهذا سبب أحدثت الدولة وظائف جعلت لقطر الجريد عاملا وفي كل بلد حليفة أو أكثر اثنين عن العامل في ما هو مكلف به وعلى كل عشيرة شيخ يرجع نظر الجميع للعامل وهو الذي يستخلص لصرائب الموظفة على عمله وهو المطلوب به يتقل على عوتق الرعية ودخل هذه لعممة ابراهيم بن أحمد بن عون أحد أعين عشيرة الريدة وكان من عائلة سبيها وكان ولده متقلدا حطة لقضاء نفطة وله مكانة عظيمة لكن هذا الولد خرج عن طوره فارتحل لتوس وتطرح على اعتاب رجال الدولة متطلب الانحرط في سلك لولاية حتى أدرك صالته المشوذة فالترم محصولات البلاد ثم تقلد قيادة الجريد وأطلق له العاد فسلط أفراد عائلته على بلدان الخريد كالذباب يعثون في الأرض فسدا وسلط أهالي البلدان على بعصها بالسلب ونهب ثم ابتكر طريقة للاحتجار عما بقي من رمق احياة فسعى لدى الأمير بأن يصدر ظهرا يقتضي أن من عجز

عن تسديد ما يطلب منه بإعاقته فيها هو مطلوب فيه قل أو كثر فصار العقار الذي يساوي ألفا يباع بخمسين وفيه حرج على الحاكم شرعي أن لا يتدخل هذه العقود إذا رفعت لديه نوازلها طال الزمان أو قصر بحيث أن ما نعه العامل وأمضاء الأمير بختمه لا رجوع فيه لئلا يجر أهلي البلاد على تسديد ما يطلب منهم ونحوها الأموال إلى الأبدان بالسجن والضرب حيث أن العقار لا يجد من يشتريه خشية الناس من موافقة شرعوا في مباحرة بلادهم وأوى إناهم وجددهم وتتابعوا أفواحا وابتدأ ذلك من سنة 1262 هـ. وفي هذه السنة فر إبراهيم بن أحمد بن عون لإيالة أحرار لعجزه عن الوفاء بما طلب منه فتقلد قيادة نقطة أحد عماليت القصر المسمى سليم وفي سنة 1263 هـ قدم أحد عماليت قصر الوالي المسمى أحمد رروق إلى أحرار مع طائفة من الخد الخيالة وشد في استخلاص المغارم وأحيرا شرع في بيع التخييل حسب رسمه ثم بحس دراهم معدودة وهذا البيع يقع على أجنة من فر نفسه من الضرب والسجن المضيق وأما من وقع القبض عليه فإنه يرح في السجون المنظمة تحت القيود والأغلال والضرب المؤلم ثم في سنة 1264 هـ كلف أحمد رروق هذا بترتيب جند خيالة من بلدان الجريد والبرمهم شامة حبس والسلاح والترامهم ومؤونتهم ومؤونة حيولهم وقيام شؤونهم من خاصة مالهم وصادف هذا الأمر ضعفهم فزاد الضريبة وأمر بضرب غلة وهذا الخد اتخذ للاستعانة به على سلب الأموال واسترواف ما بقي من دمء الأهالي وفي سنة 1266 هـ أحرقت جميع عشائر البلاد مع عائلاتهم وأعنيهم استوطن بلاد سوف ناعم عن سوء معيشتها وضعف أسباب التكسب فيها لكنهم حذوا بفوز بأنفسهم ومن تعديت أديهم ولم يبلغ الأمير أحمد بن أحمد بن حو البلاد من أهلها وقد نعى فيها غراب الدين حشي من معبة ذلك وهو سرعان هذا الأمر أن أضاف بمكة فصار يصدر ظهير في حصص عدد سخييل ووظف على كل نخلة من المطلق ثلاثة أرباع الريال عدى ناصرين وهو عبارة عن ثمن وأربعين سائتي وهي كثيرة بالسنة لموقت والحال ولكن الأهالي رصوا بذلك حيث أن هذا الأداء بمقتضى الظاهر منضبط مع حبيهم إلى أوطانهم وذلك سنة 1267 هـ وبول قيادة حريد علي الساسي بن عبد الرحمان النقطي من عشيرة الربدة وكان متقلدا حطة القضاء بنفسه فانتقل منها إلى القيادة وسار في ولايته هذه سيرة صعط وعنف ولم يكتف بما هو مرتب من الحكومة بل تجاوز في استخلاص المغارم وحاور حدود المقدرة ومن رأى عجزه عن الوفاء بما طلب منه نادر ساشهر عقاره لبيع فيبيعه بأحسن ثم ويعرض سجل البيع على ختم ثولي علامة عن تبعيده فلا يتوقف في ذلك فاشتد الخطب ونصب عف الكرب لأن الوطن صار يغرم عدة معارم أحدها ما يطلبه صندوق الدولة والندية ما ينفه العمل لنفسه وثلاثة ما يختطفه خليفة والرابعة ما يختلسه الشيخ والخامسة ما يمتصه أعوان هؤلاء الثلاثة كل على حسب رنة محذومه فقام أهالي البلاد وشرحوه للأمير ما ألم بهم فعزل علي الساسي وولى مكانه أحمد رروق وذلك سنة 1270 هـ فكان يحق أن ينشد فيه قول الشاعر :

المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمُستجير من الرمضاء بالنار

وفي سنة 1271 توفي الأمير أحمد بن علي وتقلد الإمارة ابن عمه محمد بن حسين بن علي فأسقط من أداء المبيعات الذي هو خمسة وعشرون في مائة ثلاثة أربعة وبقي الأداء ستة وربع في مائة ورتب أداء المحصى على الرقاب وهو الزام كل ذكر بالغ قادر على الكسب أو التكسب من كافة بلد بمكة وعربها بأداء ستة وثلاثين ريالاً وهي عبارة عن إحدى وعشرين درهماً وستين سائتي عدى تونس والبلدان التي يؤخذ منها معسكر دك وهي القيروان وصفاقس وسوسة وانستبر وديت سنة 1272 هـ وشدت النكير على الولاة بأن لا يختطفوا شيئاً من أموال الرعية وتوعدهم بالانتقام صدرم دانست على أحد أنه أحد شيت رائدا عن الأداء المرتب وفي هذه السنة أعاد علي الساسي إلى قيادة الجريد وبإياله من الأدال على هذا الأمير أو صلة كانت بينهما قبل حذوسه على تحت الإمارة سار على نهجه الأول من استرواف أموال الأهالي بالوسائل الفعالة وكان دانه في أحرار مقاصده وتوصل إلى ما يهواه أن يستميل من كل طائفة من البلد أفراداً من الذين يخشى عاقبتهم إلى الأمير لذي شدد عليه سكير في تحاربه بأخذ الصرث فيعفيهم من بعض الأداءات وربما يحبس بعض إحسانات طفيقة سدا لأفواهم على التشكي ثم يهيم في حصد أموال الرعية بصرب لطله وكان معتمداً في سره على الوريز الذي له مشاركة مع القواد وهو المتعهد بسد باب القبول لتشكيات إلى الأمير وما عم الكرب وجل الخطب هرع الناس روافات وألغوا شكاياتهم إلى الأمير مباشرة فعزله وقلد عمل الجريد لبعض عماليت القصر وحمل له حمداً يشارون إدارة لبلاد تحت مراقبته وذلك سنة 1274 هـ وكان المتقلد للخلافة في هذا الدور العبيدي بن الحاج أحمد العنقي وأحارب بن مصر الله من عشيرة الشرفه وكان للأمير في هذه الولاية مقصد حسن لو تم لأنه أحال انتخاب الخلفاء على الأهالي وكان من المعتاد أن ينتخب خليفة واحداً لنقطة ولكن أهل البلد رأوا من حسن النظر أن ينتخبوا خليفتين لتنتفي الأغراض والتعصبات ويكون كل خليفة المرصود من الآخر فكان من سوء الحظ أن اتفق الخليفان بدا واحدة وامتزجا امتزج الماء بالراح وصاروا كرجل واحد كل ما دام واحد منهما عرساً إلا ووافقه عليه الآخر وكان للأول على الثاني ظهور بحيث أن نسبته منه كنسبة الخليفة من العمل

ما علي الساسي فبقي يتطرح على أبواب الكراء والرؤساء إلى أن توفي محمد بن علي وذلك سنة 1276 هـ وتولى الإمارة أخوه محمد الصادق وكان هذا الأمير يحب راحة الفكر ويلقي مقاليد الأمور إلى وزرائه وكان المعتمد في سياسته عليه والمقرب لديه مصطفى خزنندار وهو أكبر وزرائه فأحرى الأمور طوع أمياله فقلد علي الساسي قيادة الجريد كما كان وحرى في تصرفاته على مقتضى عادته المألوفة من تثقيب الضرائب

على عائق لرعية واستخلاصها مكررة بكل وسيلة ومن عجز عن تسديد ما يلزم به يباع كسبه عقار وغيره ثم عمد لتغيير هيئة إدارة بلاد فجعس بها ثلاثة عشر شيخا سدل أربع يستعين بذلك على استنزاف أموال لرعية فصار كل من العامل وأخيليتين ومشتاخ ينهب نفسه ريادة عما هو مرتب للدولة ورد على ذلك اجراءات للترميم للمكوس وما يخلقونه من انهب اموحية عن من يتصدون سلب بعته وهذا الامر حاري في جميع بلدان المملكة بدون استثناء ومن المعلوم ان كل ما ازدادت المعارم وفشت المظلم لا تنقص عجز لا تقصص المنوس عن السعي فيها لا يدركون ثمرته وربما يعادر اجل بلادهم فتقل العمارة بقله وحوادث اليد العاملة وتنقص موزد صدوق الدولة فيدجنبت ذلك الى ريدة في الصرائف على المعتد فتزول الامور الى لاحتلال ثم الى الاصحلال وقد وقع بالفعل في بلاد بني سبيد مقدس الدولة ما رآني عجز لحرية عما تستدعيه عقبات حكومة وان شئت قلت شهوات رجاء لشخصية عمد الى اتخاذ طريقه اخرى تسديد عجز احرية فكنت لنفاضية على الرعي والرعية وذلك بفتح باب التداين من اوروب بقوت لا تحميها حاة تقطع مع ما عساه ضعف موزد بلاد تشنت شمل العباد فتدريخ اشهر بعض الدحتر حرية ومراكب تحرية بانها باهضة فوق قيمتها حقيقة بأضعاف مضاعفة جعل ذلك وسيله لنهب هدا باب كذا تدريخ حلب ماء رغوان للعاصمة في قوات تورخ في حواء مدينة وكان هذا هو مقدمه للاحجار على نفسي من ادق في المسكة توسية ود فتح هدا باب وصار كل ارام احد مقدر من هذا لا وبوجه أوراق حواله على الحرية توسية في اوروبا حلب ما يجتاه من ذلك وكلما طلب المال يوسيد فواتص ديوبهم تداين لذلك وهكذا حتى بيع للدين الذي ثقل به كاهل حرية مقدر له باب في تقصصا على الرودة حتى تقرر تسديد لقونص وقوي اخراج لتدائين في انصاء حقوقهم وأحدوا يفكر في ما تجد مدينة الدولة فشنت لامة وصوق الخلق على الورير وأحد يفكر في وسيلة تحصص — — — — — بركات حكومة وفي انصاء الديون تسعى في مصاعفة الحصى وهو الاداء شخصي مداب على ارقاب الذي أصله منه وثلاثون ريبا لا كما تقدم فجعله ثلاثة أقسام قسم تصعبت في ثلاثة أشهر يعني سائة وثلاثة وقسم ثان وسبعون ي يصعب ان مثيله قسم يقى ستة وثلاثون وبعد عرجة من بعض عقلاء رجال الدولة عصب منه ثوبه يدق انسى محمد صادق ونصر مر في ذلك سنة 1279 هـ وكان هدا وزير عتب جلوس سدى محمد صادق على عتب لامة محمد ان استصدار ظهر من لامة سمو عهد الامان كان عزم على اصدره محمد باي ودمته في مدته وهو عذرة عن قبول مشتمل على عدة قصص — — — — — محصلها كلفة سكاك المملك موز على تهمهم واعصهم وأمه لهم من صوري وعدوان ورنسب تحاس مدينة وحبية في العاصمة بقله بلاد المملكة وكل مجلس رئيس ومستشارون محافظون على حواء الأحكام العمدية على مقتضى انصاء ساسة بذلك وكل هدا باب لم يدم أريد من عمين ويقال ان لورير سعى في بطلان ما فعل في هدا السنة ذكر الشيخ محمد بزم في صفوة الاعتبار لأصل في سعي لورير لتأسيس هدا بقوم هو مصلحة احصاة وما حصل على عرصه من سقى به مصلحة بل ربا بقوفة على مقاصده مدته بذلك حد وسائل لا بطلانه وأبطله بالفعل وذلك ما جلس محمد باي على تحت لامة وكان له اشياعه باقيين سيرة لورير فخشي ان يسعوى في لانتداه منه

وكان لعتب في ملوك هذه الدولة ادا يقموا على وزير قتلوه وسأصوا جميع كسبه فمستتر هدا القوم بباي على مدته ولم تشد أزره وفتح على رما الدولة واستند على الأمير وناصور وصحاله اخو رأى ان هدا العباد ربي صار حجر عثرة في سبيل تصد مقاصده فأعلن بطلانه ولم عرصه بعض لعقلاء في بطلانه دعى ان لأهالي لم يرضوه حيث كان مختلفا لرب سب شرعية مأخوذة مع ان روح الشريعة هو المحافظة على الأبدان والأموال والأعراض ولأهالي انها عارضوا في مصاعفة الاداء لم يفلحوا ولذلك تهرب عامة الابانة وقوموا معارضة هدا الامر وطلبوا أولا بواسطة رعايتهم تخفيف هدا الاداء بما هم عليه من العسر لمالي الذي حرابه طلاق أبدي بولاية ثم ما أصر لورير على تغيده ثارب لجهة الشريعة تحت رئاسة رجل من قبيلة ماحري يسمى علي بن عذاهم فتولى رعاة هدا ثورة وكان متفقد حطة القصاص بثلث الناحية فالتفت عليه القائل من كل جهة وحصعوا الأوامره فسطعهم ولا ريشا راجع للدولة بوسطة رئيس مجلس شرعي لشيخ احمد بن حسين فوجه اليه خطا با بتضمن استعطاف مراحم الدولة في تخفيف وطأة بصرى على كاهل لرعية بني سبكتهم وشنتت شملهم وتركهم تحت أديم السماء والأرض وطانهم والسماء عطاهم وضوا تعديل بصرى وب حواء اعدب فك حواهم ان وجهت للدولة فرقا عسكرية لعصهم على الاداء وارضاحهم لأومره واستعدوا بمقوماتها واتسع اخرق وقامت لجهة حرية يص تحت رعاة رجل يسمى فرج بن دحرة وذلك سنة 1280 هـ فعمت الثورة جميع انحاء المملكة ولم يبق للأمبر بقود سوى في لعاصمة واسع بطق لقوصى وخذت لقبايل في قتل القود الموحجين من طرف الدولة ومن انصم اليهم فقتلوا العرب السهيلي قائد ماحري الذي بلعهم عنه به نصب شبكة ليحدهم ببايقاعهم في حاة الحكومة وقتلوا فرحات احد مماليك قصر لوالي لمتولي قيادة وطن الكوف لأنه حاد في طائفة من الفرسان لعصهم على الاداء وعرضوا له وقتلوه ومن جاء معه وهاجت العرب وماحت ولما تحقق الورير من عجز الدولة على مقوماتهم سبيا والعسكر الذي هو عصب الدولة اعسبه من الساحل فلا يروق له قتل اخوته على احصوع لظلم وأحد في استمالهم بوسطة بعض المرابطين ونسي بهم شيوخ الزوايا وتعهدهم بتخفيف وطأة الصرائف واعبأ القنمين هذه ثورة من مؤاحدة ومنهم على موزهم وبندهم

53

الخريد الذي هو مرتب على النخيل كل نخلة ريال وثمان الريال الذي هو سبعة وستون سантиماً فصار اثني وعشرين صانتيماً ونصفاً وفيما أشأت سكة حديد بين تونس وحلق الوادي أعطت امتيازاتها لشركة انكليزية ثم بعد مدة حولتها لشركة طليانية ثم حولت لشركة فرنسية وفي سنة 1287 هـ صدر أمر بإعفاء الطلبة المتعلمين بإجماع الرتبة من الأداء الشخصي المعبر عنه بالمحي وفي سنة 1287 عول على الساسي عن قيادة الخريد وأبدل بعبد الرحمان بن عمر الذي يدعو به رحومة وسعي في عدة اصلاحات وساعدته الحكومة على احراز بعضه لكن من سوء اخط لم تطل مدته فلم يلبث الا نحو أشهر قليلة وأبدل بحسين حيدر أحد ممالك قصر الوالي وعزلت الحكومة عدة قواد فعزلت ابراهيم بن عباس قائد دريد وعي بن خليفة قائد الأعراس واحمد بن يوسف قائد أولاد رصوان من الهامة وغير هؤلاء من حالت أيديهم في أحوال الرعية وأموال الدولة وجعل عبد الله السوداني خليفة لخس حيدر وقد حاول هذا الأخير ان يساعد حزبه وأهل عصبته على ثارة بعض القلاقل ليستفيد من ذلك التشفي والانتقام من بعض اصداؤه فلم ينجح بتفرض عقلاء أهل البلاد وتعطى نعمل بذلك وفي هذه لسة أصدر الوالي أمره في عمل الحساب مع القواد ولتقاضيهم لأموال الدولة فشكّل مجلس مركب من سبهاء الكتبة احسابيين خدات المكلفين بأموال الحكومة والرعية فأحضر أعين الأهالي لتحرير الحساب وصورته أن يحجز الأهالي تفصيل ما دفعوه باسمه بدولة سوء لمشتح أو لملحلاء أو القواد فما أحدث فيه تواصل مع ذكر يحجز على حدة وما لم يأخذوا فيه تواصل يحجز على حدة ويعرض على القاصد من أمره سحله عليه وان أنكر استعملت وسائل التحقيق بالبحث والسؤال لبعض الثقة منفردين ومحتمين وهكذا حتى تحرر مقدار ما قصه ابواؤه من الأهالي وتحدد بدمتهم من ذلك أموال طائلة لم يصل منها لصندوق الدولة شيء فشكّل مجلس لمحب كمهمهم ومطالبتهم من تحدد بدمتهم من ثمت عليه شيء بالشهادة العادلة أو بالاعتراف حكم عليه به ودفعه صندوق الدولة وما لم يشت قصصهم له بما يوجب إلزامهم به بقي مثقلاً على رقاب الأهالي ولكن الدولة لم تجد سبيلاً لخلاصه لأن المكاسب التي هي مثقلة بالمعارم تداولتها عدة من الناس في دور محتفة ونواريح متباينة فلم يحبس لدى الحكومة مطلوبة اشخاص ترتب الأداء على غيرهم في سبيل عابرة وانفعوا بتنج تلك السبيل وهم لم يحصلوا على شيء من ذلك وربما استخلصه المكلفون وذهب كما من الناس فتعين لدى الحكومة اسقاط تلك القديا السابقة وأسقطتها بالفعل وبما أصر به عند له السوداني على ادراك مأربه من الاستمرار على التشيع لحره وأضر ذلك بعمل الخريد فدفعوا الأمر الى الحكومة وفرروا لها ما يشاء عن ذلك من المصايد فهدرت بعزل الخليفة ولعمل أيضاً وفقدت عمل الخريد لمحمد مرابط القير وبني وذلك سنة 1289 وبمها توفي الشيخ ابراهيم بن عمر المعادي قاضي بقطة وعوض بالشيخ العروسي التبعي المعادي وفي هذه سنة أوفد أهل الخريد وفداً من أعبائهم على الحكومة ووقع التفاهم مع رجاها في شرح الأسباب التي احترت احوالة الاقتصادية بالخريد والأسباب التي عطلت استخلاص المطالبات بدولية فقرروا أن أهم الأسباب هو احصاء عدد التحيل بأكثر من الموجود وتراكم الضرائب المتكررة عليه فتسبب عن ذلك رهد الأهالي في العرسة وبقي الرسوم عدده في دفتر الدولة مثقلاً عليهم وما يسقطه من النخيل يستمر أداءه كذلك ولذلك يطلبون احصاء عدد التحيل فصدر لأدان بدت وعين لذلك ضابط عسكري يسمى عي جهان ومعه أمير وكنته ومعهم عرفاء من الأهالي يستعيونهم فيها حتي عليهم ومن الاحصاء رعاية بصط و لتجري وعرض على الدولة موقت على ذلك ونقص من عدد التحيل والريثون المثقل على بلاد الخريد بحر نصف واستمر الأداء على مقتضى هذا الاحصاء وفي سنة 1290 عزل الوزير مصطفى خزندار واستولى مكانه حير الدين لأسباب يأتي شرحها بعد وهي أن البحنة المالية المعر عنها بالكمسيون ما تعقبت أوراق الديون التي هي حوالة على الخريفة الدولية التونسية وحدثت كمية عظيمة من الأوراق قد تكرر تحويلها اذ تبين بعد التحقيق والتدقيق انه تكرر تحويلها ثانيا بعد خلاصها لمفتحة الدنية وعقد مجلس لمحكمتة مركب من رجال الدولة وبعض أعين العلماء ونشرت المسألة لدى المجلس وبعد الأخذ والرد حكم عليه المجلس بأداء خمسة وعشرين مليون من الرب لالت لصندوق الدولة التي هي عبارة عن خمسة عشر مليوناً من الفرنكات وفي هذه السنة أسقط قانون الوطن القلي وأبدل بال عشر وفي سنة 1291 هـ صدر أمر بترتيب أعمال الشهود بجعل دوائر مخصوصة بدرجون بها ما تحملوه من الشهادات شتمل الترتيب على عدة فصول محصلها ضبط تحمل الشهادات وأدث ضبطاً محكماً لحفظ الحقوق المتبادلة بين الحياة الاجتماعية وفي هذه السنة صدر الأمر بتأسيس جمعية الأوقاف وهي عبارة عن لجنة مركبة من رئيس وأعضاء وكتبة وقابض يديرون شؤون الأوقاف العامة قضا وحرف بواسطة بوب عن الجمعية ووكلاء في سائر بلدان المملكة ومركزها العاصمة وفي هذه السنة أمر باعطاء المفتيين والفضاة مرنات كافية من فواصل الأوقاف العامة المنحصصة لما عينه المجلس وكانوا قبل ذلك يقتصرون على أجر طابع الرسوم والفتوى فقط .

وفي هذه لسنة أعني سنة 1293 هـ هضت طائفة من أعيان بيلد ناقيين سيرة الخليفتين العبيدي بن الحاج احمد والحازن بن بصر به وتوجهوا لمركز الولاية لشر ما انتقدوه على خليفتين وإساءة امرهم للحكومة وكان من حملتهم لمسمى الشير بن لعبيدي من عشيرة الزبدة كان أحد رؤساء الجند الخيالة وكانت له وجاهة واعتبار ثم عزل وصودر على مال عرفه واتزوى تحت طي احمول وكانت بينه وبين الخليفة العبيدي ضفتش وأحقاد كامنة في طي الرماد حتى أصرمها الخليفة فأحرقت بشره جميع أهل الخريد كل واحد على قدر قرنه وبعده منها

وحدث الشيخ بن العبيدي بيع به الفقير الى درحة تنكشف فصار في حالة يرثى لها وكان العبيدي بها له من البعض فيمن ذكر يترصد له
بحرص لانحاء الوسائل للاستفادة منه فيضله معارم حتى اذا عجز عن تسديدها يعمله بصروب الالهة فلما اعياه ذلك نصم الى من قاموا من
غير السدد ومكيدة للانتقام من خليفة محتر، اعظم الضرر الى عموم الاهالي في اموالهم واندامهم وذلك نه قدم تقرير خبير لدين تضمن
في حبيقة خبير مع الاهلي واخفوا من السجين عن المكلفين بالاخصاء حتى نقص على صندوق الدولة عدد ليس بالقليل وهتز خير الدين هذا
حدث ورأى في هذا الأمر من كفران العلم حيث أن الاهالي كانت مثقلة عليهم مئات الالاف من تسخير لا وجودها يعرفون عليها المعارف
شينة وقد انت تحريم عدد سجين تحريم حقيقي ويدسون على الامور من اصدقاء بعض ابو حود ولا يقعون باحق وتموت عنده هذه
مدسوى برفع فاحش وشبهت من لاجزاء الاول والاخير ومف درى ان سب في ذلك امران حديد بالاعتبار حديهما ان ملاكه
السجين و - تنوع ما ذكره من صواعق التي تصب صواعقها على رؤوسهم لا تشوب عاك الا ارباب السخيل فزهذوا في لمراسة
و تعمير برب عمدة ان نفس السجين وعدمه سيرة ستقص عليهم معرفه حيث اهم علموا ان حكومة امرت باخصاء سجين وقد تقرر في
ذهابهم بال مع دستبط على عدد السجين كم فير و ثدي ان الامور من اندس نكلتهم خكة منة باخصاء السجين لم يكن منهم اخصاء اعدد
حقني من مقصد واحد بال تجر و عدد سيرة عوانه ان يوريع معارم على ربه بال كان يصح ضلاق لتوزيع عليه ثم بال لمامورين بالاهم
من علم مناصد سيرة نفس هم هتم شتات بوجبة بل مطمح انصرهم في يرضي الدولة فيبحر فوف في اثبات لعدد من غير شفقة
بوسموا في ذنر لاجزاء على ملاقة ف يسمية عليهم حب الترفيع بحكومة ونذكر ما هتم لورين حبر الدين بالاعمال في توزيع
نفسه ثمة اخرى لاجزاء حقيقي ووجد من به ثق بالاسمهم نفس مما هو ممثل على رفات ملاكه بحر لصف وفي سنة 1292 هـ احدثت
مدرسة الصادقية وهي عباره عن مكتب تروى فيه تعلمه الديني، لادسة وبعض علوم لربصة وبعث لاجسة على نفقة حكومة ثم
حبيبته هـ ملاك شتات من بور مصطنعي حرسار وقصصه ثمة كما تخلد بدمته حرسية الدولة ووقفتها على هذه المدرسة يضم ف
محصلها في عدم شتات وها وكان هـ مشر و حليل ثر حيل بحق لالهة التوسية ان يلجج بالشكر لشكره لال هذه مدرسة سمحت في لاله
وجدت هي لاسية لاجزاء بال معارم حية فلو سارت في تعليمها على مقتضى امر مع ندى رسمه الو صاع لموصت مهضة نصارع
بال مكتب معترفة ولا يسمي بال ساسي ماها من خصص على الافراد الدين سترهم سيرة الامة التوسية التي تعممت ماها من ا حقوق
الاساسية بعد ان مات شعورها ونشأ احفاد برصم في قود الاسلاد معتدلة ان من حقوق الدولة ان يعينها معارمه السو اثم و لا سقوط
حبر لادن من سيرة و بده بعد دادي كان ساسي تعف هذه الدولة لتقدم المدرسة في درجات المعيشة دار داف هـ سيرة

وفي سنة 1294 هـ صدر الأذن بإعادة عدد الحبيب وكثفت حجة تستأنف ذلك واحتار عدد الرجال مما وجد رائدا على الإحصاء الأول بصاعف عليه أداء أربع سنين ، بحيث يصير المعروف على المائة حجة من المطلق ألف ريال ومائة ريال وهي عبارة عن ستين وثمانين فيرك وصعقها على الدقة وعلى الرجل الواحد الذي أحصى ثلاثمائة وستون ريالا ويدفع مثل ذلك الحلف والمشايع وكلف بذلك أحد أغوانه المسمى أحمد الجويني وأطلق له العنان في استعمال جميع وسائل الصعق سواء بالسحر أو الضرب المؤلم والتقييد في السلاسل والأغلال من صروب التعذيب البدني وفست من ذلك الأهلي صروب الشدائد والأهوار ما لم يكن في الحسابان فما كانوا تناسوه ومن وجد عنه الزايد ولو حجة واحدة فليستعد لذلك ولما رأى الناس هذا اخبروا الشديدي عمدا إلى قص نخيلهم الذي أفوا في تحصيله أعمارهم ليستريحوا منه حتى لا يكون وجوده مصيبة عليهم في أبدانهم وأموالهم ولما بلغ ذلك أحمد الحويي وجه أغوانه للبحث عن الذين فعلوا ذلك ولو نادى شهة ومن توحشت عليه تهمة القص فبشره بالويل والثبور فسحن من أعين البلاد ووجهائهم عددا ليس بالقليل وأوثقهم كتي وأودعهم بيوتا مظلمة أكواما على بعضهم وهذه المظلمة سود حير الدين بها تاريخ حياته حيث صدرت عن إرادته وكان من غيرة القدرة الأثرية أن عجل الله بموت أحمد الجويني الذي وجهه لتنفيذ هذه الأوامر الصارمة وقد مات فجأة وترك السجن محشوة بالمظلومين ولم يطلق سبيلهم إلا بعد مدة كما تخلى خير الدين عن الوزارة قبل استيفاء خلاص هذه المظلمة وتقلدها محمد خزندار فسقط هذا الأداء المضاعف على أربعة أقساط قسط يدفع معجلا وهو النصف والنصف الثاني يقسط على أعقاب ثلاثة سنين فهان الأمر نوعا وإذا تأمل المنصف جليا فيما سلكه خير الدين من الانحراف عن منهج العدل وما ارتكبه من الاعتساف نحو أهلي الجريد يتضح له سوء مغبة الاستبداد بالرأي إذ لو استدعى أعين البلاد وتفاهم معهم لأطلوا هذه الوشاية وبرهنوا على ذلك ببراهين لا تقبل الطعن وبينوا له الأسباب والعلل الذين تسبب عنها هذا التفاوت الجري في بعض الأجنة أخصها أن العرفاء الذين تعينوا صحبة أمير العدل لا تحصى عليهم حدود الأجنة إذ هم انتخبوا لذلك ويبعد تواطؤهم مع الملائكة وعلى فرض وقوعه فالدرك على الحكومة

وأعوانها لأنها لم تجعل العهدة على الملاك حتى تؤاخذ به ومع ذلك فلا أجنة محوطة بسياسات حافظة للحدود وبعضها بحفير أو جسر مرتفع على سطح الأرض وعند الشروع في العد يقف المالك في الحد حتى لا يضاف لجناحه من جان حاره ما يخشى منه أن يثقل عليه أداءه وكذلك جاره فيخشى مما يخشى منه جاره فكيف يتسنى لملاكة النخيل الاخفاء والحالة ما ذكر وانما الذي اعتبره زيادة على العدد الأول في بعض الأجنة فسيبه ان اللجنة الأولى قابلت الأهالي بوجه الشفقة وعاملتهم بميزان العدل فتحررت الأنصاف في الاحصاء ومع ذلك فالمكلفون اد داك متخون من صفوة الثقة وأما اللجنة الثانية فقابلت الأهالي بوجه السخط وسيف الانتقام ومن عرف احمد الجويني الذي هو رئيس اللجنة الثانية وما هو عليه من التهور وعدم الرحمة يعلم أن الوزير خير الدين انما قصد بتوجيه هذه المسألة حب الانتقام والتعصف فلا عجب اذا تعمد الريادة في الاحصاء ومع ذلك فقد يجد ذريعة لذلك لكن أجنة النخيل مشتملة على أصناف فمنها الذي سته خمس سين فأقل ومنها ما هو أكثر من عشرين سنة وما دون العشرين وقد لا تثمر ما دون العشرين سيما اذا كانت غير منكشفة للشمس فمن راعى الانصاف لا يعتبر الا المثمر ومن سلك سبيل الاعتساف يدخله في سن الأداء وكذلك النخيل الذي أنهكه الضعف فإنه يوجب الانصاف بطرح من الاحصاء ومن لم يبرع ذلك دخله في سن الأداء وهكذا فعلت اللجنة الأخيرة وبما تقرّر تعلم أن ما ارتكبه من الشطط في هذه المسألة لم يكن مسبباً إلا عن سوء نية إذ لم يرتكب اهل الجريد أدنى ذنب يؤخذون عليه ولكنها الأهواء عمت فأعمت . ومما يحسن ذكره هنا ليكون حجة دامعة على خير الدين من سوء مغبة الاستعداد ما حكاه هو بنفسه في سنة ١٢٠٠ هـ أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك . في صحيفة ١٦ منه بأنها وقعت بيده وبين أحد أعيان الروم محادثة فحرر الحال الى الاسهاب في مدح ملكهم وذكر له من مزيد المعرفة بأصول السياسة حتى قال انه مقتد بضبعه عن سلوك غير منهج الصواب فقلت كيف تشاؤونه في الحرية السياسية وترومون مشاركته في الأمور الملكية فأجابني بقوله من يضمن لنا بقاءه مستقيماً .

وذكر في صحيفة ١٨ منه أن المؤرخ الشهير تارم أحد أعضاء مجلس نواب وادي كان وزيراً للملك لويز فلب في آخر تاريخه المشهور سذكر عواقب الاستعداد وان العمل بداري الواحد المذكور في تاريخ صاحبه أقصى الكمال وتسمى المعروف بعد ما ترجمه نابليون الأول بوصافه الخاصة وأخذه في سياسة الأفراد لرجال الدين حاد به الدهر في القرون الماضية مثل سكندر مقدوني وقيصر الروماني وذلك حتى جعل القرطاجي ومعرفة الحربية الى أن قد بعد انشويه به فلم تعتبر بطلانه فتحبسها ثم يستفيد معشر أبناء اوطان تربية أحررة لا يسع سبيها وهي أنه لا يسوع أبناء أن يسلم أمر المملكة لاسان واحد بحيث تكون سعدتها وشقاؤها بيده ولو كان أكمل لدس وأزحجهم عقلاً وأوسعهم علماً وحبس وان كان لسا ستقد أعمال نابليون في فنكاف فرنسا بعدما اشرفت على لصياع لكن نرى أن وحبس استحلاص للمملكة من تلك الأيدي الحسرة لا يكون حجة في اسلامها ليد قاهرة متهورة لا تأتي بشيء ولو كانت بد المستعصر في رفسني ومرفقو على أن يقول ان كان هناك أمة تعذر عذرا ما في تسليم أمرها لشخص واحد فلا تكون عبر الأمة الفرنسية في ذلك الوقت أعنى سنة ١٨٠٥ حين سترأست نابليون مذكور عليها والناس ذلك فوصى لاسراة هم ولم يكن المشير عليهم بذلك قصد بمحو تخويفها لاجراءها الى قيود العبودية بل كان لحرف محققا بالمشاهدة الى أن قد فسيهم في لحج المرح اذ أقل عليهم ذلك الشاب المنصور من اشرق الذي دلت اليه صعب لأمور لعاقول المتواضع اعري باستمالة قلوب البشر وهو نابليون المشار به فتراهم لا يعدرون في بقاء زمهم اليه وحالة هذه

إذا لم تكن إلا الأسنة موكباً فلا يسع المظفر إلا ركوبها

ومع ذلك فلم تغض إلا سنوات قليلة من انقلب ذلك العاقل محمواً غير مماثل لحنون أرباب الثورة واخوت قلوب فيه تقرب بعيون من النفوس في ميدان الحرب وحمل هل أوروبا على انتعص على فرنسا حتى بقيت مغلوبة غريقة في دمايتها مسمومة من نتائج انتصارها عشرين سنة فمن كان يظن أن عاقل سنة ١٨٠٥ م يحس سنة ١٨١٢ م الخ ، ونحن نقول من كان يظن أن عاقل سنة ١٢٨٦ م يحس سنة ١٢٩٤ هـ ، لأن خير الدين في مبدأ أمره حصل البلاد التونسية من محالب الدثا وترتب فيها من لترتيب الدفعة ما حلد له جميل الذكر لكن ختمه هذه المظلمة فسود بها تاريخ حياته وفي سنة ١٢٩٥ هـ استعفى خير الدين من الوزارة وتقلدها محمد حزنذار وهو الذي قسط العرمة التي يسموها المضغعة والتي برلت على بلاد الجريد كالصاعقة وفي آخر هذه السنة استعفى محمد حزنذار وتقلد الوزارة مصطفى بن اسماعيل وجبند حاء دور الانقلاب السياسي والاداري لأن هذا الرجل لم تكن له أهلية ولا استعداد لمشورة الوزارة فلم يحس معاملة الدول الأجنبية ولا اذرة شؤون البلاد لأن معاملتهم في الحقيقة سياسة محممة ومدبرات شأن الضعيف مع الأقوياء وإدارة شؤون البلاد قمارها الرفق وتوطد الأمر والعدل في الأحكام بل أطلق التصرف لشباعة الدين فدهم قيادة الأعمال وصارت الولايات تناع بالمراد ويطلق عيان التصرف لكل من تقلد عملاً في النهب والسلب أولاً لخلص ما دفعه ثمن الولاية وثانياً لتسديد مطالب الوزير وأتبعه التي تسقط كأورق الخريف وقد نشأت في

مدة هذا، بورير عدة مشاكل ففي سنة 1296 هـ كانت بعض بلاد نغزوة المسماة (حمته) التي لها اعتبار عظيم في نظر العموم لما لها من الأهمية بالنظر لما عليه أهلها من لافعال على ماهل العلوم الدينية والأدبية فضغط عليها عامل الجريد اذ ذاك محمد الماربط وطالها بدفع أموال لا طاقة هم بها ولا قدرة لهم على الوفاء بها واعتذر أهلها بالعجز وطلبوا التخفيف أو التيسير فلم يستجيبوا بذلك وعرض امتناعهم على الوزير بن سماعيل فصد لا أن يأمره باستعمال وسائل الرقيق في استحلال ما ضرب عليهم من المعرم، استصدر أمر في تجنيد العساكر البطامية والاستعانة بقتل الدين هم عليهم صفات وأحقاد وهجموا عليهم كالوحوش الكاسرة فعثوا في البلاد بالقتل والحرق حتى تجاوروا إلى قتل النساء والأطفال والشيوخ، معتكفين في المساحد الذين حرم الله قتلهم حتى من لكفار ثم جمعهم أكوام وحشوا عليهم التراب وارتكبوا من المفاسد ما تقشعر منه اجنود وهو، جميع ما وجدوه من المكاسب وتركوهم حفاة عراة وشتت باقي منهم شذرا مذرا، واصبحت تلك المدة الرائعة فترا نندب حظها سوداء من أثر حرق لاسية ثياب اجداد وقتل داء هجوم الأعراب على بعضهم واختطافهم بصنم القوافل ثم ندرعوا بالعدوة على الأعراب الخرائين الذين هم من رعايا فرنسا وأخذوا يهون فأسى حكم جرائر الأمر إلى دولتهم فسجدت ذلك ثم طست الحكومة التونسية شعوبهم ما صاع حرب حرثوا وبقيت لأشهر فلم تحدا وأعية كما ان البورير مصطفى بن اسماعيل بجهد بمركز حكومته أمام دول أوروبا وحظرهم فركز لفصل بصليا وأثرها بعض امتيازات ندي السياسة التي يجب سلوكها، من الواجب أن يعامل دول أوروبا كنهي معاملة واحدة بالمعاملة احترار من اثرة عصب الباقين واذا كان نوع امتياز فلا يكون الا لدولة فرنسا لوجوه، أولها العلاقة التي بين الحكومتين وهي العهد الوثيقة والروابط العتيقة الرابطة لهما، ثانيها حوار الذي بين اجرث وتونس القاصي بامتزاجهما بالمصاهرة والمناصرة وجميع لمصالح امتدادة بين لمتحاسبين، وثالثها شعور هذه الدولة بالسطوة ولعظمة فلا تسمح نفسها بتقديم غيرها عليها فيما هي اولى به وهذه الأنساب مع عصب لدولة الفرنسية وسافت عساكرها برا وبحرا على البلاد التونسية طالبة توطيد مركزها بتونس فاحتل سطوة مرسى ندرت بحر واحتلت عساكرها بقعة الكافير وحيمت بحصودها على الحدود التونسية وألحت في عقد معاهدة تضمن لتطرفين حقوق لمصالح لمتدادة وتحول بينهما وبين الاصطاع التي تحجم حول بعض الدول الأوروبية وقدم وزير خارجيتها لدول أوروبا بواسطة سفرتة في العواصم لائحة في أسس احتلال لعساكر للبلاد التونسية دوعا لما عسى ان يتوجه على دولته من الانتقاد، وبص تعريتها في 9 مارس سنة 1881 (1)

أيها السيد أشرف بن سريسل لكم حملة رسائل في شأن تونس ويريد ان يحقق لكم المقصود، حملا وبحركم عن سبب ارسال العساكر لأب وعن النتيجة التي يرحو غماهم فكم من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدو عبها ومقاصدها واتم تذكرون ذلك خصوصا ما صرح به السيد رئيس الوزارة في المجلس العام وهو لا يمكن أن يكون فيه ادنى شك من جده وصدقه ومع هذا فإني أريد زيادة الايضاح لكم ليمعكم مدى الدولة التي أنتم عندها فقول ان سباسة فرنسا في تونس ليس لها بلا مقصد واحدا وهذا المقصد الذي يكفي لوضوح موضوع سرينا مدحسين سنة نحو المملكة هو الواجب عينا حفظ راحة مستعمراتنا العظمى الجزائرية فمن سنة 1830 م لم تأت دولة من الدول متناعة وتركزت هذه المهمة العظيمة وأما لعمري الواجب عينا حفظ مستعمراتنا الأفريقية ولا يوجد احد من اروب يكر عليها ذلك لحفظها من حار عدو كثير الأرحيف وقد كانت لقتل التونسية محرفين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق الجميع قبائل وشتاة والفرشيش وخير ولا تعرف كمية المحاربين ولا قوتهم ولذلك لثرما الآن أن سريسل لهم من العساكر عشرين ألفا وهم المتحصنون في بلاد مبيعة تقريبا وكان الدعي لأول لارسال العساكر قهر قبائل حدود الشرقية ولكن لا فائدة في تقرير الأمن والراحة وأعدنا لازلوا يهددوننا ونحن لا نحاف من هجوم الكبير المسوب لتونس وحدها لكن النظر القليل في العواقب ألرمت التحري من اتخاذ الباي مع غيره وهذه التشويشات يمكن أن يأتي لها وقت وتقلق كثير في الجرائر وتصل إلى فرنسا ويلزمنا بما عما ذكر ان يكون لما عد الباي محبة كثيرة واتفاق قلبي ويلزمنا جر يعوضنا الملح التي لنا عليه ولا يسمع التشويشات الحارجية لصرنا واستحقار قوتنا الراسخة وقد وضحا منذ أربعين سنة بأنه يلزمنا المحافظة على فرنسا خرائرية بأن نحصل في المملكة على قاعدة راسخة ونحس بحترم بالتدقيق منافع الأوجب وهم يقدر ان يتوسعوا شبات مع فوائدا ولدول بتحققون أن مقاصد من حيثهم لا تتغير ولي هاته المدة الأخيرة اتحاد مفعنا مع الباي المعظم مستمر الا ما يحدث حينما من الاحلاف في التعويضات نقائنا لمضرورين ثم في احين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا بعد هذه الاختلافات الصغيرة الا هاته المدة الأخيرة فإنه لأسب يصعب الاطلاع عليها وقد تغير ميل لدولة اليدافعة واحدة وكانت اذ ذاك الحرب ساكنة ثم لازلت تزداد لي أن وضحت وتقوت ومبهد ضد كل الامتيازات التي حصلت للفرنساويين في تونس مع شدة الارادة الرديدة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثاني لارسال العساكر الذي كنا نود التحب منه ولكن بسبب السيرة الرديدة التي طالما صرنا عليها لثرتنا بما هو واقع ولو اننا صمما لباي امصالب الخفية لأننا نعرف لتونس بأنها مملكة مستقلة وأما الحالة في الخلطة الآن مع الباب العالي فهي مخالطة محبة وميل طبيعي وبودنا لو كنا ربا مارلة تونس في منظر آخر غير الذي عليه الآن ولكن قد بان ما يجب علينا مما ذكرناه سابقا وانت نقرر أن نستفهم من الباب العالي اذ كان

باي تونس هو وُل من قبلهم فلماذا لم يمنعوا سيرته التي فعلها نحو فرنسا منذ عامين ولماذا لم يفتشوا اليمعوا التحجير لموجود الآن الذي نحن منذ زمن بعيد كنا نسعى في عدم وقوعه ويلزم لهذا التعبير الذي نحن مجتهدون في حصره أن ينتهي بشرط تؤم حدودا من طرح استمر والتشويش المعري لباردو . اما من غيره او من نفسه فهذه هي المقصدان لارسال لاسبكر ولا يخف عندما يقول أن لك في أوروبا الرضى لعدم في جميع الجهات عدى اثنيها النظر الفارخ المظمس للعقول وهذه أيا السيد التي خيمت حول الباب (العالي) وحول تونس ومن كلا الطرفين فحس مشمولون بالحلة وجميع ما نرجو من الباي هو أن لا يكون عدوانا ولولا ان المملكة تنظر لعوندها فتقرر ان تحصل من تحدها معنا فوائد لا تحصى أكثر مما نحصله نحن منها ويقرر أن نأتيها بكل خير من العمران لحاصل عندنا ففي سنة 1847 م فعلنا الريدوي سنة 1859 م و 1861 م فعلنا للتعرف وفي سنة 1877 م وسنة 1878 م فعلنا الشمندير الذي طوله خمسون فرسحا من حدود حراثر اى تونس وفي هذا الزمان نفعل لها شمنديرين احدهما يربط تونس بسررت من جهة الشمال وطوله عشرون فرسحا والآخر يربط تونس بسوسة من جهة الجنوب وسببتيء عن قريب في ابتداء عمل مرسى تونس نفسها لتدخل المركب من الشط ومن حقى بوادي حتى إلى دات القعدة، ودين تونس وان كان رأس ماله مشترك بين فرنسوي واكتليري وطاليي نكس اذا عبرت انفسه اثني بيهم يوحدان ثلاثة احدها لفرنس و الناحيا احمية لأدريان التي تأتي بالمياه . نعدة لتونس قد اصلحها احد المهندسين الفرنسيين ، ولذا ترحع خلطه فلا لا يربط بفعل شبة حسنة ومنارات على الشطوط وطرقا داخلية توصل بين المدن العامرة وسقي الأرض بالترع الكبيرة في البلاد حتى بها أنهر كثيرة ولكن هذه البلاد أهلها غير معتبين بثلث لأمر وكذلك لعبات وكذلك استجراح المقاطع التي بها كل نوع من أنواع المعدن وكذلك تريب . ملاحه في الأراضي احسنة التي للأجانب في المملكة والتي للبلاد . بعد ذلك استعمل المياه معدنية التي اكتشفها لروميون واستعملوها وحاملة ان مملكة تونس حصنة عبة وعلى قراط حده سدسة يد على ديت ونحت الخمية المتساوية يمكن أن تزل جميع الخشب عن المدفع طبيعة في هاته البلاد ونشتر بشدة وبقوة مترتب حديد بقدر أن تريد أشياء أخرى وهو انه اد كان الذي يعتمد عليه في التريب مدحي في المملكة فلنا فعل تعديللا لارما قار وهذا خير سهل عمله من كيفية قصص المدحول ويرتب المخرج وترتيب دواتر الحساب على مقتضى ما نفعله نحن في ماليتا ومه أيضا خير عظيم وهو ترتيب العدلية على مقتضى الأصول التي فعلتها الدول في ترتيب العدلية في مصر وفندة هذه الترتيب لا ترحع لفرنسا وحدها بل ان لمملكة يرحع لها الفع وكذلك جميع الدول المتقدمة التي نحن منها ومن غير فتح ولا حرب ولا شيء يصنعنا من عملنا في تونس مثل الذي علمناه في جراتر والذى فعلته بكثرة في الهند ، ودا جعلنا باي تونس مكفلا بمطاب احفنة فهو دليل على ما احسنة دائما من أن تونس مملكة مستقلة من غير أن نراعي بعض آثار للتعبية بالاسم فقط لآسياد بركوها بمد مدة قروب وقد تظهر تلك التعبئة نادرا ولو تحسب المدة التي هي فيها مستقلة لكنت كثر من مدة التعبئة ففي سنة 1534 م - 941 هـ احدها اشهور بيروس خير الدين أربع وخمس مرات بانتصاره على الاسبول في سنة 1535 م - 942 هـ بعدها أحدها شارل كن ، وكذلك في 1553 م - 961 هـ ثم أخذها دي الجرانر سنة 1570 م - 978 هـ ثم حوان المساوي سنة 1573 م - 981 هـ ثم في طول القرن اسابع عشر كانت تحت ظلم الاكثارية من غير حكم ورؤسؤهم الموسومون بالدايات كانوا اذ ذلك أربعين فقسموها تقرسا كالمليث في مصر ثم في سنة 1705 م كان أحدهم المسمى حسين بن علي الذي أصله افريقي أو كرسيكي صار مسلما وكان احدقهم يعرف كيف يشدهم وقتل جميعهم واشتهر بالنبي وبعضيات العساكر أقام العائلة احسبية ومن ذلك الوقت لم تزل الامرة فيهم على هيئة سيادة الاسلامية ولأن ماتت سنة تقرسا وهم مستقلون والراطة احقيقية بينهم وبين الباب العالي هي راطة ديبية وهم يعترفون بالخليفة الا أنهم ليسوا تحت لستصن ومي يوضح هذا أنهم لا يدفعون أداء له الا انه عند ولاية كل باي يرسل هدية عبة تعظيما لرئيس الديرة القاطن بالقسطنطينية وفي مدة الولاية فلا مسألة سياسية يمكن ان تذكر غير هاته التعبئة الودادية فليس لأمر المؤمنين حق آخر على باي تونس والمملكة تعقد شروطا كمملكة مستقلة مع الدول الاحانب وتعقد الاتفاقات وتكون لها قوة وذلك برضى الباي فقط . وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرنسا سنة 1742 م وكذلك في العام الثالث والعام العاشر وفي سنة 1824 م صارت المعاهدة المهمة وفي 8 أغسطس سنة 1830 م وقعت المعاهدة التي تمنع ملك العبيد والتلصص في البحر ولا يلزم التكلم على المعاهدات ، لاقية كالتي في صيد المرحان وأن الباب لا يحكم على الولاية ولا حكم وقت وهو راض باستقلالها وما يؤيد هذا أنه في القرن الثامن عشر لم يقل تشكي دول أروب من التلصص في البحر ولسعي البربري وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التي ارتكبوها والمحلة بالتجارة في البحر المتوسط . وان دول أروبا عملوا الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد حرب مع تركيا وفي سنة 1819 م كانت معاهدة ايكس لاشيل قد حكمت على تونس بمنع التلصص في البحر من غير ان تطلب من الباب العالي التدخل على أنه متميد على تونس وفي سنة 1833 م عملت مملكة سردانيا ونابلي الحرب مع تونس من غير عمله مع الباب العالي لأنهم يرون مثل ما يرى ان تونس مستقلة ثم علاقة تونس مع فرنسا من وقت أخذ الجرائر على النحو السابق من غير واسطة تركيا ولما قدم لنا احمد باي في سنة 1843 م اقتبل بكل ما يلزم من التعظيم الملوكي وكذلك جميع أروبا لم تلم على ذلك ولسبب العالي لم

يتوحد من ذلك لأن ولي الدول موافق لرأي الملورد اسرسياء الذي يقول في تسجيله ضد أخذنا الجزائر المكتتب بتاريخ 23 مارس سنة 1831 م ان الدول الأوروبية من مدة طويلة يفعلون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانها لا تحسب نفسها الا مستقلة والدليل الواضح الذي لا ينكره أحد هو عمل القوانين في تونس ببورلك وحلف عليها الباي الموجود تونس محمد الصادق لما جلس على الكرسي في 23 أيلول سنة 1859 م مثل ما حلف اسلافه فإن قانونا منها وهو المسمى بالقانون النظامي لمملكة تونس قد احتوى على مائة وأربعة وعشرين مادة وانتشر بالعربي والعنسدوي في تونس وبوونه ولم يصرح فيه الا بكلمة واحدة تقول السلطان وما لا يقدر ان يشك احد معه في استقلال الباي ما نشر في الصحيفة الرابعة من المقدمة في ذلك القانون .

وبصه أن المتوظفين الكبار التونسيين اخناروه بكلمة ليكون رئيسا للمملكة على مقتضى النورثة المعروفة في المملكة وفي ذلك القانون فصول ثمانية شرحت حقوق والواجبات للملك وحالة الأمراء من العائلة الخسبية وحقوق وواجبات الرعايا وكمية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم ومجلس الكبير بالمملكة والمداحل والحساب ولا شك أن من يطلع عليها يقدر ان يجد ذلك غريب دأرا وان يقيس على رأينا الأوروبي ومعه هذا فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وان ليست تحت يد دولة أجنبية وجميع المعاهدات التي بين الدول الأوروبية ومملكة تونس ممددة لثلاثة قرون الأخيرة لم تقل أبدا إلا بمملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرون معاهدة أمضيت بفرنسا فيها ذلك القول وفي سنة 1868 لمعاهدة التي وقعت مع ايطاليا مذكور فيها بمملكة تونس وتونس نفسها لم تسم نفسها في قانونها بصهي الا الاسم الذي أطلقته عليها جميع الدول وهي أوردت ان توصح المزية التي لها بالاستقلال والقعدة الموقفة له

فساء على ما سبق من الأدلة العظيمة والمتعددة فالباب العالي لا يقدر أن يتعجب من نكار فرنسا لسيادته على تونس حتى الى الآن نحن نقر بأن لسان بعلي شدد في طلبه مدة خمسين سنة وفي سنة 1835 م أدخل تحت سيادته طرابلس بعدما ضبط التحرير الحادث هناك وأراد ان يعمم سيادته على تونس إلا أن قوة فرنسا المصددة له منعت من قصده وبعد عشر سنين أي في 1845 م أتى ميسجي لسلطان لي تونس ومعه فرمان بتقيد الباي بمصبة لولاية فلم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تحربة ولكن في آخر سنة 1864 رجعت لتحمينت القديمة وانما هذه المرة كانت بمملكة نفسها هي التي طلست التقليد ولكن كان هذا من الغريب اذ وقع من الأمير الذي هو حتى ذلك الوقت يعيه وهو يظهر لدعة عن استقلاله وهذا من الاشارات القوية التي خوفت الذي من حالته أمام الباب العالي ، فأرسل اذ ذاك أمير الأمراء حير الدين الى لامتنة ويأتي بفرمان وهذه المرة أبص عارضت فرنسا في ذلك وعوضا عن الفرمان السلطاني فالباي ومستشاريه الترموا بالرضى بمكتوب ويرى متصصا في الفرمان ثم اغتصم الفرصة وقت مصيبتنا في سنة 1871 م وتمموا ما كانوا يعمون منه سوء في مدة لوي فليب الذي كان غالب أسطوله يسع لأسطول التركي من القدوم الى تونس أو في مدة الامراطور (نيلبون الثالث) الذي لم يقلل من العزم المشر اليه وفورم 15 تشرين الأول سنة 1871 م لذي اتحدوه تحت ظل مصيبتنا اشتهر في 1 ، تشرين الثاني في باردو وأعلن به خير الدين باسم السلطان وقتل الذي كان طلبه ، مع شيء من العصب وفرنسا سحلت ذلك بقوة وحسنت الفرمان باطلا و كأنه لم يقع وفي مدة عشر سنين لم تطل شيئا من عملها عندما يقتضي الحال ومع حجاج باب العالي هو عصبه له شك في اجراء حق فرمانه بتاريخ 1871 الذي ضرب استقلال تونس انتقادا وهذا لفرمان اشتر قليلا الا انه عند العالب لا يعرف ما عدى بعض الدول الذين لهم فوائد وفي الفرمان المذكور أن تونس تكون حرة ، من المملكة العثمانية مع ان حكم ساي بقى كما كان يعرف مند ماتت سنة غير أن بي تونس صار واليا عاما على ايلة تونس وعلى موجب ذلك لولاية الوراثة لم تكن مستمرة في العائلة الخسبية خلافا لما ذكر بالفرمان بل الوالي يعزل بإرادة السلطان ومن الممكن ان يعرف لذي ان صرره ومملكه وحرية وحياته التي هي غلطة كبيرة حسبها أشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له الخوف من جهة فرنسا ولو مع ما عمل من نشر معها ومع هذا فهي ليست صده ولا صد عائلته ودولته واما من جهة الباب العالي فهو يعكس ذلك فله لخوف الكبير مه لأنه يمكن ان يبذل له بحسب الحال ، انتهت لاحتحوزير خارجية فرنسا .

وقد أرسلت الدولة العثمانية لائحة على يد وزير خارجيتها الى عوصم أوروبا بواسطة سفرائها احتحاجا على دولة فرنسا وطلب للمحافظة على معاهدتي باريس وبرلين القصيتين بلروم محافظة دول أوروبا على املاك الدولة العثمانية التي منها تونس ونصها : القسطنطينية في 10 مارس 1881 م ان علاماتي المختلفة قد عرفت فطانتكم الوقف التي صدرت في المسألة التونسية وقد نسبت هجوم بعض القائلين البدويين جهة الجزائر ولحد (يعني بخصوص هذا) الهجوم فالحكام لتوسيون أعلنوا بأنهم حاضرون (يعني مستعدون) ليعسطوه من غير تراخي فالدولة الفرنسية حكمت بأنه يلزمهم عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جرد كبير من لولاية ولم يعدوا عن المركز الا بضع فراسخ فمن غير شعرت الى ان أكدنا على حصره الدشالباخذ التدابير اللازمة لتهديد الراحة في المواضيع الثائرة فدولة الجمهورية لا تريد ان تنظر الى المحافظة الاقترانية تونس مع الدولة العثمانية التي هي محسوبة جرة متمما للسلطنة المذكورة وظهرت بها لا تقل قولنا للاتفاق الودادي معها لقطع الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرنسا في ذلك المحل وترتيب الأشياء الموجودة من زمن قديم ولا

الامضاء عاصم، انتهت لائحة تركيا.

60

حتى تأمن على مركزها في مستقبل الأيام وهاهنا الولاية التونسية لا فرق في كونها مستقلة أو تابعة للدولة العثمانية. فبناء على أنها مستقلة فهل يعني قوة تقابل قوة فرنسا ليدفع بها على فرض عدم أحقية مطالبتها؟ هي أصرت على إقرار حتمها كلاً. وعلى فرض أنها تابعة للدولة العثمانية فهل هذه الدولة كانت معنية بهذه الولاية وساهرة على مصالحها ومحطة عليها هو واقع فيه من الظلم وسوء الطام واحتلال الأحكام وسرقة الأموال واسترقاق الرجال حتى بلغ الحال إلى هذه الدرحة. وادّعى ذلك إلى علمهم، فهل نهضت لتلافي الخلل الذي لحق وجاهي بصفة كون السنط رئيساً دينياً فكان عليه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويرشد إلى إحصاء الأحكام الشرعية وبصفة كونه رئيساً سياسياً في صمعه من بخريه لأنفسهم في مستعمراته هندية وغيرها وفرنسا في مستعمراتها الأفريقية ومستملكتها في أفقاص آسيا من بلاد تونكين وهولاندا في جزائر حدة وغيرهم وعلى فرض أنها تابعة للدولة العثمانية في سببها كما قلنا فإن كانت لها قوة حربية وعدة دوعية صارح قوة فرنسا تعتمد عليها عند الحاجة بجميع ما استندت إليه من المزايا يكون مقولاً لأن القوة هي القول بفصل وادّعى أن يكون لها قوة تعتمد عليها في فرق سببها وبين سببها نعم إن فرنسا جعلت في إحدى يديها سيفاً وأتت في الأخرى للمصافحة ومع كونها معتمدة على قوتها وحماية مصالحها فإن دول أوروبا موافقة هذا ما قيل عن دولة أيضاً فإنها مقصدة شخصاً سياسية على أن دولة فرنسا لم تزل ترى أن المستقلة في سببها مسكها في سيرها مسلك الاعتماد حربية في إدارة شؤونها على نظام ملائم لحاله البلاد سواء في حالتها السياسية والعسكرية والاقتصادية إذ حركت ساكناً دعاية أمانيها راحة البلاد وتوطيد الأمر في روعها غير أن المصلحة الأولى في الامتيازات الاقتصادية وغيرها تكون لها بحيث لا كل مصلحة عامة لا يقتصر على عملها لاهلياً. والحكومة تسلم إلى الفرنسيين مع رعتها في أن تكون لإدارة الدخيلة حسنة شمر كثيرة العمر لا يبرر ذلك متحرهم وحركتهم ونفوذهم ولا يبررون تقديم دولة أخرى عليهم في هذه المصالح هدم ما يصححون به في تحصيلهم الرسمية وفي بعض المصالح ذكر كنه أسرر الولاية بوالعاس أحمد بن أبي لطيف في تاريخه أنه ما احتج المشرق الأول بمدت فرنسا وهو بوير فلبس في حموة فله في حمدة الكلام الذي يعتمدون فرنسا تحمي سياستها حيث أتت عليها إلا بحيث لا يتعدى عتبت أحد من جهة البحر، وما من جهة البحر فله في حمدة فرنسا تحمي سياستها حيث أتت عليها إلا بحيث لا يتعدى عن حد حد لا فرنسا وأحد أحكام قصير آخر نرى قصد تشجيع إلى حكومة تونس والحال أنه عسكري وعالم على الحرب العسكري هو من الاستيلاء وفتح وحدث سنة 1295 هـ عند حتم مؤتمر برلين في شأن الحرب الأخيرة بين تركيا والروسيا وقد اشتهر بذلك أن بعض من الدول في مؤتمر راو مشاحنة نائب فرنسا في تسليم فرنسا إلى الانكليز أو غيرهم على غير الطريقة الرسمية بأن تستولي فرنسا على تونس رضاء فادّعى بعض مدّعي فرنسا وفرض حصاراً المذكور لمن يبلغ فللوزيركم وأنتي هاتم ترون من هي الدولة التي تصدقكم من التي تكذبكم ومنهم منكم بريد الاستيلاء عليكم ليعيدوكم ويبروكم من ولأن قد أعطوكم له واليه من الاستيلاء عليكم فلتعلموا من هو الصادق ولتعلموا أن من يمنع من الاستيلاء عليكم مجرد حب اليأس لأن مصالح الدول لا تتدخل فيها الشخصيات وإنما امتنعنا لعدم القدرة لأن ندخلنا في تونس أن كذب هي ما فهي فقيرة وحالية وفرنسا ليست محتاجة ولا كانت هي تكبر الأرض فهي الحرار أراضي واسعة ولا زالت في الآن حاوية محتاجة إلى التعمير والأولى بأن عمر أرضها قبل أن تاحد أرضاً أخرى حالية، فإني مصلحه لنا في أن نرسل عسكرياً لاطلاق الرصاص عليهم في قانس وإخالة ما ذكره نعم عاية ما يظلمكم هو هذا والراحة في دحليكم حتى يرتاح نحن براحة جوارنا وماذا حدثتم الاحتلال في دحليكم وأحوجتموسا إلى إطلاق الرصاص لأجلكم والأولى أن يظلمكم لأنفسكم لأن ما كنا نساعدكم توقعونا فيه.

انتهى كلام هذا الخبر. ومن دقق النظر في محتوى كلامه استدله على أن سياسة فرنسا هي بقاء تونس على ما هي عليه أي كما أنهم لا يريدون الاستيلاء عليها لا يريدون غيرها أن يتولاها ومع الأنفة من منة الدول في المؤتمر من عطائهم شيئاً لا فائدة فيه هم زيادة عما هم حاصلون عليه ولكن لما تعيرت سياسة الوزير وتعيرت بها سياسة الدولة بسبب مليه إلى بعض الدول الأوروبية ورأت بعض هضم في حقوق رعاياها مع احتلال إدارة الداخلية.

وهذه الأمور هي التي كانت دولة فرنسا تحشى سوء مغبتها وبادرت باحتياز الفرصة فاحتلت البلاد وسافت عساكرها إلى أن وصلت مركز الولاية وعرضت على الذي بواسطة آخر رئيس العساكر المحتلة شروط معاهدة نص تعريبها أن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة تونس أن يقطعوا بالمرّة التحجير المحرّب لذي وقع قريباً في حدود الدولتين وفي شطوط تونس وأرادوا أن يربطوا مخالطتهم القديمة التي هي مخاطبة مودة وحوار حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة في نفع الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرنسية سمي وكيله الجنرال بوير الذي يتفق مع حضرة الباي السامية على الشروط الآتية.

أولاً المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية والباي يتحتّم تقريرها واستمرارها.

ثانيا . ليسهل للدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل الى المقصود الذي يعني الجهتين العظيمتين وحصرة الباي ترصى بأن الحكم العسكري الفرنسي يضع العساكر في المواضيع التي يراها لازمة لتستقر وترجع الراحة والأمان في الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم العسكري الفرنسي والتونسي على أن الدولة التونسية تقبل تقرير الراحة .

ثالثا : دولة الجمهورية تتعهد لحضرة الباي بأن يستند لها دائما وهي تدافع عن جميع ما يتخوف منه لصرد ما أما في نفسه أو في عائلته أو فيما يحير راحة دولته .

رابعا . دولة الجمهورية الفرنسية تضمن في جلاء المعاهدات الموحدة الآن بين دولة تونس والدول الأوروبية

خامسا : دولة الجمهورية الفرنسية تخص لدى حضرة الباي وزيرا لينظر في اجراء هذه المعاهدة ويكون واسطة في كل ما يتعلق بالدولة الفرنسية وذوي الأمر والتهي التونسيين وفي كل الأمور المشتركة بين المملكتين .

سادسا : ان النواب السياسيين والقاصص الفرنسيين في الممالك الاحسية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشغال رعيتهما وفي مقدرة هذا فخرصة السبي تتعهد بأن لا تعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم دولة الجمهورية الفرنسية ومن غير أن يجعل على موافقتها من قبل

سابعا : ان دولة الجمهورية الفرنسية ودولة حضرة الباي اتفقا لأنفسهم الحق في أن يؤسسا ترتيبا في مسألة لتونسية ليمكن لها ما يلزم لتسديد الدين التونسي العام وهذا الترتيب يضمن حقوق أرباب الدين التونسي .

ثامنا : ان عرامة احرب يعصب عليها لقنائل العصاة بالحدود والشطوط وتفضل دولة الجمهورية مع حضرة الباي في بعد شروط على كميتهما وكيفية دفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك

تاسعا : للمحافظة على مع ادخال السلاح ، لالات احربية للمملكة الجزيرية بدولة ساي تونس تتعهد بأن تمنع دخول الأشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى قابس وسائر المراسي الجنوبية في المملكة .

عاشرا : ان هذه المعاهدة توضع لدى رضاء دولة الجمهورية الفرنسية وترجع في أقرب وقت ممكن لحضرة الباي السامية ، حرر في 22 ماي سنة 1885 م بالقصر السعيد ، الامضاء محمد الصادق - الجنرال بريار .

فصل في أعمال دولة فرنسا بالمملكة التونسية بعد نشر حمايتها عليها وبيان مقدماتها

وفي سنة 1298 هـ وقعت مبادئ المحاورات بين قصص فرنسا والحكومة التونسية في شأن ما وقع من التعديت على القنائل امتدحة للدلاذ التونسية واشتد تعكر حو السياسة في مسائل بين الوريز التونسي وبين قنصل فرنسا لحدوث مسألة الكويت دي صانس لمعمر الفرنسي وتوافق أمرها وذلك أن الفرنسي المذکور كان على وراة مصطفى خردار طلب من الدولة التونسية بواسطة الوريز مذکور أن تمنحه أرض مساحتها أربعة آلاف هكتار على أن تعقد بيه وبين الحكومة التونسية شروط يتوقف احرار المطلب على انضمامها من الطرفين وتعطي به الأرض المذكورة على أربعة أقساط كلها وفي تمام الشروط في القسم المسلم له يسلم له القسط الآخر ومن حمة شروط الدولة على المعمر أن يربي من أنواع الخيل وبقر والعنم في كل ألف هكتار عددا مخصوصا من أحواد الأنواع الموحدة في لفطر وحارحه ومن حمة شروطه على الدولة أن تعفيه من جميع الأدءات سواء كانت مقصد أو وسائل فقل القسط الأول ومضت عن قبوله حل فادعت عليه الدولة أنه لم يوف شروطه ونعلل هو بأن الحكومة هي التي لم توف شروطها فعاقته بذلك عن التوصل الى اتمام ما تعهد به حيث لم تعفه من الأدءات على الأشياء التي بوسطتها يتم ما اشترطته وكان ذلك في مدة وراة خير الدين قال الأمر بعد أن عقد للتنزلة مجلس مركب من موطني الحكومة لاحراء مطلبه وأحده لقسط الثاني من الأرض وسقاطه كل دعوى فيها تقدم تاريخه وبعد مضي مدة ادعت عليه الحكومة أنه لم يوف شروطه وطلبت بترخ الأرض منه فادعى المعمر ان الخلل جاء من قبل الحكومة حيث أنها لم توف شروطها من حيث حفظه حقوقه من تعدي الأهالي عليها كما أنها لم تعفه عما هو مشروط عليها من الأدءات وأن الأرض التي سلمت له ليست بكاملة الصفاة ولا بكاملة المقدرو شتدت المبراعة في وراة خردار وأخيرا عقدت الحكومة مجلسا يرأسه مصطفى بن اسماعيل واستمرت المراجعة بين الحكومة وبين نائب فرنسا في البازة الى أن استولى الوراة الكبرى مصطفى بن اسماعيل فألح في تمام البازة وتخليص الأرض من يد المذکور وال الأمر الى انعقد مجلس من أعيان متوطني الحكومة لتونسية وأعيان الفرنسيين وبعد تكرار المرححات استقر رأي الوزير على انتزاع الأرض من الكنت دي صانس فأرسل الوزير بن اسماعيل ثلاثة من متوطني الحكومة وصاحبهم قنصل النمسا لحوز الأرض ولشهادة على كيفية استلامها من المذکور وقبيل ارساله أعلمه قنصل فرنسا بأن الأولى الصلح في الدالة بأن يضرب لصاحب المنحة أجل للوفاء بشروطه ويسقط دعويه فإن لم يوف تخلص دولة فرنسا الأرض منه وترجعها لحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الأرض لا بمجلس تحكيم ولأنه لا يسمح لاتباع الحكومة بالدخول

للأرض وإن أتوا للاستيلاء عليها يحدون من يعارضهم من اتع القنصلية فلم يقبل منه ذلك وعد وصول الرسل منعهم اتباع القنصلات من لدخول سكلام مرجعو ووقع لتسجيل حالا وورد من قنصل فرنسا طلب أربعة مطالب - أولها الترضية من الحكومة الثانية إلقاء المسؤولية على من تسبب في لارثة، الثالثة عقد مجلس مختلط للنظر في تثبيت دعاوي دي صانيس أو عدمها، الرابعة الخراب عن ديت قبل مضي يومين وإلا فإنه يقطع الحنطة وقد شاع بالإيعاز أن المراد بإلقاء المسؤولية هو عزل بوزير فاضطرب الوالي والوزير وكتب للوزير جرحية بفرنسا بأنه يريد أن يرسل له رسولا حاصا ليشرح له لارثة شفاهيا فأجيب بوسطة القنصل بأنه لا حاجة لذلك حيث أن القنصل معتمد من دولته وما حثي من سمع عن غائته هذا، الأمر افترق في طريقة يسلكها ربما تكون حافزا حصيا بينه وبين ما يخشاه، وسمي قنصل دولة إيطاليا وشدد الانحجام معه ومسحه صبح امتيازات تنادي رعبا دولة فرنسا فكثيرا لتشكي من رعبا دولة فرنسا لدولتهم من عمل حقوقهم ثم ما لبث أن استمال قنصل فرنسا ووعدته بمواعيد ترصيه له فلما رأته دولة فرنسا تلاعب هذا الوزير وخشيت سوء معاملة هذا التلاعب حدثت بحيفه ورعاها على حدود اوسينية وقدمت للوالي تلك المعاهدة التي تقدم بصفه ثم قدمت للائحة بوسطة وزير جرحيته بدور - دون شبه لتسجيل على أعمال الوزير وأصيب ثلث معاهدة من الطرفين وأحرقت مودها على حسم بقتضيه لحد غير أن لأحد لما كان يجهلون حيا لوفاتع السياسية وما سلكه الوزير من امر وغة وما بصمره من سوء أهوية ورأوا هجوم عساكر دولة فرنسا على بلادهم فجأة، فمضت بقوسهم وحاربوا الدواعي أمكن ولا تحقروا المعاهدة المعقولة بين فرنسا وبين أميرهم تيقنوا عجزهم عن مدافعة دولتهم ودولة فرنسا فجمعوا أمرهم وهاربوا إلى البلاد الطرابلسية وهؤلاء هم القسم الأعظم من العائل المرحالة وهم المهامة وحلاص . ثبات والفرشيش وأولاد غنيسر وغيرهم وثبتت المدن بحري بها الحكم العسكري وضربت على من تعصى منهم عرامة حربية حلص معطهم واستقطقت لدولة سفنة وحرى حول على هذا الملوك إلى أن أخذت القنصل في التراجع عند موت زعيمهم مع أن الدولة التركية لم سميت هم ولم يعترفهم مهاجرين لاحتين لاحتهم في الدين واحسية فلم تدفعهم عن بعضهم ولا عن غيرهم ولا دفعت عنهم غيرهم كما هو معروف من حكومات شرعى وضع (دولا دوع) أنه أسس بعضهم بعضا لعدت الأرض) فزكتهم فوصى حتى بعد ما بأيديهم من كسب بها وممن فحوا بلادهم وهذا أعظم دليل على عدم استثناء ترك شؤهم فلما هذا لتسجيل الذي سجلته عند دخول فرنسا للبلاد له نسبة أنه بعد بوسيين حتى تقو بقسهم في حضارها في تعد استنادتهم منها في بلاد أنشئت بها دولة عظمى محاسنها وقد تراجع العرب إلى بلادهم بواسطة بعض رعيهم الذين مهدوا لهم سبيل عند نائب فرنسا بطرابلس وحصلوا على وعود منها تنفعهم في مستقبل الأيام شرعت الدولة في اصلاح شؤون الادارات التونسية وترقيع ما مزقه ايدي العدوان.

فصل في ترتيب المالية

ما كانت مدونه قد أحدثت كمشيوا مالي وذلك سنة 1286 هـ وكان سبب حدوثه ما وقع من النضعضع في مالية الدولة للأسباب التي تقدم شرحها فوق تربيته ثم قلة مالية الحكومة وحفظ حقوق أرباب الدين التونسي الذي كان أربابه متركبين من فرسويين واقليريين وإيطاليين وحدثت حمية على المملكة التونسية سعت دولة فرنسا في توحيد الدين التونسي فجمعت حملة الدين تحت صيتها وتوتت بنفس حق ثم قلة وسيطرة على مدحبل الحكومة التونسية حفظا لحقوقها والترمت الحكومة التونسية في مقابلة ذلك ان لا تتداين في مستقبل بدون موافقة الحكومة الفرنسية وللتقيام هذه العاية تقرر نصب اذرة عمومية لمالية لحكومة التونسية يرجع لنظرانها سائر فروع لدخل وخرج وعموم المحاسبات بأي وجه وبكل اذرة من الادارات التي يباين وبموجب ذلك أصبحت سلطة مدير المالية العام من حيث خطه تتناول سائر الأمور من غير سوء كانوا توسيين أو فرسويين بجميع جهات المملكة وقد أحدثت هذه الادارة بمقتضى أمر من حصرة لأمر امولى على باشا باي في 23 ذي الحجة سنة 1299 هـ وأركان هذه الادارة لأصية - لادرة المركزية، خدمة الدين، وظيفة لأداءات من محاي واشر وغيرها، قناسة الدولة العامة مع أعوانها من جهة الخدمة لمالية، اذرة الاختصاصات، اذرة لأداءات المختلفة، اذرة القهارق، خلاص دخل أملاك الدولة.

ادارة الأشغال العامة

هذه الادارة أحدثت بأمر على في أواخر مدة محمد الصادق باي 1298 هـ وهي الآن من أكبر الادارات وأكثرها فروعها ولها أربعة أقسام لقسم الأول - اذرة الجسور وطرقات ويتفرع منها تأسيس الطرقات واختصارها والمباني المدنية ولأشغال البلدية ومصلحة المياه ثم قلة اشغال البناء للسكك الحديدية وحراسة الأملاك العامة والأشغال لبحرية والبحرية التي تجريها وزارة البحر الفرنسي ويتبعها سائر المبكة.

القسم الثاني . ادارة المعادن ويتفرع منها المعادن والمقاطع الحجرية وخريطة المملكة التونسية والمياه المعدنية والآبار والتحليلات الكيميائية المعدنية .

القسم الثالث : إدارة رسم الأمثلة الأرضية وتحرير الرسوم والخرائط والتحريرات العقارية .

القسم الرابع . ادارة المراسي والصيد البحري والملاحة البحرية . وسائر هذه الادارات تحت نظر المدير العام للأشغال العامة وله السلطة المطلقة وهو الذي يتخبط موظفيها ويعين لكل ادارة منها ما يلزمها ان تقوم به من الأعمال وقد قامت ادارة الأشغال العامة منذ تأسيسها بمشروعات عظيمة ومنافع جسيمة ومديرها يتخبط من أعيان الفرنسيين .

إدارة البوسطة والتلغراف

وبعني به البريد والمخابرات بواسطة السلك الكهربائي ، ان احداث السلك الكهربائي بالإيالة التونسية كان سنة 1263 هـ / 1847 م بموجب اتفاقية بين الدولة العرساوية والأمير احمد باي باشا فهو متقدم على البريد بمدة طويلة ولم يتجاوز بعض النقاط من المملكة لعدم اعتناء الدولة بذلك حتى خسرت عنه حسارة فادحة ولما نصت احياة على لقطر التونسي اعتنت الدولة بتوسيع نطاق إدارة البوسطة والتلغراف فأنست عدة مراكز لما ذكر بأنحاء المملكة ولم تزل هذه المراكز تتزايد يوما فيوما سيما بعد حالة البوسطة للحكومة التونسية سنة 1306 هـ / 1888 م فشيئت إدارة البوسطة والسلك الكهربائي من غيرهما من بلدان المملكة حتى بلغت البلدان التي تبادل فيها المراسلات البريدية والأسلاك الكهربائية بأنحاء المملكة نحو أربعة عشر ألف كيلومتر والسلك الكهربائي نحو سبعة آلاف كيلومتر وتنظيم هذه الادارات صارت لمملكة مرتبطة مع أعذب أنحاء المعمورة وان شئت قلت كلها تسهيل للمواصلات طردا وعكسا سواء بالمخابرات أو بتوجيه الصانع أو الأحوال المالية وقد سهّل ذلك خدمة تلك الطرق الجديدة في أعذب أنحاء المملكة

المجالس البلدية

كان أول مجلس بلدي أسس باحاصرة التونسية سنة 1275 هـ وكان بظرة مقصورا على ما يحويه سور الحاصرة من المساكن ونظرت ولما جاء دور الحماية وقع تنظيم المجالس البلدية وتوسيع دورها ووضع ترتيب أساسي للمجالس البلدية بالعمامة في جمادى الثانية سنة 1302 هـ بمقتضى أمر من لوالي وموجب هذا الترتيب صار بظرة الادارة البلدية يشمل الأمور الآتية ملكية العقارات البلدية وتنميتها في الأملاك البلدية ولوائح اصلاحات البناء واحداث الشوارع العامة واحاصة ومعالم الطرقات والمداخل والمنقذات ببندية والاقتراض لمصاحبا والأسواق ومحلات الزهة والبساتين العامة والمقابر والموايلد والطقة والحدائق والمساح والأدء الموطف على أكرية المثلث واصلاح الطرقات والترميم والمياه للشرب والري والمراحيض العامة والرحب والمضادق ولبيع عني قارة الطريق واحيوانات والدور والخوايت واحداث عدة مجالس بلدية ببلدان المملكة مثل صفاقس وسوسة والقبروان وباجة وشررت وحلق الوادي وسوق الاربعاء والكاف والمهدية وبن وسحم الألف وروادس والمستير وقاس وجرة وجبل المنار وزغوان وعين دراهم وطبرقة وماطر ومحرز الباب وطبرقة وقنصة ونور وخرجيس

إدارة المحافظة

عبارة عن هيئة مركبة من افراد تعيهم الحكومة تحت نظر رئيس لحراسة الرجة العامة ولها عدد من الأعوان على حسب الاقتضاء وكانت هذه الهيئة قبل الاحتلال مقصورة على الحاصرة ويعبرون على رئيسها برئيس الضبطية وله رتبة أمير أمراء وأعوانه يسمون بالضبطية ثم عبرت هذه الهيئة بمقتضى النظمات العصرية والحالة العمرانية فانتع نطاقها وتعددت فروعها واحداث عدة مراكز في بلدان المملكة تحت نظر الادارة المركزية وبلغ رئيسها بمدير المحافظة وأعوانه يسمون بالسولسية ورؤساءهم بالكوميسارية ووظيفته السلطة المطلقة عني عموم السوليس بالمملكة والحراسة العامة والحراسة بلدية والحراسة البرية وقيس المساجين ومطلب التوظيف في ادارة السوليس وولايات أعوان الضبط والطررد من المملكة والاعاد مؤقت ومع الأحاب من الاقامة بالتراب التونسي ومراقبة المحكوم عليهم والفرار من الجيش وبيع السلاح والسارود والرخصة في حمل السلاح والشحادة واعملة والبيع بقارعه الطريق والصيد والاحتياجات العامة والمقامرة واحداث المسكونة والقهواني والمطاعم العامة والمحافظة على الآداب والبحث عني الاناسي والأشياء المفقودة ومراقبة الأجانب وتأسيس الجمعيات العامة .

إدارة الصحة العامة

كانت إدارة الصحة قبل نصب الحماية على المملكة التونسية مقصورة على الإدارة البحرية وهي عمدة عن هيئة قائمة بالتحفظ والاحتياط عمه أنه أريد من توفير على المملكة من الممالك الأجنبية التي تكون بها أمراض عديدة والمستشفى الصادقي الذي أحياه المرحوم صادق بن سيدي سنة 1297 هـ وكان قبل ذلك التاريخ على حالة بسيطة جدا إذ هو عبارة على مأوى مشتمل على عدة مساكن يسكنها المرضى والمعتوهون وله أوقاف تقوم بضرورياتهم من فروشات ومطبخ وخدمة وطبيب يشرى المرضى والمعتوهين فقل من عهد الأول الكائن بالعرايف في قشلة شامقية وريدت فيه ريدات تسعت بها مساحته وصار محلا متسعا مناسبا ورتب ترتيبا حسنا على السق والأورباوي ودلت بثرة طاء الحوالي وجعل به قسما للنساء خاصة وكل ما ينفع على ذلك يكون من فواضل الأوقاف ولا يعطي المريض شيئا ولذلك شترط في دخول المريض أن يكون فقيرا وقد حصص فيه قسم للأغنياء على أن يعطوا مقدارا زهيدا من المال على أنه لا يكون حالهم أحسن من حال فقراء فيب يتعلق بمؤوتهم أو رياشهم أو علاجهم وهذا حسب الوضع أما مساحته فقد ريدت فيها مدرسة المشامقية بتمامها وكذا أبيضه ملاصقة به وبسطر لتراتيه من قسم الفقراء الذي أسس المستشفى لأجله معبر معتبر ولا مكثرت به وفي سنة 1315 هـ / 1897 م صدر أمر عي في أحداث إدارة الصحة لعمه على ما تقتضيه الحالة العصرية وجعلت إدارة الصحة البحرية تابعة لهذه الإدارة وبصرها يشمل مسائل الآتية وهي الصحة والطاقة العامة والمستشفيات والمخابر والطب والصيدلة ولتوليد والمقار والحمامات والمنحلات المصرة للصحة والمرحطة والمحطة وحج بيت الله الحرام والصحة البحرية والمعالم الموطعة على الوافدين على المرسى التونسية وحرسه أمراسي وعلاج الكلب وتلقيح الحذري وفروع في بلدان المملكة اقتضتها الحالة الاستعمارية وأحدث لذلك مجلس مركب من عشرين عضوا يرأسها الوزير المقيم بمصوبة مدير الصحة العام بالدولة التونسية ومدير الصحة العسكرية ورئيس المجلس البلدي وغيرهم وريادة على المجلس المذكور فقد أحدثت مجالس صحية بمدن لمملكة مثل سرت وسوسة وصفاقس وقابس وسوق الأربعاء وجعلت رتبتها للمرفقين المديين بمصوبهم في العضوية كل من عامل المكان وطبيب المجلس البلدي والطبيب العسكري والبيطري ومهندس الطرقات والجسور وقد قامت هذه الإدارة بمصالح حمة وفوائد مهمة عادت بمنافع عظيمة .

إدارة السجون

م يكن لإدارة السجون قبل سنة 1309 هـ / 1891 م نظام ذو فروع متباعدة بمدن المملكة لصبط أحوال المساجين وتنفيذ العقوبات البديية الصادرة من المحاكم التونسية وما كان موجودا من هذا القبيل هو السجن الحديد بالحاضرة لجس الموقوفين ورنذالة باردو لسجن المحكوم عليهم وكراكة حلق الوادي للمحكوم عليهم بالأشغال لشاقة من رعايا الحكومة التونسية ولما أصبحت المحاكم التونسية الأهلية مستقرة على أساس متين لزم صبط إدارة السجون وجعل نظام حصوصي لها مع التكفل بمعاشات المساجين والانتفاع بمصوبهم في أشغال يدوية أو زراعية ووسعت الدولة نطاق هذه المصلحة بأن أحدثت لها عدة فروع بمدن المملكة التونسية وهي حاضرة تونس وباردو وحلق الوادي وسوسة وقيروان والكاف وقابس وصفاقس وجربة وتطوين ومدنين وجرجيس وبن قردان ومطماطة وقلي وقفصة وتورر والنفيضة وعار الملح وسرت وبرج التونة ومكثر وباجة وسوق الأربعاء وعين دراهم ورغوان والمهدية وطرقه وبجار الباب ونازل وقرنباية وثالة وماطر وغار الدماء وم ترل الحكومة مهتمة بزيادة صبط مصلحة السجون على معنى تخفيف الحبس على المساجين والانتفاع بهم في خدمة الإحراش بما يعود عليهم وعلى التعمير بالفوائد الجملة .

العدلية التونسية

كانت العدلية التونسية في أمريين معاملات وحيايات ، فالعاملات بجميع أنواعها من ديون واستحقاق يرجع نظرها للمجالس الشرعية أو لقصة اشريعين منفردين وكذلك لأوقاف والأحكام الشخصية وهي الزوجية وما يتمتع منها من طلاق وحضانة وموارث وتقدير نفقات وغيرها وأما الحنايات بجميع أنواعها وتشمل الحرية فأما ما كان منها خفيفا فالقواد يحكمون فيها وما وصل إلى حد القتل وما شاكله فيهم يسجلونه ويحيلونه إلى الولي فما أن يحكم فيه باحتجاده وأما أن يحيلها إلى المجلس الشرعي لينظر فيها ويجريها على القواعد الشرعية وهذا في حصوص قتل النفس ، وأما بقية الحنايات والحراية فيحكم فيها الولي باحتجاده بالاستشارة بمن يثق به من حاشيته أما في مركز الولاية فإن حديث بجميع أنواعها يحكم فيها الداي وهو المعبر عنه أخيرا برئيس الضبطية أو فريك الدربة سوى القتل فهو خاص بالولي كما سبق

والمسائل التجارية وهو تبادل البضائع بين المتبايعين تحال لمجلس يعبرون عنه بمجلس التجارة يحكم فيها يتشعب من المسائل التجارية بما يقتضيه العرف وهو خاص بالخاصة ما لم يطلب أحد المتداعين من الأهلي المحكمة الشرعية فيصرف لها والوالي يحل بمحكمته يوما لتلقي المتشكين من تصرفات الولاية فيما يتعلق بوطائفهم ومن الحراية وقطعة الطريق ويوجه دعواه لمن توجعت عليه التهمة ويجري عليه الحكم بما يقتضيه نظره واستمر الحال على ذلك إلى أن استولى المرحوم محمد باي فرفعت إليه دائرة يهودي سب الدين الاسلامي وكان اليهودي من تنوع القائد نسيم أحد حواصن الوزير فهاجت البلاد وهاج العنصر الاسلامي لهذه الحادثة ورأى فيها دسيسة عن استحقاق اليهودي بالدين الاسلامي اعتمادا على سيده وطلبوا محاكمته فخشي الوالي سوء العاقبة اذا لم يتصرفوا منه اذ ربما حصلت ثورة ويسحر منها قتل يهودي وعيه ويفضي الحال الى أخذ الريء بدب المجرم ويتسع الخرق على الرفع مع ان المذهب المالكي الذي هو المذهب الغالب في القطر التونسي يرى أن سب الدمى للدين الاسلامي بقص للعهد ويقتل الساب بموجب ذلك فعقد الوالي مجلس وحكم المجلس المالكي بقتل اليهودي ووافق رئيس المجلس اخفي وهو الشيخ بريم الرابع وقد تحقق ما تكهن به الأهلي من اعتداد اليهودي على سيده في الاستخفاف بالدين لأن بورير حريدر عارض في تنفيذ الحكم بتصاروا لتابعه وطلب من الوالي أن يحكم هو في الدائرة عبر بقتل وألج عليه ومنع وحل بورير بأعراء فصل فرنسا بالتدخل في البازلة فلم يحج ونفذ الحكم فاستهزأ الوزير هذه الفرصة ولاد بفرنسا بواسطة فصلها راعيا أن هذا حكم مشوه التعصب الديني وهو لا يلائم المصالح القاصية بما الحالة لاحتياج العصرية وأوعر له بأن الوالي والحكم التونسيين إنما يحكمون بالحدود هوى النفس وحب الانتقام وهذا الأمر لا يأنس معه لاسان على نفسه ولا تستقر له راحة بل ولا يتم معه عمره فأبحث دولة فرنسا بسطة فصلها وعاصدها قنصل اقتدرا بإنشاء نظام في الأحكام العدلية وعملوا على تساكين على أنفسهم وأموالهم وأعراسهم وذلك سنة 174 هـ وفي هذه السنة أنشأ عهد الأمان الذي تقدمت الإشارة إليه ولم يجر العمل به إلا بعد ولاية المرحوم محمد الصادق في سنة 1276 والامام القاندة بذلك نص عهد لأمان بحروفه وهو من انشاء كتب أنه ار الوالي الكاتب البليغ احمد بن أبي الصياغ برد لله صريحه، ونصه

عهد الأمان

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي أوصح لخلق سبيلا وجعل العدل حنظ نظام العدم كفيلا ويرى الأحكام على قدر المصالح تنزيلا ووعد المقسط وأوعد الخائر ومن أصدق من الله فولا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي مدحه في كتابه فضله تفضيلا وبثه بحقيقة السمحة فينبى ووصلها توصيلا ورتبها كما أمر به وحب وبند ونحوه تحليلا فليس تحديسة لله تديلا من محمد لسنة له تحويلا وعلى آله وأصحابه لدين قاموا على معالم الهدى علما لمن قتلوا وذليلا وفهموا الشريعة نص وتأييلا ويستهدت عليهم فيف يوصل الى لاسعاد برصاك توصيلا وعون على أمور الامارة التي حملها عثا ثقيلا وتؤكد عليك والتجرب لك وكفى بالله وكلا، أما بعد فإن هذا الأمر الذي قد بدا الله منه ما قلده وأسند اليها من أمور خلقه هذا القطر ما أسنده لزم فيه حقوقا واحدة وقد وضه لامة تنة لا تستطاع الاباعائته التي عليها الاعتماد ولولاها فمن يقوم بحق الله وحق العباد فحضا الصبحة في عبادته وأرضه بسلامه والأمن لا يبقى فيه بحول الله ظلما ولا هضا ولا تحرم في حقوقهم بطما وتي بصف عن هذا القصد بعمله وبينه من يعلم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا يحب الظالمين في بريته فقد قال سبه لمعصوم الأواب يا داوود بنا جعلتك خليفة في لأرض فاحكم بين الناس باحق ولا تشبه لهوى فيصلك عن سبيل الله ان الذين يصلون عن سبيل الله هم عذاب شديد بما سوا يوم الحساب والله يرى أن ثرت في قبول هذا الامر على خطره مصدحة بوطس على داق وعمرت بحدته عكرية والسنية غالب اوقتي وقدمت من التحفيزات في جبايات ما علم حيرة وظهر دعوى له ثمه فانتشرت الامال ونشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال وانقصت عن التعدي أيدي العباد واستقصاء المصالح يقتضي تقديم أحوال ومن رامها جملة فقد عرضها سبب التعذر الى الاهمال ورأيا غالب أهل القطر لم تحصل لهم الا الاقضية بحراء ما عقدت عليه لينة وحدث عدة الله ان العمران لا يقع من نوع الانسان إلا بدعوى انه يحاط بالأمن والأمان وتحقق ان سبب العدل يدفع عنه العدوان وأن لا وصول ليدت إلا بقوة الدليل ووضوح البرهان ولا يكفي لتحققه الواحد او الاثنان فادار رأى اجاني تعدد الاطراف غلط ان كان مصنف حدسه وقل ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأيت سلطة الاسلام والدول العظام الدين على سياستهم انديوية مرور الاعمال في الخفس والاحرام يؤكدون الأمن من أنفسهم لدرعية ويرويه من حقوق المروحة المرعية وهو امر يستحسنه العقل والصنع واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يشهد باعتباره لشرع لأن الشريعة جاءت لاجرا ح مكلف من دعية اهوى ومن ليرم العدل فهو أقرب لتفوق وبالأمر تطمئن قنوب وتقوى ومن هذا كاتب علم لمة الأركان وبعض الأعيان فعرنا على ترتيب مجلس ذات أركان لدظر في أحوال اجديت من نوع الانسان وانت جرتي بما ثروة البلد وشرعا في فصوله السياسة المرعية بما لا يصادم القواعد الشرعية هذا وحكم الشريعة جارية مطاعة آدم له العمل بها ان فيم بساعة وهذا القانون لسياسي يستدعى زما تحرير ترثه وتدويه وتهدسه وأرجو الله ان يظري قنوب ان يستقيم هذا ترتيب احوال

برئاسة ولا يحالعه ما ورد عن السلف لصالح من اعتبار السياسة وأنا العبد الفقير نعمل لمرضاة ربي بما تطمش اليه النفوس وتكون منزلته في النفس منزلة الشاهد المحسوس وتأسيسه على احدى عشر قاعدة .

الأولى تأكيد الأمان لسائر رعايتك وسكانك يأتينا على اختلاف الأديان والألسنة والألوان في ابدنهم المكرمة واموالهم المحرمة وعراصهم المحترمة الا بحق يوجه نظر المحسن بالشورى ويرفعه اليه ولنا النظر في الامضاء والتخفيف ما أمكن والادب في اعادة النظر .
الثانية مساوي الناس في قبول الأداء لمرتبة او ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط على عظيم لعظمته ولا يحيط على حقير لحقارته ويأتي بيانه موضحا .

الثالثة مساوية بين مسلم وغيره من سكان لا يه في استحقاق الاوصاف لأن استحقاقه لذلك يوصف الانسانية لا بغيره من الأوصاف والعدل في الأرض هو الميزان المستوي يؤخذ به للحق من المظلم والضعيف من القوي .

الرابعة لا ندمي من رعيته لا يجر على نديله دية ولا يصح من جرائه يلزم دياته ولا تمتنح محامتهم ويكون هم الأمن في الاذية والامتهان لأن ذمتهم تقتضي ان لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الخامسة لا نكر عسكر من سباب حفظ سوح ومصلحته نعم لمجموع ولا سد للاسلح من زمن لتدبير معيشته والقيم على أهله فلا نأخذ لعسكر لا يترتب وفرعة ولا يبقى العسكري في اخدمة اكثر من مدة معلومة كما نخرجه في قبول العسكر

سادسة ان مجلس نظر في الحساب اذا كان احكم فيها على احد من هل لخدمة يدرم أن يحصره من نعيه من كبرائهم تأنيسا لأنفسهم ودفعاً لما يتوهمونه من الخيف والشرعية توصي لهم خيراً .

سابعة لا نعمل مجلس للتحريات رئيس وكتاب واعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايتك حابث لدور لنظر في بوازل التحريات بعد لادق مع أصحاب الدول لعطاء في كيفة دخول رعايتك تحت حكم المجلس كما يأتي ايضاح تفصيله قطع لشعب الحصم

الثامنة لا سائر رعايتك من المسلمين وغيرهم هم المسود في أمور لغربية والقوانين الحكمية لا فصل لأحد على لآخر في ذلك

التاسعة لا سريح لمتحر من اختصاص أحد به ان يكون مساحا لكل أحد ولا تتأخر الدولة بتحره ولا تمنع غيرها منه وتكون لعاية بإعانة جميع المتحر ومنع أسباب تعطيله .

عشرة ان نوال القديس على ابلتكم ان يتخفف سائر لصنيع والخدم بشرط ان يتبعوا القوانين المربعة والتي يمكن ان تترتب مثل سائر الاهالي لا فضل لأحد على الآخر بعد الانفصال مع دولهم في دخولهم تحت ذلك كما يأتي بيانه .

الحادية عشرة ان نورد بين على ياليت من سائر شعاع الدول هم ان يشترط سائر ما يمتك من الدور ولأجرة والأرضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المربعة والتي تترتب من غير متاع ولا فرق في أدنى شيء من قوانين البلاد ومن بعدها كيفة السكنى بحيث

لا يملك يكون عار في مدته ودخلا على عنده بعد الاتفاق مع احدا من الدول فعلى عهد الله وميثاقه ان تحري هذه الأصول التي سطرها على بحومنا بيده ووراءه اسيان بعدها وشهد الله وهذا خضع العظيم لمرموق بعين التعظيم في حق نفسي وعلى من يكون بعدي لا يتم له

لأمر لا يلبس على هذا العهد الذي بذلت فيه جهدي وجعلت سائر احصيين من نواب الدول العظم وعيا رعت شهديين على عهدي والله يعلم ان هذا المقصد الذي أظهرته وجمعت له هؤلاء الأعيان وأشهرته هو ما اودعه الله في بطني واجراء أصوله وفروعه فوراً هو اعظم

تمسبي وشره مطلوب بجهده ومن عاهد الله لوفاء بعهدته والحق هو العروة الوثقى ولأخرة خير وأبقى وستحلف من لدي من هؤلاء للثبات وحمة والكفاة ان يكونوا معي في اجراء هذه المصلحة يدا واحدة بقلوب سليمة متعسدة وأقول هم ولا تنقصوا الايمان بعد توكيدها

وقد جعلت الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلوه اللهم من أعاض على مصالح عبادك فكر له معيا وأورده من توفيقك عذبا معينا اللهم جعل لنا من حديث وردا وهب لنا من ليدك رحمة وهب لنا من ليدك رشدا ملك الاعانة على ما وليت ولشكر لك على ما أوليت المهدي من هديت وخير كنه فيها قصت هذه مقدمة نتحت لاستشارة وراءها العبد الفقير باحبه صالحة فأعت للههم بركة القرن وسر القنحة

و سلام من الفقير المشير محمد باشا بي صاحب المملكة التونسية في 20 محرم 1274 هـ صبح محمد باشا بي والله على ما نقول وكيل .

وبما كان لعمل سائر قواعد هذا العهد يستدعي زمنا لا لأجل تدوين قوانينه التي عليها مدار الأحكام وعرضها على الدول ذوات شأن بعد ترجمتها للغة لا احتية لادخال رعايتك اليك في المملكة التونسية تحت احكام القوانين التي يراد اشرافها واجراء العمل بها .

توقفت مدة مع حرص الوالي على السعي في اتمامها وقد اخترته لمية قبل ذلك ولما تولى المرحوم أخوه محمد الصادق بي الامارة وذلك في صفر 1276 هـ سعى في اتمامها واستدأ حريص العمل بها في شوال سنة 1277 هـ وقد وقفت على بعض التقايد مما له بالامام بأسرار الدولة

وحاياتها من تصرفات رجائها الوريث مصطفى حزينر هو الذي ألح في تمام القوانين وجراء العمل بها لأنه لما جلس المرحوم محمد لصادق باي على تحت لامارة وكان له درية كعيره من بقية العائلة الحسينية بسوء تصرف الوزير المذكور حثي الوزير سوء معيته فسعى لدى

فناصل الدول وبعض من يعلم منه مداخلة الباي لاثقائه في منصب الوزارة كل على حسب الاقتضاء فاقاد لهم الوالي وقره على منصبه كنه لم يأمن على نفسه وبقي خائفا يترقب فألح على الباي في انفاذ قانون عهد الأمان واجراء العمل به ليطمئن على نفسه مما كان يتوقعه وحلف لوالي على انعهده وعدم مخالفته وكذلك سائر المتوظفين ورتبت المحالس في بلدان المملكة والمجلس الأكبر بمركز لولاية وهو الذي عليه مدار حفظه كياها وترتيب سياستها وتعقيب ما يعرض عليه من احكامها لكن لما لم يكن للوزير قصد حقيقي في احراء العمل به كنه علمت وبها قصده حفظ مصالحه الدتية وقد طمأن عليها معاصرة الباي له ومصافاته أصمر السعي في ابطال اجراء القوانين وارجع الحلة القديمة لأب هي التي تلائم اعراضه ونصر فاته بدون قيد فصار يصعب العقبات في سبيل سيرها ويتحلل الأسباب التي نعيه على بطا فاستعفى بعض أعضاء المجلس الأكبر تعديا من القضاء المسؤوليه على عواقبهم فيها يتبع من تصرفات المجلس التي هي ثمرة عمل الوزير ثم تراكمت النفقات وتكثرت بسببها لديون على الحكومة لتسديد المطلب الي تنقاضي عليها لأن الوزير صدر له من المراتب خصوص ديه على الوزارة الكثير مائة وأربعون ألف ريال وعلى وزارة الخارجية ستون ألف ريال وعلى وزارة داخلية ستون ألف ريال حملة ثلاثمائة وثلاثون ألف ريال صممته وستين ألف ريال على وزارة لعمالة وستين ألف ريال على جيش البلبت الحسبي وهي عمارة عن مائتي ألف مئذنة وثمانية وعشرين ألف فريك مع انه يفتقر غير ذلك من اموال الحكومة في مصاحبه لشخصية من غير احتساب عنه حسبا تصح ذلك بعد لبعض بعد تدقيق الحساب معه عند انتصاب الكمسيون المالي الذي أشرف عليه وكان ذلك من حملة الخيانت التي أوجبت تأجيله بعد من الأسباب التي انتحلت لاطل العمل بمواد عهد الأمان والمجلس العدليه قلنا ان النفقات تراكمت على حكومة حتى عجزت عن تسديدها بل عجزت عن القيام بمصاريف ذات الوالي الخاصة وعائلته وبعد ان لامسناك الماليين عن ذلك وقد عمد الوزير بمضغعة المحمي وهي الاداء الشخصي المرتب على عدد المذكور البالغين ستمائة وثمانين ألف ريال عرض بعض أعضاء المجلس الأكبر وأوصحوه سوء معاملة ذلك فم الأهل معارضين هذا الاقتراح أولا لثقل وزنه وثاني محالته لأصول المصائب الدولية لأن الاداءات المفروضة على الأمم بما توظف على المكسب لا على البرقات مع ان المرحوم محمد باي ابا فرضه مؤقتا ريثما يتوفر لديه ما يقو بمفادها عندما تنمو ثروة الأهل بسببهم في سائر الحركات التجارية بسبب دور البرحة والاصطناد وثالث أن الاهالي رشح في عقوهم ان الامير حذف على انهاء ما عهد به في الامان على لاندان والاموال حق وهم قد طلبوا المعذمة مع الدولة في هذا الشأن وحث ان الوزير يشتر الفرض لاصل المجلس انهاء بان الاهالي انما شاوروا طلبة ابطال المحالس ونعاء اجراء العمل بالتقنين لمخالفتها بقو عد الشرعية وادار لاطل بعض مع لاهاليه يشكوا من امجالس ضرورة انه لم يكن فيها ما يخالف قواعد الشرح الاسلامي وهم اشتكوا من عدم حذر أعضاء بعض محالس بعدم فهمهم مواد النقاسون وبصيقه على النوفع لأن أغلب القتائل وبعض البلد لم يكن لهم من المعلومات ما يتولهم منصب لاحكام حصرها ولأن محالس حقيقة صارت صورية محضة لأن روحها احتساب الأمة بواسطة من يتخونه لديون القوانين يعفون مع ل بعض أعضاء المجلس الذين لهم دراية وربما أندوا بعض ملحوظاتهم نادروا بالاستقانة من العصوية مجرد مدار وبعض الخس في تصرفات محالس ولذلك سحل بعض مناصل من الدول الأوروبية على انطاف لأن انطاف يخالف لروح المعدل الذي عليه مدار حفظ حقوق وحاص فصل بكثر حصرة الباي مكتوب، ومضه مترجما للعربية «في فبراير 1864 م / 1280 هـ المعروف على حسابكم لرفع اتى ذي من الواجب أن نذكر حسابكم في هذا الوقت الذي أحواله أثربت حسابكم توقيف القوانين ولتراتب مؤسسة على حرية وحسب في بلادكم فب هذه التراتيب وقعت الرصاية فيها وكان ترتيبها ملاحطة الدولتين الخيتين الانكليزية والفرسوية وحسابكم وعدهم ذلك سميت بتدعيمها وابقائها على قوتها وعدم تعبيرها ووكيل الدولة الامراطورية الفرساوية ورد له لادن من دولته كما ورد لي الادب من دولتي لأب على اتفاق واحد في الدرة واحث على ترتيب المحالس المحتلطة بسرعة لفصل نوارل الجدييات والسوازل المتحرية يدبرم من وقت للعمل في القانون المتجري ولما كان الاذن المذكور الصادر لنا من دولتنا الذي نشرته بفرسه عليكم بمكتوبي المؤرخ في 17 سبتمبر 1857 م وهو بطير المكتوب الذي خاطبكم به مسيور روش نصا سواء ولم ترل المكاتب موحودة يجب ان يكون سير بواب الدولتين في هذه امسكة على مقتضاها ولذا يلزم ان يطلب من حسابكم بشدة حرص زائد على ابقاء المحالس وهو المبدرة الى المحالس المحتلطة امعود بها ممد مدت طويل وبمقتضى ما تقدم طلست مشاركة جبرل فنص فرنسا في هذا المطلب كما يطلع حسابكم على نسخة المكتوب الموجه من اليه وهم امسيو دي موفلان هذا وزيادة على انوعد الرسمي الذي أعطاه حسابكم الى ملكي انكلترة وفرنسا بحفظكم للتراتب المنية على خذل والتمدد التي أعطاها حسابكم لاندلا لا يخفى عليكم أن دولة انكلترة عقدت مع دولتكم شروط تقتضي دوام الترتيب المذكورة لأب احفاطة حقوقها بحو رعاياها في هذه المملكة ومع وجود ذلك فتدبرل ترائب الحكومة الآن والرجوع للمحالة القديمة بدون سقاية اعلام للدولتين الانكليزية والفرساوية فمقصود جنابكم يظهر منه في السياسة انه فعل يد على نقصان الاعتد وايضا يظهر منه انه غير صوب مع الدولة الانكليزية التي في شروطها الأخيرة صدقت أمن حكومة التوسية ومحمة الدولتين لجابكم توجب على عدم الزيادة في المشق موحودة في حكومتكم

مصائب تشق في هذا الوقت ولكن واجبات خدمتي تلزمي أن أطلب منكم رسمياً دوام الأصول المؤسسية عليها إدارة الحكومة وخصوصاً أنني أترك خباياكم انتخاب الكيفية التي تظهر خباياكم هي ملاءمة وماسبة لآراء تلك الأصول والأجناس المتقدمة في التمدن ربما لزمهم في أدوار مختلفة بدون تعرض للأصول المؤسسية عديد القوانين شديد كقيمة العمل بها وهذا الباب مفتوح لتوسيع اقتداء بالدول الأوروبية وليس لا شك في فطنتهم وحكمتهم وهذا الأمر يظهر أنه سهل حيث أن التشكيك الواقع من زيادة الأداء ومن تطويل المجالس في الحكم يمكن دواءه من أن ينهي نه البلاد وترجع إلى حافة الأصلي وهذا أعظم دليل على حسن خلق الرعية المستنحة من هذه التراتيب لأنهم يوحود في تاريخ تونس مثل سيره القدر في هذا الزمن لأنهم من الشكايات وهم متسلحون على عاداتهم السابقة في سالف الزمان لكنهم لم يتعرضوا بسلاحتهم إلا للاحتفاء من أداء ثقيل فوق طاقتهم.

وكذلك قصص دولة فرنسا سجل على ذلك وحاطب أبو لي على هذا النمط وأجاب الوالي بأن لقدنواً باقى على قوته وإما ظروف الأحوال قصص ينفذ من ذلك وهو سنة 1280 هـ، تسببت الأيدي السليمة والسلب والقتل والضرر والسلب بالأشغال شدة مجرد التشيبي والانتقام وسنمّر لخل على ذلك في ربيع الأبر سنة 1284 هـ، وحث كانت أعمال كمسيون مراقبة مالية الحكومة وصنفتها على أوجه ثلاثة خاف ومصلحة الربح الديون وكان من مقصيات خدمته مباشرة العرب الذين يبدون استخلاص موال الحرية المدنية وهذا يقتضي تحسين الإدارة وهو ما يتم بالعدل الذي هو قوام العمران وبدون ذلك لا يستقيم الأمر الذي عليه مرد حقتهم حقوقاً مالية وسدّت بكر لوزير خير الدين طريقه فحفظت حقوق المائين بدون إحداث سياسة حكومة بأن جعل رئاسة الكمسيون للوزير الذي هو مفتوح، حل وعقد لدى رئيس الدولة ولقب ذلك الوزير بالمشاور ورثت شعب الوزارة على صورته لأنه وهي إدارة الكبرى ونحصر فيها شعب الإدارة سوى وزير الحرب والبحر فكل منها وزير خاص غير أنه تحت نظير لوزيره الكبرى بمعنى أن الوزير الأكثر ثم لوزير المشاور هم يمدان بالمشاور جميع مصالحهم بواسطة وبدونها ثم قسم إدارة هذه الوزارة إلى أربعة أقسام القسم الأول تحت رئاسة مستشار ويرجع إليه جميع الأمور السياسية العامة وأما المالية خاصة بدخل الحكومة وإخراجها دون ما يتعلق بالكمسيون المالي.

القسم الثاني تحت رئاسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بشكايات الرعية لموظفين والعسكري، والقسم الثالث تحت رئاسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بحقوق الشخصية بين فرد لرعية التي تحيلها العمل فيما لم تشملها بأصنافهم أو ترفعها إحصاءاً وتتم لدى هذا القسم سواء كانت مدنية أو حربية ومسائر الخفيفة، فيما هو خارج عن مصر القضاة فقد جعل لها ترتيب وجعلت لهذا العمل بقصودها ونقصت بدورها حصصت لذلك، والقسم الرابع تحت رئاسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بأخارجية وتنادى الأمر كذلك إلى أن تولى الوزير حجة الدين عن الوزارة فوَقعت بعض تعيينات في فروع بعض الإدارات وهذا حثلت دولة فرنسا واقتضت مواد المعاهدة معاهدة بينها وبين الذي تحسين لإدارات فكان من حملة ما سعت في تنظيمه فروع الإدارة المدنية على حسب ما سمحت به الظروف فقسمت المدنية إلى قسمين حربية ومدنية وظيفة كل قسم تتبع ما يعرض عليه من النوازل ولكل قسم فروع.

الفرع الأول مكتب الإدارة وظيفته فهم المصطلح ومهمات الإدارة وحرنة مكنتها ومتوسطها وتوجيه المكاتب الصادرة منها الفرع الثاني مكتب النوازل الحربية وظيفته حراسة المدينة والنوازل الحربية والمخاطبات المتعقبة وتنفيذ العقوبات والضرب في مطالب العفو الفرع الثالث مكتب النوازل المدنية وظيفته النوازل المدنية والمخاطبات المتعلقة بها وتنفيذ الأحكام المتعلقة بالمعاملات. الفرع الرابع وظيفته بحث النوازل الحربية الفرع الخامس محكمة الوزارة وظيفتها تحضير الأحكام الحربية ومدنية وعرضها على الباي لامضاءها واستمر الأمر كذلك إلى سنة 1314 هـ / 1896 م وفي هذه السنة صدر أمر بترتيب محاسن المالية. لقدص منها تسهيل فصل النوازل وإجراء العدل بين الرعية وهذا بدون خاص كمال نظامها وترتيبها على ما يقتضيه الحال. ووظيفة هذه المجالس الأفقية النظر في سائر معاملات في دور المائين فربط بدون استئناف وموقوفها مع الاستئناف لدى محكمة الوزارة ومن جهة الخدات فإنها تحكم بعقوبة مالية إلى نهاية مائة فريك والسجن إلى عتبة ثلاثة أشهر ومع إمكانية الاستئناف في النوازل الجنائية التي تفوت عقوبتها ما ذكر وتنت لذلك مجلس سبعة أعضائها تونس ثم سوسة ثم القيروان ثم صفاقس ثم قسن ثم قفصة ثم الكاف وكل مجلس له دائرة يتعاطى ما يعرض من نوازلها التي هي من علائقها وترجع إلى خريد إلى مجلس قفصة بحيث أن ما يعرض للأهالي من النوازل المدنية الخفيفة يفصلها لعمل وما سواه يقرره ويوجهه لمجلس الدائرة وقد حارب الحال في الكلام على ما يتعلق بالإدارة التونسية لها من العلاقات بلاد خريد التي هي موضوع لبحث والله يحكم ولا معقب لحكمه وهو مريح الحساب.

مطلب المعارف بالجريد

المعارف في قطر الجريد لها رواح منذ القديم وقد سعت فيه فطحت تشهد لها الرجال وتركوا محاميات من التأليف المعترة بشر اليه علو الشأن ولا سيما بقطعة وتوزر وقصة، ولكن من أواخر القرن العاشر أخذت في التقلص بسبب كثرة لغز واشتر لظلم والعدون والاستخفاف بالعلم والعلماء، وتخلت فئات عظيمة من القطر وزهد الناس فيه وفي أواسط القرن لثي عشر توجعت همم بعض لموفقي الى احياء ما اندثر من رسوم العلم وأشؤوا مدارس فأحدثت مدرسة أبي نقطة سنة 1136 هـ أمر بانثائها ابول حنين بن علي وجعل لانفاق عليها من ربع أوقاف مدرسة المراديين بتورر التي أحدثها محمد بن مراد لأن الأوقاف لموقفه بعبارة نقطة على أوقاف مدرسة المراديين بتورر حسبها وقعت على ما يؤيد ذلك في بعض المكاتب ولم تزل محفوظة عندي رحم الله الجميع . وفي أواخر هذا القرن أحدثت مدرسة سيدي سالم بن علي حذو صريح شيخه سيدي طاهر بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد معاد وأوقف عليها أوقاف كافية للقيام بشؤونها وبواء لتعلمين وسفقة عليهم ومن أواخر القرن لثي عشر تكاثرت المدارس هذه العاية ففي سنة 1186 هـ أحدث أحمد الشيخ سيدي أحمد معاد لمدرسة والقمة حور صريح جدهم المذكور وأوقفوا عليها من الأوقاف ما يقوم بمصالحها والقيام سفقة من يقطع للتعمم بها وفي سنة 1217 هـ أحدث سيدي ابراهيم خريف مدرسته وأوقف عليها أوقاف وافية بما يقوم بمصالحها وسفقة من يأوي إليها كما أحدثت في عشيره لشرفاء مدرسة سيدي صيف الله ومدرسة سيدي ابراهيم بن حمد . وعشرة بني علي أحدثت مدرسة سيدي مصطفى بن عرور وفي كل مدرسة من هذه المدارس ها عدة مدرسين ففي مدرسة أبي حنيفة بن قويدر والشيخ سالم بن علي الجمي الذي تقلد حطة القضاء نقطة ثم لغتها وفي مدرسة سيدي سالم يدرس بها الشيخ ابراهيم بن عمر الذي تقلد حطة القضاء ايضا نقطة وفي مدرسة سيدي حمد معاد يدرس الشيخ بلقاسم بن عمر المعادي والشيخ حمد الصغير وتقلد الاول حطة القضاء واشي احطانة مدة أربعين عام كما درس بها الشيخ ابراهيم بن ساعي والشيخ أحمد زروق والشيخ حمد الصالح بن عمر الذي تقلد حطة القضاء نقطة والشيخ محمد مبارك الذي تقلد حطة القضاء ثلثي مئتي نحو أربعين سنة ويدرس بمدرسة سيدي ابراهيم خريف الشيخ ناصر وأخوه الشيخ العرسي الذي تقلد حطة القضاء والحطانة نحو ثلاثين سنة والشيخ محمد الصبحي وأخوه الشيخ محمد الكبير الذي تقلد حطة القضاء بتورر وراقم هذه الأسطر أي مؤلف والشيخ عبد سافي ابي توي حطة القضاء بتورر والشيخ محمد الناصر خريف والشيخ عبد الكريم بن محمد الناصر ويدرس بمدرسة سيدي صيف الله شيخ عمر بن عثمان والشيخ ابراهيم صمدح الاصغر ، وشيخ علي بن فتيحة والشيخ محمد العبيدي وفي مدرسة سيدي مصطفى بن عرور درس الشيخ محمد بن عرور عبد لله الدويبي والشيخ محمد لكبلاي والشيخ محمد العبيدي وفي مدرسة سيدي مصطفى بن عرور درس الشيخ محمد بن عرور والشيخ ابراهيم بوعلاق والشيخ المسوسي القضي والشيخ المكي والشيخ محمد لامين بن مدي وأخوه الشيخ أحمد الامير والشيخ محمد الصالح بن حمادي واسه شيخ محمد الصغير وعمرهم وهناك أساس آخرون انتصو للتدريس بغير هذه المدارس كالشيخ لوري بن بلقاسم المنتصب بحامع سيدي محارق وكالشيخ يوسف بن عون والشيخ علي بن الحاج نصر المدرسين بحامع بزبد و الشيخ ناصر وشيخه الشيخ ابراهيم صمدح الاكر المدرسين بحامع علقمة والشيخ عبد النافي بن صابر والشيخ مصطفى بن التري وأخيه الشيخ عبد الكريم المدرسين بحامع مصاعة وهذه النهضة الميمونة صار للعلوم الدينية ووسانها اسوق رافعة في الجريد كما حدثت بتورر مدرسة سيدي بي بكر لشريف ومدرسة سيدي المولدي رحم الله الجميع وخصص لها نفقات طائلة للقيام بها بأوى ها ويرد عليها وأحدثت مدرسة الشيخ أحمد بن حمد وأوقف عليها المرحوم الصادق بن أوقاف ذات مال للقيام بمصالحها وأحدثت فصلاء عشيرة الرسة بزعمارة الشيخ ابراهيم بن علاق مدرستهم التي نسبوا لنقطه الاعظم سيدي ابي علي رضي الله عنه وخصصوا لها ما يقوم بها وقد صارت الوفود نقد على الجريد للورود من متاهله لعدة لاقتناء العلوم والاخذ عن هؤلاء العلماء الاعلام وكان لأغلب هؤلاء المدرسين اعانات كافية من شيوخ المدارس والرواي ولما وصعت الحمعة يدها على الاوقاف أمر من حكومة واشترعت المدارس والجوامع مع اوقافها لتقلص طل التدريس وحد في الانحطاط ولم يبق الا فرد قليلون يدرسون مجنا على حسب ما تسمح لهم لظروف وبعض الأداة هم اعانات طعيقة لا تسد عور ولديت في بعض العائلات السبهة من رسح فيهم اصوب لعدم واشترى حب انورود من ماله وجهو عنيتهم لتوجيه اسائهم لمرولة العلم من الكليات المركزية فارتحل عدد ليس بالقليل لخدمة تونس وأحدو في اقتناءه من الكية الزيتونية عن شيوخ أجلة فسعوا في العلوم الدينية ووسائلها والعلوم العقلية ودققها وبعضهم ارتحل مصر مرولة لعلوم أهرها فصار لعلماء الجريد شهرة متارو بها على غيرهم ما هم من لسانية والاستعداد الفطري والدك الطبيعي مفتضى طقس بلادهم وغذاءهم لولا انه يسرع اليهم الملل والسامة فهم لا يشرون عن العمل بدي هو روح النجاح ولذلك قال شاعرهم عند ذكره لمحاسن الجريد والتوبه بشأن علماءه .

لولا الملال بته لأصبح أهله وهم بكل دجنة أقمار

كما اهتم مخصصون بحلق الترفع وتوهم الكمال ولهذا السبب فإن أهل الجريد منها بلغوا إلى أقصى درجة في العلم لم ينحرفوا في سلك مراتب الدولة كالوزارة وما شاكلها ولو بلغ بعض الأفراد منهم كإبراهيم بن عون الذي استولى قيادة جميع بلاد الجريد وكعلي الساسي الذي أوصف للجريد بلاد مزاوة وجمال قصصة وغالب أحياء هامة فاسهم اضطروا لذلك بسبب ولاية بعض المهالك على أوطانهم فيعيشون فيها فساد فكانت ولايتهم بدافع العيرة على وطنهم وإن لم يقصروا في الركض خلفهم وربما سقوهم في ذلك الميدان. وحلق لترفع وتوهم الكمال قنصت لحالة الاجتماعية والاستقراءات العددية منها بحرمان من انصف بها من السعادة بالترفع في منصة الحكومة وذلك لأن الإنسان إنما يحصل على هذه مراتب عابث بواسطة الخصوع والتملؤ من فوقه والتقرب إليه بالخدمة والانتفاء والترلف بالنصيحة ولا تنظم في حواشيه وهل قرأته حتى يرسخ قدمه معهم ويسمح في خدمتهم ويتدرج في مراتب انرفي حتى يطمه السلطان في بطائه وجملة حاشيته فيحصل على حظه عظيم من السعادة ويتنظم في عدد أهل الدولة وقد عقد ولي الدين ابن حندون فصلا في هذا، معني حيث قال: «فصل في أن السعادة واكسب من يحصلان عابث لأهل الخصوع ولتملق وإن هذا الخلق من أسباب السعادة». واستدل على ذلك إبراهيم اقتصته بعدات الاحتمالية ونسب تحذيره أنه تديلا كما أن لأهل الجريد ونوع عظميا معلم الأدب لرفقة طباعهم وحوادة قرئتهم وقد نفع فيهم عدد كبير أحرروا فصب السبق في ميادين شعر الرقيق الذي يأخذ بمعامع القلوب فمهم لشيخ إبراهيم بوعلام سدي تقدمت من مرحته في الكلام على نورر ومهم الشيخ اسرهيه الحنري الذي ارتحل إلى لفهرة وأقام بالأهر مدة طويلة ومهم الشيخ محمد الأمين بوعلام والشيخ عبد المصطفى والشيخ محيي الدين والشيخ سليمان بوعلام والشيخ عامر الشامي والشيخ اندلسي الشيخ بي بكر له في والشيخ حسن بن عون المصطفى الزبيدي وهؤلاء كلهم اقتصوا حواهر الأدب من بحور الكنية الزيتونية آدم أنه عمرانها وقد تقدم هؤلاء لأعلام أئمة لا يشق عمارهم كما نفع بلد نقطة كثير من الأدباء فممن أدركه لعالم لتحرير صاحبتنا الشيخ يوسف بن عون كان شعره وأدب نبعا وله ديوان شعر نرى فيه من عرائب البرعة وما تظايرته رؤوس النبعا ومهم الشيخ المكي بن عرو له القدح الممل في فووض الشعر وطرفه وله قصائد ربة ريادة عما نطمه من المؤنعت في فووض شتى ومهم الأديب الأريب لشيخ أحمد الأمير بن الشيخ اندلسي بن عرو وله فصلا عن ملكته في الشعر وانفاه لأساليبه فإن له فتدرا عجميا على ارتحال الطم ومهم الخسب لسبب الشيخ محمد خنصر بن الحسين كان ربحل محروسة تونس وحدي افتساء لعلوم ولأرم عدة أعلام فحصل على حط الأوفر من العلوم العقلية ولقبة وأحرر على رنة تدريس بحامع الزيتونة ثم قلد حطة نقضاء سررت ويدر سلاستعفاء مهة رعة في ث بدور العلم في ريب ص جامع الأعظم ومهم لعلامة الأديب الشيخ علي بن احاح نصر الذي نقند حطة نقضاء بقصصة ومهم العدم المحد احارم لمجتهد الشيخ حديقه بن عروس كان عالما بربها وبراع ففبه وكان مولده هذا لعالم احليل مدنة بقصة في حدود سنة 1280 هـ فوحد العلم عن علماء حلقة كالشيخ سوري ولشيخ محمد المبارك المعادي والشيخ يوسف بن عون الزبيدي والشيخ إبراهيم بوعلام.

ثم تافت نفسه إلى الارتحال على ما هو عليه من صلب احال فأباح مطاي الامال بالجامع الأعظم جامع زيتونة فرتع في رياضه وكرع من عذب حياضه إلى أن امتلأ وطنه وعذب شره فأحرر حلقة السبق في ميدان الامتحان التطويعي ثم شمر على مساعد احدث وتقدم للمناظرة مع نظرائه للحصول على رنة التدريس وشرع عما اعترضه في سبيل ذلك فقد أدرك صالته المشودة فحصى على رنة التدريس وشرع ينشر الدر بحسب رعاية احدث مع عاية التدقيق ومهانة التحقيق وبذل من المصحح ونقد أساليب الالتقاء ما شهد له به أعيان الفصلاء فكان الطلبة يتراحمون على دروسه بجامع الزيتونة، توفي سنة 1325 هـ وقد رثاه كاتب هذه الأسطر بقصيدة نصها :

وأرسلت أعين الباكين منه دما
تأجج الحزن في الاحشاء واضطربا
من فقدته نعمات الدرس واحتدما
فيأله حادث للعلم قد دهما
من فقد بحرهما فقد كسان ملتظما
والبحر ملح أجاج ورده حرما
فاستوهبوا الله يوليه بكم كرمنا
ببه تعساظم فجرا قركم وسما
وخط في صفححات المجد وارتما
تساجه العسلا برفيع الفخر قد وسما
بدر هدى نسوره الأعراب والعجا

خطب ألم بمركن الدين وانهدما
ويات كل فؤاد فيه لسوعته
وامطر الجامع الأعلى مدامعه
تضياءت شمس هدى فيه اذكفت
تيكي الأسباطين محمدا قبيد ألم بها
أعجب ببخر زلال طاب مشربه
يا سادة وردوا من عذب منهلة
لكم ملتئم وطابا من جواهره
هو الهام البذي قد طاب عتده
نبراس علم بسدت من نسوره سرج
خليقة المصطفى محيي ستبه

الله أكبر كيف البدر يوضع في
 يابا عابثا بتفيس العمر تنفقه
 لا تغتر بجلي الدنيا وزخرفها
 واسلك سبيل الأولى قاموا بزورهم
 وانفقوا مهجما في نفع جنهم
 احياء معني وان ماتوا فخرسهم
 هيهات هيهات من للمعطلات ومن
 سعد البلاغة قطب الدين شمس هدى
 واكرم يا رب وارحم نزيلا حل ساحتكم

طبي التراب ويلقي السقم والألما
 مستعوضا لسراب خلت ذلك ما
 واسع لنفع فيما ساع كمن حرما
 بذور علم زكى من سعيهم ونما
 وشيدوا صرح مجريسات محتكما
 قسد أثمر الفجر والاداب والحكما
 كشف أسرارها تحت الثرى ردما
 شهاب حق لسلطان الهوى رجما
 تاريج بجزيل الفضل قد ختما

ومهم الشيخ عثمان المكي تقلد خطة القضاء تنور لأسباب حافظها على مركزه ثم انتقل لتونس وحصل على رتبة التدريس بجامع
 الأعظم وانتفع به خلق كثير وهؤلاء الأعلام كلهم اقتطفوا أثمار الاداب والمعارف من رياض الجمع الأعظم وكتبوا احوالهم من بحوره
 الزواجر وكان شيوخ التدريس يباهون بسلامتهم من أهالي الخريد لما يعجبون به من فوط ذكائهم وسرعة تحصيلهم في امداء القليلة ما لم
 يحصلهم غيرهم في صغافهم وقد كان العدد الضعيف من ملازمين لدروس الشيخ سالم سوحاحب واتفق عند ختم المطول على التلخيص
 لسعد الدين التتري ان تبا بعض تلامذة الشيخ لضمه . شعرة بختم الكتاب مع مدح الشيخ والدعاء له وكان من عجيب اتفاقه انه لم
 يكن يحصر ختم الكتاب من أهالي الخريد غيري بفتح الأديب الأريب الصارب في مذهب الأدب بأوفر نصيب شيخ محمد سنوسي
 التونسي بأن أنشئ قصيدة في الغرض المذكور فاعتدلت عن سلوك تلك المحنة . عدم القدرة عن محارة فرسان هذا الميدان مع تقدمهم عني في
 السن ولادة فأحاسي بأنكم معاشر أهل الخريد تحصلون في السنة ما لم يحصله غيركم في سنوات معدني ذلك الاطراء وشدة احياء الى
 الانحراط في سلك المشير للقوائد فطمت قصيدة في هذا الموضوع واني على عدم من تطلي على التشبه بالقوم وبعول في مجتمعهم وهي
 أول قصيدة نظمته فلما تلوتها في ذلك المجتمع المهيب عند اخته وكان المجلس حافلا بالمشايخ أهل المجلس الشرعي وكابر المدرسين
 وغيرهم على عادة الاختام المعبرة وانتهيت من تلاوتها خاطبني الشيخ سالم أطال الله بقاءه بقوله :

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت

أن سيصير بديرا كاملا .

ثم بسط كفيه وقال اللهم اجعله كمثل حبة أنتت سعة سنابل في كل سلة مائة حبة والله لمن يشاء ولا تمام الفائدة لتي ربما تشوف
 القاري لها وتأقت نفسه للاطلاع عليها ونصّها :

تهلل وجهه السعد والسعد طالع
 وذا عند ما ماست بقدر مهف
 وحيث خيال كاد يعدمه النوى
 وأبدت محيا بين ليلي شعرها
 فلله من ورد بجنسية خيالها
 ولاح وميض البرق لما تبسمت
 تناولني طورا كسؤوس حديثها
 وعند انهماك الليل قامت وودعت
 فكم بت أرعى النجم خوفا من الضيا
 وبانت فأضحى القلب منها متيا
 فؤادي لا يبغي بديلا بذكرها
 أبو حاجب شمس المعارف من له
 هو الجهبذ التحرير مفرد عصره
 وانسان عين المجد روح حياته
 يتقن سراره يجلي عن العقل غيبه

وداع الحسناء في روضة العسر راع
 فجنت قلوب من هواها مصارع
 ففاضت بوصول الروح منها المطامع
 كأن سناء البدر في الأفق ساطع
 وحارسه شزر عن القطب رادع
 فأضحت لها شمس الضحى تتواضع
 وطورا لأفنان الدلال تراجع
 ومميت على روض الحدود المدايع
 ينم فلا يبقى الخليل المضجج
 عديم اضطبار ما له الدهر دافع
 سوى مدح من للعلم والحلم جامع
 مسائر في أفق الكمال سواطع
 سراج العلوم للسودع على المتسواضع
 وبدر المعالي في سما الفضل لامع
 وتدنو الى الفهم البطيء الشواسع

شمو ما لها ضوء لدى الفكر ساطع
تصباغ فتجلى فهي ببيض نواصع
فروع ومن هذا السراج طسوالع
يحاول تحصيلها هو نوافع
تفوز بذكر اللفظ منك المسامع
ترى الناس من كل النواحي تسارع
إجبال فكل مشربنا مطاوع
وعهدي بها أن لا تبين المنافع
أشارت له بالمكرمات الأصابع
فمجلسه في السورى لا يضارع
رسول السورى من في البرئة شافع
متى قام يشهد في الاثيلات ساجع
يختم هناء كاليها لا يوادع

مدينة أهل العلم والفضل والفخر
وتوزر الماء العباب الذي يحور
حسان وخيرات تجل عن الحصر
بدت مثل عقد الزهر في عنق الدهر
بأرضها مما تشتهي من الخير
جنى الجنتين من عبابها يحور
إلى جنّة الدنيا وحافظ عن الفكر
إلى حسن ذلك النخل منشرح الصدر
ويسرا بصاغ من لجين ومن تبر
فأبشر بمبيض وانعم بمصفور

ولو سألوني عن بسايتين نفضة
ومنبع أهل الخير والحلم والحجـا
وما حوت كلتاها من مآثر
جواهر فضل قد حوتها بحورها
نقلت هما الفردوس والخلد اذا بدا
تسرى منظرا يسبي العقول بحسنه
ننزه رعاك الله طرفا بنظرة
فمن كسان ذا هم يزول اذا رنا
تسرى رطباً يبدو بطلع منضد
وطعمها الفالودج السرطب اذا بدا

73

مطلب الصنائع بالجريد

توحد بأهيات بلاد الجريد وهي تورور ونمطة وقمصة ودقاش وكذلك تنزارة جميع الصنائع لصورة للهيئة لاحتياجها وهي لساء والحدادة والحجارة وصناعة القرميد المسمى بالآخر الذي يصنع من الطين وبعد تشميه إلى أن يسكن يسكن النار حتى يتصلب وهو الذي يعتمدونه في بناء مساكنهم وهم في وضعه أنواع من الرية شبيهة بنقش حديدة يتقنون فيها ما يحتاجونه من مواد ساء فلا يخلو من حارح فهم مستعنون عن ذلك بالسقوف والأنواب يتحدوها من حشب الحبل ولأشجار التي يستثوبها عندهم وكذلك سائر السوم وطروف الحمل تتخذ من جريد النخل أيضا كما تتخذ منه البسط المعمر عابا بالسجاد للصلاة وحلوس عنها لهم إلا من أذلت في دوي ايسار فيحب ما يتمر به من احارح اما لباء فيعتمدون فيه على الآخر الذي يصنع بعدهم والصحور التي تقطع من مفاصلهم وسنى المرب من عصي واصل واحرء معروفة عندهم وبعد مرجه بقاء وتحميره بحمير محكم ثم يبقى في الشمس حتى يجف ويتصلب وبعد ساء فمعصه ينحمة بحص فيصير به مطر مهيأ وحصوص داغشي بالمور وما كان قصير خندق لا مطر وحرف اعماء وساء فيه يطول أمده كما أن فيه اعناء بصاعه احرف وهي أوب تصنع من اعصى للأكل وشرب وطبخ وحمل الماء وحرب سرت وهم احتفاء بدعة الجلود وصنع الأحذية وبرادح الدواب اما الثياب الصوفية وخريز به ومروحة بها فلهم في سحج سرة مرسية ويتقنون في صناعتها تقارب فلا تجد في لمصوغات اليدوية لها مثيلا ويتعدى الناس في فنانيتهم في صنعة النسيج في ذلك كما أن في لسان الأحرار حنيتها المعامل الأوروبية فلأزال اقليمى آخر ثروته من اعوانه لاقليمه القريبة لهم اعناء باقتنائها ويتعالون في أثرها أم صاغة طلب من الطريقة القديمة المبينة على التحرة لشدة شدة في سلسكوبه أو يقتسمون من كتب الطب والحكمة ما قد واصل فهمه كذكاء دودة لدة المتخمة ومفردات من البيطار وكتاب برحمة في طب الحكمة وتسهيل اماع وكور نصحة وغيا ذلك اما احارح حان كسهم فمهم في طرق عجيبة في علاج الأوب وحده اشبه بتقارب اخلف عن سلف وعن خصوص كسهم فب حده سبط حد ندمه ديمدما كسهم يعصو يعمدون الى تحصيل أعواد مستقيمة واعطاء يكون من غصن وخبرون لعصو على حسب حالته قطعة ثم يضعون عليه قصدا صوف يخطونه ويلفون عليه حرفة ويصلونها بياض بيض الحارح ثم يديون تلك لأعواد على كامل لعصو ويربطون عدد يحيط به بعد بعود لآخر وهكذا إلى أن يتم دوران تلك لأعواد على العصو من الخنتين العليا والسفلى ويبقى معتدلا ممددا على مفصل حالته طبيعته فلا يلبث أن يزيد من أسبوع حتى يلتحم العضو كحالته الأصلية.

مطلب التجارة ببلاد الجريد

كسب بحجارة مهد ينصر سوق بفق في لسين الفرضه مع بلاد السودان ودو حل الصحراء حيث تتجه نحو قسهم جميعا يصنع يستعملون به صنائع تلك اجهات كنس ولرباد وریش لعدم والخلود اندووعه ولرقيق وعبر ذلك ثم يسفل إلى داخل قصر سوسي وخصه احارح في بحون فيها لأرباح لفائدة وهذه الحركة خاصة بفرادهم دراية وحده ستنوع في دو حل سودان مع حرية وقدم صغوبه تلك المقاور عنة مدي وكثرة رماله ووعرة مسكها وهذه لأسباب كالأشعث هذه الحركة مختص بمن هم معرفه بعض أهالي تلك الاحاء ولذلك فالأرباح امكون من هذه الحركة وبرة حد فيها من امخاطر اما بحجارة لعدم فها متداه بين أهالي للبلاد عنهم من سكن القصر فيحلون إلى البلاد صوف وخريز والمصوغات تنووسة ويقبلون المسوحات صوفيه وحاربه ومركبة منها والجنود صانع للبلاد من تمر وريت الزيتون وغيرهما وقد كان لأهالي هذه البلاد قبل الاحتلال الفرنسي ترتيب في نقل الصنائع وحطب سبب فده من طريق فيجمعون عددا وفرا من أرباب لاس مسلحين ويتقلدون هم سلاحهم بعد ان يهينوا ما خصصوه من الصنائع ويكتفون تلك لاس بكراء له بل ويتجهون للسفر مالمقطر خريز و لملقطر التوسعي فيبيعون ما حموه بآثار مرمقة ويستبدون بآثاره صانع خريز من امصوغات التوسعية او الأوروبية او المتاح احارحية ويرجعون بها للبلادهم فيصوبها براح مهمة بقدر بحيث لا تتحارح في بلاد حربه وان كان دورها فملا كلفة الأرض وتعرى موصلات لكن الأرباح كثيرة بالنظر لتو نقص شكوة منها سبب فقة مبرحم وولاسيرة احكام الاستبدادية التي منها استترف الأموال بوسائل الصعط لكن لسكان احارح ثروة عصمي ما في هذه سبب الأحرار في بحارة تحصد من آخواد وحتطت طرفها سبب تكثر الأيدي عليها مع احصل حاصيها احديثة وذلك ان المقول التي كانت تتجه إلى بلاد السودان ودو حل الصحراء انقطع أثرها بامرة لأسباب كثيرة منها احتلال بعض الدول الأوروبية للمراكز التجارية بدو داخل السودان وتسهيله من قبل السفن فاستمعوا عن غيرهم وثرو الاحتصاص بالأرباح من أن يشاركنهم فيها غيرهم وأحدثت المواصلات تنافس مع بلاد السودان في نقص الأرباح على عتادوه ومنها بطلان بحارة الرقيق ومنها ربط مواصلات بلاد السودان بالقطر المصري فصارت تجارتهم مرتبطة معه صرد وعكس

فللهذه لأسباب مع مخاطرة انقضت رأيت، اما التجارة العامة المتبدلة مع القطر التونسي والقطر الجزائري فقد اعترها فتور لأسباب كثيرة
 تحسب تشتت النجار باحالة العديمة وحيلهم بطم لتحارة احديشة التي من أهم فروعها ضبط الصادرات والواردات يوميا من مكاتب
 وفيه تم وصانع بدفتر مخصوصة معدة لذلك وتحرير حسابات تحريرا مدققا تنوار يحها التي يعرفون عنها بعدم مسك الدفاتر ولا يخفى ان الجهل
 هذا الأساس مقوض فيكل التحارة ففي هذا الدور انقلت هيئة التحارة وغيرها من بقية الحركات الاقتصادية من دور الانحطاط الى دور
 زرفى وذلك أن حاة التحارة في القديم بسيطة جدا حيث ان التاجر يحضر بصاعته مرة في السنة مثلا يستعد لها بجميع ما يحتاجه ويتخذ أهبة
 سفر وعند انتهاء سفره ورجوعه لمحل قامته يعمل حسابه وينهى أعماله وقد حصل على ربح حريز ثم يتجهز لحركة أخرى من جديد لأن
 حركة نصينة وسريع وفربسب قلة المرحم واما التحارة العصرية فهي معايرة للتجارة القديمة اذ بوجود وسائل النقل وربط المواصلات
 وسرعة المخابرات بواسطة البريد ولأسلاك الكهربائية واحوالا لمالية سهلة التهاوت على الدخول في هذا المعترك من غير استعداد اذ
 التحارة العصرية وان كانت قليلة الريح بالنظر لليلة الواحدة ولكن ينمو الريح بدورن المتاحر وتداول الحركات مع الصبب بكيفية منظمة
 وانبى بامتن نظامهم من الأهيين ومن أسباب انحطاط لتجارة أيضا اقبال أهالي القطر على المصنوعات الأجنبية والأعرص عن
 مصنوعات بلادهم ودهلو عما يشأ عن ذلك من هجوم جيش العلاقة عليهم اذ هذا السبب تحط قيم للبضائع الأهلية أولا لقلة الرأب
 فيها وثاني لتطور عمر ثم أرباب المصانع لكساد سوق صناعاتهم واعظم من الكل افراخ ثروة البلاد في صاديق أرباب المعامل الأجنبية لأنهم
 يشترون المواد الأولية بأثمان رهيبة ثم يردونها هم مصنوعات مزخرفة بألوان مختلفة فيبيعونها لهم بأثمان مرتفعة اذ ربما يشترونها عشرة
 أصعاف وورد الصين بلة اندفاع الناس مع تيار المخترعات والتائق في المآكل والملابس والمراكب والملاهي ومجاراة من لا قدرة لهم على مجاراتهم
 سبب احتكاك العناصر المتولدة منها التقليد الأعنى من غير أن يكون في التقليد ما ينفع في حركاتهم الاقتصادية وان كان الجهل يعلم الاقتصاد
 داء مرمى في شرايين جميع العنصر الاسلامي اذ لم يكن فيه كتب مؤلفة عندهم يحذون حذوها سوى ما يلتقطونه من كتب للافرنج بالصدفة
 وحيث ان علم لاقتصاد من أهم أسباب حياة البوعية لرم أن لهم بأموذج منه حتى لا يخلو كئسلدا من فناء.

اعلم ان علم الاقتصاد ينقسم الى قسمين الاقتصاد السياسي والاقتصاد العائلي فالأول علم يبحث عن إيجاد الثروة الاجتماعية ووجوه
 نصريتها وسنهلكها بكيفية معتدلة فهو علم اجتماعي لا شخصي وليس المراد من إيجاد الثروة هي ان يصبح الناس أغنياء بل المراد البحث عن
 مافيع عامة ليهياة الاجتماعية والثاني علم يبحث عن الثروة البتية والتصرف فيها على نسة إيجادها ويسمونه ايضا الاقتصاد العائلي وانه
 سمي لأول الاقتصاد السياسي لأن للدين يسعون في إيجاد الثروة العامة طائفة تلقى اليها الأمة مقاليد سياستها تحت رئاسة فرد منها يتقدم
 يستقر عليه رأيا مفودة بقاوي او وصعي تخصص لها قسطا من تنوع أعمالها تدفعه للحريئة لعامة ويكون صرفه على يد ثقات من
 صعيين في مصالح المشتركة ومن حملتها نهاية أساس الثروة العامة تسهيل مايجها واستساضا يتابعها بنشر لواء الأمن وبسط العدل بين
 لأهالي برودع اليد الحكمة عن التحارب والتساهل في الحقوق ليتمكن التصرف في تنوع أعمالهم بكامل الحرية على مقتضى القانون مع تسهيل
 المواصلات واستخراج المياه وجمع المتفرق منها وتوزيعها على نسة عدالة واستنهاض المهمة لاهياء الصنائع باحداث المكاتب حتى لا يضطر
 لوطييون محبت ما يفتججونه من الحارح او يبحرون وطهم لطلب معيشة وكان الأولون يهتمون بأمر الثروة العامة ويحرصون على وجوه
 مستترها وتوزيعها ولكنه كلام كان لا يخرج عن حد الصنائع المستمدة من محض الفكر غير اتية على ترتيب عملي كما هو الحال اليوم انها
 كانت تلقي على مسامع الأفر د بعض رشادات نهض هم من دور الانحطاط الى الدور الذي هو أرفى منه باللسة الى وسائل الاسترزق ولم
 يعني مسمون تشويهه في علم مخصوص بل يدرحون مسائله في احشاء مؤلفاتهم العلمية كما فعل بن حلدون فإنه ذكر من هذا العلم طرفا
 مسدس مقتضى الحذل فلو حرد وحل تحليلا وقتي ملانها لدحالة احاصرة بجاء نأليها حافلا كافلا بسعادة السوع.

مطلب في مبدي شعور النوع البشري بكيفية الاقتصاد

كان الانسان في أول أطواره مفتعلا بما تدفعه طبيعة في تقويوه أوده وحفظ حياته مما ساقته له الصدفة من نبات الأرض وأعشابها يقتات به
 وشعبي نوراق اشجر عادية انقر والحروبها في طبيعة الشر من حب الاستيثار بالمنافع ومداغة من يأس من نفسه الاقتدار عن دفعه وقد شعر
 من نفسه ضرورة قتصاص الحيوانات فوحه فكره لذلك و هتم باحتراع آلة حادة يتحذها من الحجر ويركبها على طرف عصا يصرب
 احيوات تني يريد صيدها او التي تحارب ان تعدو عليه ويدفع بها من يقدر على دفعه من أبناء جسده وشعرب حاجته الى مأوى يؤويه فالتخذ
 كوخا من شجر يؤوي اليها عند الحاجة وحيث ان الحقوق المدنية تابعة في شؤونها للانتقالات الاجتماعية كان اول ما شعر به الانسان في هذا
 الدور الانتقلي ان ينضم الى افراد من امثاله في صعيد واحد يتحدون على المعيشة فه ويمرحون كل يوم في مباحية ثم يصطادون ثم يعود كل
 منهم الى كوخه ليسكن فيه فحدث في هذا الدور أن كل طائفة من الناس اتحدت لها مكانا تأوي اليه وجعلت ما حوله مسرا لها لتصطاد

[illegible]

تلك أكثر من كتابته المعتادة عد عليه بالصدر وربما قتله وأما بالنظر فتعدد ما فهو دائر بين حاجاته ورغباته في مثل الحلقة المغرقة فهي لا تنهي حتى تنديء فهو لا يكذب يصل لمرعته حتى تحره حاجة جديدة ثم إن الحاحات الانسانية لا يحلوا امرها ما أن تكون في حيز العدم فتقضي بها من العمر ما ويررهر ترقى لاسان في الشعور أو يكون اموجود منها حاجات سافلة فتنتج منها حاجات من حسنها غير أنها أرقى منها وأكثر نفع في سبب فتلاشى تلك حاجات السفلة وتغتمق اراقية فترقى في المدينة يقضي ربيع الاحتياحات السفلة في الأمة واحلال حاجات أرقى منها فكذلك في سببها وقد اقتضت حكمة الالهية ان يودع ساري جل وعلا في نوع انساني عقلا يفكر به ويتدبره صاحبه فيبحث ان لا ينجس وقت من أوقاته ولا يقص من أنفاسه عن فكر أو عمل فيها صلح معشاه أو معدة لألا يذهب عمره سدى فإن الانفاس محسوبة عليه .

ليس الحياة بأنفس ترددها أن الحياة هي الفكر والعمل

هذه الحكمة كانت شريعتنا المظهرة لجميع تناول المسكرات حتى نتحق الانسان بأمره الحياتي العجم ويحرم من آفة الفكر والتدبير.

واهمجسور الخميرة ان كنت فتى
كيف في جنون من عقل

[illegible]

فكر لعوام يفرعون اليهم عند الموائب فكانوا هذه الأسباب يستزفون أموالهم في مقابلة ما يوهومهم به من قصاص مطالبهم وهو ما أشار له سبحانه وتعالى منتقد أفعال هؤلاء الدحاليين ومعرضاً بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم كي لا يسلكوا مسلكهم بقوله حل وعلا **فبين** أيها الدين أموال كثير من الاحبار والرهبن ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والدين يكتزون الذهب والفضة **فبين** شتمت هذه الآية الكريمة على الجواهر الميسة والحكم البليغة والادب العالية التي هي روح عدم الاقتصاد وحلاصة تهذيب الأخلاق قد جاءت باستندير عني من لم يحافظ على ماله فيسخره للمحتالين ويبدله لهم من غير مقابل بل لمجرد محادثتهم لمصطد بقوهم نه لا سبيل للفرور بمرصات لله إلا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الأموال في طلب مرصاتهم والعوام كانوا يغترون بدلت فيبهم رب تقدس شأنه بأن دلت من أكل أموال الناس بالباطل وكذلك جاءت في معرض التوبيخ والتقريع لأولئك المحتالين الذين تحذو هذه الطريقة السخيفة وسيلة لا احتطاف أموال الغير ولم يسعوا في الارتراق من وجوهه التلطيفية فإلله تعالى قرعهم على سلوك هذه لطريقة المعوجة حيث يطهرون نارة بمظهر التجبر والامتيار على بقية الخس ليظهروا بمظهر يلفت هم الأنظار وأونة يتظاهرون بالرهدي في ليدوا ولا قدر على الأحرار ويلقبون لخطب الرنة على مسامع السود الأعظم لاستدراهم أموالهم فيوهومهم أن ما يبدلونه هم أني يفتقونه فيما يرصي لله فهدى التوبيخ الشديد هتكت سرارهم واكتشفت أعوارهم فلم يبق لذي عقل سليم أن يسخر لأمشاهم فهذه أقصى درجات التأديب والتعذيب وقوله أن كثير إشارة إلى أنه لا يجوز الكون من أفراد تجردوا للعبادة وارشاد الأمم إلى مصالحهم في معاشهم ومعددهم وقوله ليأكلوا أموال الناس عدل على التعبير بالأحد إلى التعبير بالأكل تبيينها على شدة حرصهم على احتطاف ما في يد غيرهم بكل وسيلة كحرص الممهم الذي دعه احوج وشدة الاضطراب إلى طلب الأكل فإن الجوع يدعو صاحبه إلى التهرب من **فبين** ولو أدى إلى ارتكاب المعرة فهو مدفوع بطبعه إلى تحصيل قوته وقوله بالباطل ذهب بعض المفسرين إلى أن الاحبار والرهبن من اليهود والنصارى يأخذون الرشوي لتخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وذهب بعضهم إلى أنهم كانوا يدعون عبد العوام به لا سبيل للمور بمرصات الله الا بخدمتهم وبذل الأموال في طلب مرصاتهم ولعوام كانوا يغترون لذلك سبباً وهم يكسوها سعة ديبية ولا شك أن الناس معطوروون على لا يقبل لما جاءهم من قبل الدين بهذه الأبطال والخرعلات تسخرهم العامة ويحملونهم على أن يبدلوا أموالهم وأنفسهم في خدمتهم فهذا هو الباطل الذي يأكلون به أموال الناس قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وتقريره لهذا الوجه «وهذه الأمور بأسرها حاصرة في زماننا وهو الطريق لأكثر الجهل والحمقى» ثم قال : «ولعمري من تأمل في أحوال أهل زماننا وحده هذه الآيات كأنها برئت إلا في شأنهم وفي شرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعنق خاطره بجميع المخلوقات وأنه في نهاية العصمة والطهارة حتى إذا ال أمره إلى الرغبة لواحد تراه يتهاثل عليه ويتحمل نهاية الدن والدناءة في تحصيله». وهذا التدحيل السخيف إنما يشأ عن أمراض أخلاقية منها دساءة لنفس ومنها جهل بالأسان بها يجب له وعليه والجهل يشأ عنه الخروج عن الحدة العمرية للهيئة الاجتماعية من طرق التكسب الطبيعية لا يخرج عن أربعة رراعة وصاعة ونجارة وإمارة وهو لم يسلك طريق من هذه الطرق الأربعة ودساءة لنفس دهورته إلى سلوك طريقة مسحطة حتى عن درجة المعصاوات من هذه قسيان قسم الوحوش وقسم لمتأسفة فالأولى تسعى وراء طلب عدانها وغذاء صغارها بكدهم والثانية تحصل على عدانها في مقاساة تسخرها فهي تأخذ أجراً على عمل وهؤلاء الدحالة يمتصون دماء الأمة بدون عاء ولا عوض وقوله «ويصدون عن سبيل الله» يعني يقفون بالمرصاد لمن يحاول سلوك السبيل الموصل إلى أمر الله به ويوهمون الناس أن ما هم عليه هو الحق الذي لا مربة فيه ومن خالفهم فقد ضل سواء اسبيل وحيث أن مطلوب خلق في الدنيا هو المال والحاء فاتخذ هؤلاء الخبيثة هذين الوسيلتين أحدهما تزويق مدعيتهم لأكل أموال الناس والثانية صد الناس عن الحق ليقع الاقبال عليهم والتعلق بأديانهم وهو غاية مطلوبهم وقد فصحه الله وقوله «والذين يكتزون الذهب والفضة» أصل الكثر في كلام العرب لجمع وكل شيء جمع بعضه لبعض فهو مكثور بقل جسم مكثرت الأحرار إذا كان مجتمع بعضه للبعض واعلم أن الله شديد في الوعيد وبالغ في التهديد لمن جمع هذين المعدين وحبسهما عما اتحد لأجله فقد تقرر عند علماء الاقتصاد أن المال جسم ولعمل روحه فمن جس المال فقد أمته وأبقاه جساً بلا روح ومن المعلوم أن الذهب والفضة لا منفعة في أعينهم بل هم وسلطة تطيب نفس كل من وقعت يده على شيء سوجه من وجوه التملك ودعت الضرورة للانتفاع به فإذا جمعت هذه الوسطة وحسنت تعطلت منفعتها واحتل النظام العمراني هذا ما يتعلق بحالتيها المادية وأما ما يتعلق بها من جهة الدين فقد أشار له بقوله تعالى «ولا يفتقون في سبيل الله فشرهم بعداب أليم يوم يحيي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرتم لأنتسكم مدفوق ما كنتم تكبرون». لا شك أن الله حقوق على العبد في ماله فصمها تركها ومنها الكفارات عند حصول موجبها ومنها نفقة الحاح وما يجب من الدين والافاق على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأرشاحيات فهذه الأقسام كلها داخلة فيما أوجبه الله من الحقوق في المال فمن كثره ولم ينفق منه في هذ السبيل الذي أمر الله بالانفاق فيه تدره هذ الوعيد المعلط وبعد أن وصف الله رؤساء اليهود والنصارى بأكل أموال الناس بالباطل واخرص على استدراهم بوسائل المكر والاحتيل أردف ذلك بوعيد كل من امتنع من اخراجها حقوق من ماله تبيينها على أنه لا كان

حال من أمسك من نفسه بالباطل كذلك فما طلك بحال من سعى في اخذ مال غيره باخذاع والمكر ومعه من الانتفاع به ثم ان الله تعالى ذكر شيئين وهم الذهب والفضة ثم اخبر الصمير في قوله : «ولا يتفقوها في سبيل الله» ستمى بذكر احدهما عن لآخر كقوله : «وإدارأوا نخرة» وهو انقصوا إيهي وقوله : «ومن يكسب حظينه وإيها» ثم يرمي به بريئا فجعل الصمير للتحجارة والاثم ستغناء بها ولما كانت عاية مضطرب لاسرار وقصارى ماء ان ما يقتنيه من المكسب وما بدخره من المقتنيات انما أعده لضر ورياته الحيوية وما تهواه النفس وتلتزم به احواس ولا شك ان أقوى حواس التي يتوصل بها لذلك حساسة الدوق وبدا مخاطب ربها حل شأنه «الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يتفقوها في أمر الله» متبعين بقوله «دوقو ما كنتم يكتزون» فهذا العبد الأليم هو عاقبه ما كثر غوه فدل أن تلتذوا به في ضرورياتكم معيشية وشهواتكم انفسية كتب عافته حر فكم صار جهنم في جباهكم وحبوبكم وطهوركم أعداد الله فيها رسله المحتسب وحبه المترقضى.

مطلب اللغة ببلاد الجريد

ما كتب أعنت سكان هذا القطر من العرب الداحين على عهد المنصور في واسط لقرن خامس هجري وما بقي من الأهل في الأندلس من بربر ورومان واندلس اندحور في العصر العباسي كم سعت الإشارة إليه لغة وعقيدة كهي شأن في تدحل العاصم وأكد ذلك ما فنصته أصول ديني لاسلامي من تسمي حسية القدسية واعتبار الملحمة الدينية هي السبب الحقيقي لأن انفسنا اجمع بالمصدرة و يظهر بعض ادخال بعض كليات في حشاه عتبه لأصله وتغير حركات الأعراب اباباداه سكوت صل حقة نطق في محال شحط أو انفساء به حصل به غيهم انقصود لموضع ومن حسن حظ البلاغة التي اقتضت لراكب العربية من تقديم المسند او تأخيرها وتغير بحسبه لاسمه ونعمته وتكدر احكم راحة في مودعات وحيوه منها هي موجودة في لغة أهل هذا القطر من غير اعتبار هذه التغيرات الداعية في الكلام مصدرة مقتضى حال مع فصاحته وما ادخل كمالا في التفتري «لأمر الداعي الى التكميم وحده مخصوص يعنى أن الذي يفتي مع الكلام الذي يؤدي به معنى خصوصية ما هو مقتضى الحال» يعنى ان ذلك خصوصية فتضاء حال مثلا كون لمحطت مداحكم حال يقتضى التأكيد ومعنى مطابقة ما ان ادخل ان اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدا وإن يقتضى الإطلاق كان كلاما عذري عن البعد فذلك حذف مسدابه وذكره في غير ذلك من الإيجاز والإطناب والتأخير والعصر وكذلك حذف الدكس لظن مع حطاب يعنى ان مقدم لأول بيت مقدم الذي يفتي بآسسه من الاعتبارات المنطقية ومعنى لا يفتي ما لا يثبت معنى واعتبار فبد فصاحة لا يدر منه بكم كلام عذري تحت دحرج كرات ملحمة في الكلام العربي لا تحرجه عن كنهه بل عاب كمالا حقيقه الشيخ عبد القادر وغيره ما فحرج غيهم بآسسه انقصاحه في منكم منك صدر به عن التغير عن المقصود فقط فصيح في حقيق لائق سهل سؤل والمهم في العرب منك في سبب لغته من معاني حدها وقصدها بحسب مد منك ونقصدها ليس ذلك بالخصم ان انفرادات بل بالظن ندر كيب ودا حصص مكددة شدة في ما كتب الاصل مددة للتغير بها عن معاني المقصودة ومر عة سالف الذي يفتي الكلام عن مقتضى حال مع منكم حسد عة من فده مقصودة لاسمع وهد هو معنى البلاغة كهي حقيقه ولي الدين اس حيدون حيث قر ومزب هذه البلاغة بسند عرب ومدهم مد معده ولا يفتي في ذلك حرفشة الحاجة القاصرة مدركهم عن التحق حيث برعمون أن البلاغة هذا عهد من فقدت بسند عربى مسد عس به وقع في أو حرك لكم من مسد لا عراب الذي سدر رسوب فبه وبه وهي مقالة سبب التشع في تصحيحهم وأنداف انقصور في فدهم ولا فحل اليوم حده كثر امس لافط اعروسة من في موضوعاتها الأولى والتغير عن المقاصد السعدون فيه بندون لآسره موحود في كلامهم هذا عهد ونسب لسان من اسلم وشر موجودة في مخاطبتهم وفيهم احطيت مصفع في تحديدهم ومدهم معده شاعى متعلق على سبب معيهم والله في التصحيح رطع السليم شاعى ذلك (هـ) نعم ان لغة مص التي بر بها فخر ودرجات بها نسبة هي في أعلى صفات البلاغة ان المعاني المقصودة تأديتها قد وصغر ما ففط نذل عدي تريب حاصه بها بقي ما يقتضيه لأحوال من حصص صبت لتي بكتنته موحج بعتبر تلك لأحوال في نذبة المعنى مع حصائصه وتلك لأحوال في الاسس لأخرى ما يسدل عدي بالخط خصي مسد وامس لسان نصر بيسد علفها أحوال وكيفيت في نفس تراكب اللفظ وتآلفها من بسده وأخره حذف وحركة عراب قد يسدل علفه بحرف وتفتوت طففات الكلام في لسان مصر بحسب تفاوت دلالة على ذلك تكيفت وهد كان هذ لسان أوحروا قر أظط في تركه حصصه وهد معنى فوس لسي صلى الله عليه وسلم أهدت حوامع كنهه وحققه في الكلام حصص ته بركب كلام ترتفع وتسحط درجات بلاغة بحسب مكدات احصيلة للمتكلم فهي في حديث سوي على وقع سرب من كلام فصيح لعرب ولغائيه وفي فقر العظيمة معجر كل مخلوق أرقى وأعظم من كل فاما حدث فمدد بآسره موح لاسلام لم نقص عيص في لتعريف بها حصصه سى صلى الله عليه وسلم بقوله وام فصاحه لسان

وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل وخصوص الذي لا يجهل سلافة قول وبراءة مرع وبحر مقطع وبصاعة لفظ وحزالة قول وصحة معنى وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وحص بدائع الحكم وعلم السة العرب يحاطب كل امة بنسبها ويجاريها ببلغتها ويساريها في منزع سلاقتها حتى كان كثيرا من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح قوله وتفسيره ثم قال وما كلامه المعتد وفصاحته المعومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد ألف ساسها الدواوين وجمعت في القاضيه ومعديها نكت ومفها ما لا يورن فصاحه وبلاغة كقوله المسلمون تنكدة دماؤهم ويسعى بذمتهم أدنهم وهم على من سواهم وقوله الدس كسند مشط وثرع مع من احب ولا حير في صحة من لا يرى لك ما ترى له ولأس معدن وما هلك امرئ عرف قدره واستشار مؤثرا وهو بحار ما لم يتكلم ورحم الله عد قال خيرا نعمنا ووسكت فسلم وقوله أسلم سلم يؤتك الله أحرك مرتين وقوله ان أحكم إلي وأقربكم مني مر لا يوم قيامة أحسكم أحلاق الموطئون أكف الدين يألقون ويؤلقون في غير ذلك من جوامع الكلم التي سحر الأنساب واتحد بمجامع غلوت وأما العرب لعظيم فصاحتها من قبيل الاعجاز ويقصر اللسان عن الاطبات فيها والاعجاز أنه أعجز فصحاء العرب عن أن يجاروه وأفصح مدعنيهم عن أن يباروه فططوا وأروؤسهم خاضعين لأوامره وبواهبه مقادير لموعظه ورواجره منظرين بشاراته ونداراته حيث عمو عمو النبي أنه معجزة عدى محمد صلى الله عليه وسلم دى على عموم رسالته وهو كان من عند غير الله لوجوده فيه احتلافا كثيرا ألا ترى أن العرب كانت هم يوم مشهورة وأسواق معلومة ومواقب ماثورة يافى شعراءهم معصم بعض وكسايتفسون على لفصاحة والساعة وحضنه ولندافة ويتبحرون بذلك ويتفرون ويتفرون بينهم وكان أكمل حالاتهم في السلاعة ما يتولى عليه لشعر من الالفاظ لاسعة وشبهات برقيقة والمعاني المدققة اذ شعر مشتق من الشعور وهو نأث. وحار. حيس السامع عند سماعه ما يتلى عليه فتصرف في لطائف شرية حسنا يقتضيه المقام فيقلب الخلل كرمما والحب شحاعة. معص حيا ويقال في الشعر اللبيع يسحر الاسباب اي يجلب العقوب حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفصيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد حيرتها من الشعر القديم فكتبتها بء لذهب في القضاطي المدرجة وعنفها في ستر الكعبه فمنها معلقة امرئ القيس ويقال امده أنص ومدهة رهير والمعلقت سبع فمنها لامرئ القيس قد سلك من ذكرى حبيب ومرو. ومنها لرهير من ام أوفى وفي دمه لم تكلم. ومنها لصفرة لحونه اطلال بركة شهد. نوح كافي لوشم في طهر ابيد. ومنها للبيد من ربيعة العامري عفت الديار محلها بمقامها مسمى تاد قولها. ومنها عمرو بن كلثوم. لا هي بصحبت فاصحها ولا نبقي حور لاسديب. ومنها عنت بن شداد. هن غادر الشعراء من متردم أم قد عرفت اسراج بعد توهم. ومنها للحمرث ابن حابر. اذ تناسيسه اسماء ربنا وجعل من لثوء وببرعم عن طلاوة الظم واعتدال مواريه وأعريضه ووقوعه وقوع المؤثر من العوس فأنه لما رل لقرن وتبنت على العرب يابيه سقط عتار الشعر في انظر بالسلة لسلاعة القراء وحسن سبكه وحودة نظمه واشتبهه عن الكاب العربية وبلغت لعجبة موفوا مدهشين وأحجموا متحيرين وعلموا انه ليس من مقدور البشر ولم يكن من مألوف كلامهم أنه على طوله وتبش موصيه بين أمر ومهي وترهيب وترعيب وتكيت وتبكيت لم يقع منه لؤلؤة من تبحر بلاعته ولا حمره من حي فصاحته ومع اتفاق فربان لسلاعة على عدو شل المعبدت السع التي انعقد الاحتجاج على تعصبيه من أهل المقد قد يريون تركيبه ويعيون أساليبها ويظهرون من قد تحها ما يمح السمع وينفره اطلع فقد اتفقوا على أفصلية معلقة امرئ القيس على غيرها من المعلقات اذ لا برتاب أحد في جودة نظمها وتقدم صاحبها في البراعة والفساحة والابداع في طرق شعر من ذكر الديار والوقوف عليها اى ما يتصل بذلك من الديق الذي ادعاه التشبيه لدى حذارة والتلميح الذي يوحد في شعره والتصرف الكثير الذي تصدده في قوله والموجوه التي يقسم لها كلامه من دفة سلاسة وعلو ومتانة وأسباب تحير وأمرور تؤثر وتمدح وترى لأداء لا يورسون شعره فلان وفلا ما وذا كن كلامهم من جس كلامهم امكهم تتبع عثرته موقوفو على معائه وسقطته بحلاف نظم لقرآن فهو جس مبر وأسوب متحصص وفيل عن نظير متلخص فلا سليل اى ان يشق عذره لا ان تنفع أثره فإذا أردت أن تعرف عظم شأن هذا القرآن العظيم فتأمل ما وحده أهل القمد من المعايير في أحواد الشعر وما عثرو عليه من الصفات ونظر إلى قصيده من الشعراء المشهورة التي مطلعها قد سلك من ذكرى حبيب ومرو. بسط اللواء بين الدحول فحول فتوصح فتمت لم يعف رسمها سحها من جنوب وشمال قال الإمام أبو بكر الباقلي في كتابه اعجاز القرآن ان الذين يتعصبون لامرئ القيس ويسبونه محاسن لشعر يقولون هذا من السديع لأنه وقف واستوقف وبكى واستكى وذكر العهد والمرل والخبب وتوجع واستوجع كل ذلك في بيت واحد وهو ذلك وانما قلنا هذا مثلا يقع ثذاهب عن مواقع لمحاسن ان كانت أو عفت عن مواضع البصاعة ووجدت تأمل ارشدك الله واطر هذك الله انه ليس في البيت شي قد سبق في ميدانه شاعر. ولا نقد به صابعا ومع ذلك فنى لفظه ومعناه حيل فلوب دى به استوقف من بهكي لذكر الحبيب وذكره لا يقتضي بكاء اخي وامى بصح طلب الاسعاد في مثل هذا على أن بهكي لبيكائه ويرق صديقه في شدة رحائه فأما ان بهكي على حبيب صديقه وعشيق رقيقة فأمر محب فإن كان وقوفه وبكاؤه ابصا على انه عاشق صح الكلام وقد المعنى من وجه اخر لأنه من السحف على ان لا يعار على حسيه وان يدعو غيره إلى التعارل فيه ثم ان في البيت ما لا فائدة فيه من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الأماكن

من ندحون وحومل وتوضح والحقرات وسقط اللوء وكان يكفيه في التعريف بعض ذلك وهذا التطويل إذ لم يكن مفيداً فهو ضرب من لعب ثم إن قوله لم يعف رسمها ذكر الالغنى من محاسنه إن بق فتحن نحزن عى مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا سبب يكون من مساويه إن لأنه كان صدق النود فلا يزيد عفا الرسوم إلا جده عهد وشدة وجد وانما فرع له الاصمعي ما إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه فيقال إن فائدة لأن يعرف أنه لم يعف رسم مبار، الأحة وأي معنى لهذا الحشو فذكر ما يمكن أن يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره له من الحل ثم في هذه الكلمة حلل آخر لأنه عفا البيت بأن قال مهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبيدة انه رجع فاكذب نفسه كما قل زهير عفا سدير لتي لم يعفها القدم نعم وغيرها الأرواح والديم وقال غيره أريد بالبيت الأول انه لم ينظمس أثره كله وبإثبات انه ذهب بعضه حتى لا ينقص الكلام وليس في هذا انتصار لأن معنى عفا ودرس واحد فإذا قل لم يعف رسمها ثم قال عفا فهو تنقص لا محالة واعتدار أبي عبيدة أقرب لموضح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو إلى حلل أقرب وقوله لما مسحتها كان الأقرب أن يقول لما مسح بالندك، ولكنه تسف فجعل ما في تأويل التائيد لأنها في معنى المريح والأوى للتذكير دون التائيد وضرورة الشعر قد حمته على هذا التسف وقوله لم يعف رسمها كان الأولى أن يقول لم يعف رسمه لأنه ذكر المنزل فإن كان أراد بذلك المقام والأماكن التي المنزل واقع منها فذلك حلل لأنه يريد وصفه الذي نزله حيه بعنانه أو بأنه لم يعف دون ما حاوره وإن أراد المنزل الدار حتى أثبت فذلك ايضاً حلل وقد أطل في هذا الموضوع بذكر من القصيدة ما يزيد على عشرين بيتاً كل بيت بين فيه ما اشتمل عليه من المعانيب وأوضح ما فيه من السقطات لتي لا يحسن منها كلام البشر إلى أن قال فاما نبح القرآن ونظمه وتثيمه فإن العقول تبه في جهته وتحار في سحره وتصل في وصفه واسترسل في لاطب والتبويه بقدر ما وصلت اليه مقدرته فقال سبحانه الله تعالى جل ذكره حكيماً عظيماً ومحيداً وقال لا يأتيه الباطل من يده ولا من خلفه نزل من حكيم محيد وقال لو أنزل هذا القرآن على رجل لرائيه حاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال تضرها للناس لعلهم يتفكرون . وقال تعالى ولو أن قرأنا سيرت به الحبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً فحذف جواب لوضوحه وحواله لكن هذا القرآن ولأن الحذف أبلغ من الذكر حيث أن النفس تذهب كل مذهب وقوله فن لئس جتمعت الانس والجن على أن يأتوا مثل هذا غرار لا يأتون مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولو لم يكن من عظم شأنه إلا أنه طوى لأرض قدره وحلل الافاق ضياؤه وفقد في العالم حكمه وفل في الدنيا رسمه وطمس طلام لكفر بعد أن كان مضروب الرواق مسوط الدع مرفوع العماد ليس على الأرض من يعرف لله حق معرفته ويعبده حتى عبادته وبدن بعظمته وحلاله وبتفكر في حكمته وكان كافياً في الدلالة على احرازه فهو كما وصفه الله من أنه نور فذل وكذلك أوحيا إليك روحاً من أمر به كست تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا هدي به نشاء من عبداً وانك لتتهدي إلى صراط مستقيم فانظر إلى شريف هذا النظم وبديع هذا النظم وعظم هذا الوصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع - فقله وكذلك أوحيا إليك روحاً من أمرنا يدل على صدوره من الربوبية ويبين عن وروده عن الألوهية وهذه الكلمة بحدها وأحوالها كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير لسميرت عن جميعه وكانت واسطة عقدة وفاتحة نصرة وعرة شهرة وعين دهره وكذلك قوله ولكن جعلناه نورا هدي به من نشاء من عبداً فجعله روحاً لأنه يحيى ضياء الشمس في الافاق ثم أضاف وقوع الهداية به إلى مشيئته ووقف وقوع الاسترشاد به على إرادته ويبين انه لم يكن ليتهدي إليه لولا توقيفه ولم يكن ليعلم ما في الكتاب ولا الايمان لو لا تعليمه وانه لم يكن ليتهدي كيف يهدي لولا فقد صار هدي ولم يكن من قبل ذلك ليتهدي فقال وانك لتتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله نصير الأمور فقله في هذه الكلمات الثلاث فالكلمات الأولى والثاني مؤنسد وقوله ألا إلى الله نصير الأمور كلمة مفصلة مبدية للأولى قد صيرها شريف النظم أشد اثلاًفاً من الكلام المؤلف ولطف انتظاماً من حديث الملائكة وهذا يتبين فصل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته لأمر واضح وحملته والحال بين من يحتاج إلى كشف وتأمل قوله - فائق لأصح وحال على سبيل سكا، والشمس والقمر حساسا، ذلك تقدير العزيز العليم، انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي اللف بينهما وحيث به على صهور قدرته وفاد أمره ليس كل كلمة في نفسها غرة وبمفردها درة وهو مع ذلك بين انه صادر عن علو الأمر ونفاد القهر ويتجلى في سعة قدرة ويتجلى بحالصة العبرة ويجمع السلاسة إلى داته والسلامة إلى المثانة والرونق الصافي إلى البهاء الصافي ولست أقول انه شمل الصق الملبح ولا الحز المطيف والتعديل والتمشيد والتقريب والتشكيل وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينه من مراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو حطة ووجه قصيدة وقرة فاد اللفت رداوت حسا وزادت إذا تأملت معرفة وإيماناً ثم تأمل قوله «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدره مازل حتى عاد كالعرجون القديم» فتجد كل لفظة وتعلم كل كلمة تستقل بالاشتغال على نهاية السديع والبلاغة وتتضمن شرط القول البالغ فإذا كانت الآية تنظم من السديع وتتألف من البلاغة فكيف لا نفوت حد المعهود ولا نحوي شأو المؤلف وكيف لا نحوز السق ولا تتعالى على كلام الخلق .

وتنادى في ذكر بعض الآيات من القرآن التي تسحر الأبواب وتقضي بالعجب العجائب وشرح ما شتمت عليه من عرائب الاعجاز مع لطائف الايجار الى أن قال واعلم اننا لم نقصد في ما سطرنا من الآيات وسمينا من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشف والا طهر لآنا معتقد في كل سورة ذكرناها أو أصرنا عن ذكرها اعتقاد واحد في الدلالة على الاعجاز والكفاية في الالهام ولكن لم يكن بد من ذكر لبعض فذكرنا ما تيسر وقلنا في ما اتجه في الحال وخطر وان كما يعتقد أن اعجاز في بعض القرآن أظهر وفي البعض أدق وأعمص ثم انه لا يخفى على ذي ذوق سليم وطبع مستقيم ان الكلام اذا كان مشتملا على أحكام أو حكايات حال يكون قاصرا على درحة البلاغة لا يسع المتكلم تأليف الكلام بيان الحكم واعتبار ما يلائمه من القيود والألفاظ المناسبة لذلك مع مراعاة الأحوال التي يقتضيها المقام بخلاف القرآن الذي انتهت السعة وأفجم الصحاء فإن بلاغته عامة في كل ما يعبر عنه سواء كانت قصصا أو احكاما أو تهريبا أو ترعيبا أو وعدا أو وعيدا أو تقريراً أو توبيخاً أو اقامة براهين وحججاً فكل موضوع عبر عنه سحر الأبواب ببلاغته وحذب القلوب لخير الله فهو يذكر الألفاظ القليلة المتصمة للمعاني الكثيرة مع اشتغال على ما يتعلق بها من المكات لعجبية غاية الوضوح فاطر ما ذكره العلامة الإمام رحمه الله هدي في قوله تعالى ولكم في انقصاص حياة. فإن هذا القول لمقطه قليل ومعناه كثير ومع كونه بليغا فهو مشتمل على طبقة بين استغنى وعم الفصا ص واحده وعلى العربيه فجعل القتل الذي هو مفون للموت طرنا فأوون من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في هذا الباب فسم حووا الى يعر وا يقول بليغ حكم لحر السوع البشري على الفتك والحفظة على حياة النفوس فاحتدروا كلمة معبدة لذلك بليغة وحسرة وهي قوهم (فعل البعض احى للجمع) وقول بعضهم (اكثروا لقتل ليقول القتل) وقول بعضهم (انقتل اعني للقتل) وأجود الأقوال لمشولة عنهم القول الأخير ولقط القرآن ألمع من ستة أوجه، أوجها انه أحص من الكثرة لا قوله ولكم لا يدخل في هذا الباب اد لا سد من تقدير دث في لكل لأن قول القاتل قتل البعض أحى للجمع لا بد فيه من تقدير سته وكذلك في قوهم القتل أبقي القتل، وثانيها ان قوهم يقتل أنقى لقتل طهره كون الشيء سسا في انقضاء نفسه بخلاف لقط القرآن فإنه يقتضي ان سوعا من القتل وهو انقصاص سبب لوع من أنواع الحية وثالثها ان قوهم الاحود تكرير بعض القتل بخلاف لقط القرآن ورابعها ان قوهم الاحود لا يفيد العربي من فحجير انه لردع على القتل بخلاف لقط القرآن فإنه يعيد الردع عن القتل والخرح فهو سد وحامسها ان قوهم الاحود دال على المطلوب الذي هو حفظ السوع بالنع لأن قوهم القتل أنقى للقتل المطلوب فيه القتل والمنسب الذي هو تنفاء القتل نابع له بخلاف لقط القرآن فإن دد على ما هو المطلوب بالأصالة وسدسها ان لقتل طلبا ايضا فتل مع به ليس باب للقتل بخلاف القصص فطهر قوهم ناطل وام لقط القرآن فصحيح طاهرا وابط وكذلك قوه تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله فأولئك هم الفائزون.

حكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان نائما في المسجد فإذا هو يقرئ على رأسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة ابروم من جملة من يفهم الألسن من العرب وغيرها وانه سمع رجلا من الاسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ص 259 فإذا هي جامعة لكل ما أورد على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى . "ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله" وكذلك قوه تعالى "اكثروا وشرابوا ولا تسرفوا" أي لا تتعدوا الى الحرام ولا تكثروا الامايق المستفح الذي يعصي بكم الى الافلاس ولا تنسوا مقدرا يصركم في صحتكم ولا تحتجون اليه قلت وقد اشملت هذه الآية عريرة المفيدة بل الدرة السبيرة وحوهرة الفريدة مع انجازها على أدب الدب ومن احكم فقهية وقوانين صحية وعلوم عمرانية واقتصادية وحلاقية وغير ذلك مما هو داخل ضمن التحدي عن الاسراف في كل شيء هذا وقد حرى القلم بذكر بلاغة القرآن العظيم والحدب الشريف بمساسبة الكلام على اللغة العربية تيمنا عظيم قدره وتعدد بها اشملت عليه من المكات العجيبة واطهار ما لهذه الأمة من لشرف الناح والمجد الشامخ وقد ذكرنا ان لغة قطر الحريد عربية لأن سكان هذا القطر من العرب الوافدين وقد اقتضى احتكاكهم بعناصر الأحيية دخال بعض المفردات في حشء لغتهم وتعبير حركات الاعراب اما بددها لسكون طلبا لحفة النطق في مجال التخطا ط او اكتفاء بما حصل به الفهم المقصود فانصح ان قطر الجريد افصح ما سمعناه في لطق بجميع الاحرف العربية فقد ذكر العلامة الرحالة الشيخ محمد بريم في صفوة الاعتراف ان هذا القطر افصح من رأيت على العموم في النطق بجميع حروف العربية والقاف فما غير اهل الخواصر يكاف اعجمية وقد ورد بها لغة قتل بل هي اللغة الأصلية العربية اعني النطق بالقاف الذي محرجه بين القاف والكاف فسمية هذا الكاف اعجمية وهم قاف الامام ولي الدين ابن حلدون في الفصل السادس من الكتاب الأول من المقدمة في الكلام على لغة العرب لعنده وم وقع في لغة احسن العربي هذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في سطق بالقاف انهم لا يطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وما يطقون بها ايضا من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع لقاف وما بينه من احنك الأعلى كما هي هي بين فيحيثون بها متوسطة بين عاف والكاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ويحتص بهم لا يشاركهم فيها غيرهم حتى به من يريد التعريف والانتساب الى احسن والدخول فيه بماكيهم في النطق بها وعندهم انما يتميز العربي الصريح من الدجبل في عربوية

و حصرى باسطق هذه القاف ويظهر بذلك انها لغة مضر بعينها فان اهل هذا الجبل الباقيين معظمهم وراساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن عكرمة ابن حصنة بن قيس بن عيلان بن سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازي بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمورة وأعليهم من أعقاب مضر وهم وسائر الجبل منهم في النطق بهذا القاف الذي يخرج بين القاف والكاف أسوة ورهده اللغة لم يتدعها هذا الجبل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مصر الاقدمين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت ورعماؤا من قرأ في أم القرآن اهذبا الصراط المستقيم يعبر القاف التي لهذا الجبل فقد حن وأفسد صلاته ثم قال وء ادر من أين جاءهم هذا يعني بطقهم بالقاف المغربية فإن لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها وانما تداقلوها من لدن أسلافهم وكان اكثرهم من مضر لما نزلوا الامطار من الفتح واهل الجبل ايضا لم يستحدثوها الا أنهم أبعد عن مخالطة الأعاجم من اهل الأمصار فهد يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم انه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق اهل الجبل جمع شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصة التي يتميز بها العربي من فحبر فبالك ان هذا القاف الخاري على السنة اغلب هذه القارة الافريقية الذين ينطقون باللسان العربي هو أصل اللسان الحضري كما علمت .

فصل في علاقة قصص السياسية والادارية

لا حرم ان مدينة قصص حرة من بلاد الحريد وما قيل فيه يقال فيها من جهة ارتباطها بمركز الولاية غير انه بقي الكلام فيما يخصها من جهات آخر حسبها سببه بعد ولم ترل قصص تابعة في شؤونها السياسية لمركز الولاية من الفتح الاسلامي فمما أسست مدينة القيروان صارت جميع البلاد الافريقية تابعة لها سياسيا وادريا مدة دولة الأمويين وصدر من دولة العباسيين وهي تابعة لمركز الخلافة الاسلامية كذلك ولما سنون مرة لقيروان ابراهيم بن الأعلب بعهد الرشيد العباسي ودخل الرشيد في تجديد عهد الولاية مع امتياز بالمعاملات الافريقية على ان يترك له امانة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر لافريقية ويحمل ابراهيم من افريقية أربعين ألف دينار كل عام فاستشار الرشيد اوليائه فأشاروا بولايته فأولاه في جمادى الثانية سنة 184 واستقل بالامارة تقريرا وكان ابراهيم بن الأعلب احد رجالات العرب المشهورين بالشجاعة والمروءة والذكاء والشهامة وأصالة لثري وكان أديبا فقيها حافظا للقرآن عارفا بأحكامه رؤوفا بالرعية فمهد الأحوال وقمع الحرير وقطع دس الثور وكان سمع من اللبث بن سعد ولم يرل مشمرا على مساعد الحد في مقارعة الثوار ودفاع الساعيين الى ان ظهرت دولة لادرسة بالمغرب الأقصى فمهد الرشيد بالذل والرحال وأبلى فيها البلاد الحسن وله واقع مشهورة بالمغرب الأقصى مع اهل دعوة الادرسيين ترحع في محله وقيت الامارة في عقبه ومركزه لقيروان الى سنة 296 وان نزل بعض أمراء الأعالية حاضرة تونس في بعض الأحيان ثم جاءت دولة العبيديين وتفرغت منها دولة صنهاجة وصار مركز الولاية العامة مدينة المهدية الى ان جاءت دولة الموحدين سنة 555 على يد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وفتح المهدية وشردها منها لبحاري وصارت افريقية من جملة عماله ومحط رحال عماله وصمت في سلك دولته فحووا مركز الولاية الى حصاره تونس في نزل القرن السابع وصارت جميع بلاد افريقية تابعة في سياستها وادارتها لحاضرة تونس ومنها مدينة قصص وان وقع لبعض عماله استبداد بالامر كبقية بلاد الجريد عندما يتجهزون لفرصة لذلك فقد سدد بامارتها بنوا الرند من عرب بدولة صنهاجة وذلك عندما تعبد العرب الموافدون من المشرق على بلاد افريقية في دولة المعمر بن باديس وانحل عقد نظام الدولة صنهاجية ونحل المعمر من القيروان الى المهدية وكان عبد الله بن لرنند عاملا لصنهاجة على قصص واصله من حرمة بني صديغان فرع من بني مريس فمسط قصص وقطع عنها عدية الفساد وصالح العرب على الاناوة فصلحت السبل واستقام الحال ثم استبد بأمره وخلع بالمثل من عنقه ودين سنة 445 واستمر على ذلك وبايعته بقطنة وتورر والحامة وبلاد نفزاوة وسائر اعمال قسطنطينة فاستفحل امره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصد وكان معطيا لأهل العلم الى ان هلك سنة 465 هـ وتولى بعده ابنه المعتز وكتبه سو عمرو وانقاد اليه الناس وصسط الامور وحبي الاموال واصطنع الرحال وتعلب على قموده وجبلا هوازه وسائر ما يليها وحسنت سيرته الى ان فقد بصره

فصل في الكلام على مدينة قصص

ب الأصل في حدث هذه المدينة وأولية أمرها ان بعض أمراء سيطرة من الفينيقيين لما حدثته نفسه على الاستقلال على الحاكم العام قرطاجيه وحشي ان يستعين عليه بأمراء لاطراف كأمير كبة وغيره فأحدث حصنين عظيمين أحدهما جنوبي سيطرة وهو المسمى عند الرومان كابصة ثم عرب قصص وثانيها غربا وهو المسمى تبة حيث كان للحصن والحضير أهمية عظيمة بموقعه الجغرافي ومركزه الحربي وشجنتها بالرحال واخوة والدحائر الخربية ثم اتسع نطاق عمرائها وصارت لكل منها قوة عتيبة وحوود عديدة ثم ازدادت أهمية قصص وغندرها من حيث كونها طريق لأقطار لشرقية فصار لذلك على جانب عظيم من الاعتبار واستمرت قرون عديدة في النمو وتبهر العمران

الى أن سبطت دولة الرومان على دولة قرطاجنة وطحتها بكلالكلها فاستولى القائد الروماني ماريوس على قصصه وغيرها سنة 107 قبل الميلاد المسيحي ثم جدد بناؤها وصارت من اعظم المدن الرومانية قلت وبعد الفتح الاسلامي وقب سيرة تقدمهم في العمران ورب احد في التقص بسبب كثرة لفتن التي وقعت بين الفاتحين من العرب وبين أهالي البلاد من بربر ورومان وفي صدر الدولة لأغلبية تصدى عمرها إبراهيم بن الأعلب وحدث ساء حصنها العظيم وحدث بها العملة والصناع من الذين بنوا جامع القيروان وأحد في حدث ما اقتضاه حسن موقعها وتجديد ما اندثر من محاسنها فصارت من الأمصار العظيمة واستمر عمرانها وازداد رونقها بما لها من الاستعداد الطبيعي برري والتحصين والحرب فقد نقل ابن الشباط عن الكري ان سور قصصه كله فرع منه الأسس وداخلها عيون بصاحات يسعدان بهرين خراطين يسقيان بساقيها ومزارعها وفي دحل جامعها عين كبيرة منية بالصخر من بين الأولين أربعون دعا في مثلها كذا وقصصه أكثر بلاد افريقية فسقط ومنها ينتشر في افريقية ويحمل الى بلاد الأندلس وساء غمر مثل بيض احياء وهي غير لقيروان بأنواع الفواكه والتمر وحول كثر من مائة قصر عمرة أهلة وحولها الحياة الحارة ثم قل ابن الشباط قلت ان ما ذكره الكري في ما عينا كبرية مدخل الجامع فليس في عصره عين وكذا القصور التي نقلها قلت ان عصره في امانة السبعة للهجرة التي هي أول دولة الموحدين ولا يخفى ان ما وقع فيها من الحروب والغش هو الذي تسبب عنه التحريب ثم نقل عن اقتباس الأنوار ما نصه ومدينة قصصه حصينة عليها سور حجارة وفيها عيون ماء داخل مدينة هي متروكة بالبلاط وفيها وحول عمارات كثيرة ذكر ذلك اليعقوبي يسب إليها جماعة منهم أبو سعد حمل من طارق القنصيري عن سجنوب وعمل عن البكري ايضا ان مدينة قصصه كلها أساطين وطقت رحاء فدنس حلاف بالصخر خميل بالحكم عمل ثم رعم ان ناي صورده غلام لمرود وذكر اسمه قلت وهذا من حرافات القصاصين - سرود في رمن إبراهيم خليل عليه السلام لأنه هو امراد بقوله تعال «ألم تر اني الذي حاج اسراهم في ربه» كما حققه ثقات المفسرين وأجمعوا عليه ولا شك ان ابراهيم هو اخذ الربع ليوسف الصديق عليه السلام ويوسف في زمن الفراعنة الرعت وبين اخر مله كهم ، ميلاد المسيح عليه السلام ألف وسعمائة سنة كما حرره تحقيق الملاحين وفي هذا تاريخ كتب افريقية الشمالية لغربية ما هوولة نامم بربر لرحالة ومساكنهم احياهم لا يعرفون لمحصره اسماء ولا رسا واسم بدأ عمران هذه جهات ليعيقون قبل الميلاد المسيحي بحو ألف سنة كما حققه مؤرخ الشهير واخبر في احطير ملطرون الفرساوي في جعفره معمم مية النبي ترجمه الشيخ رفاعه المصري والفريقيوب اصلهم من فيتيه مملكة صمعة فاعدت مدينة صور على الساحل شمالي من بلاد الشام وكان لاهب مهارة في لتجارة وهم أول من اهتدى الى حوض عباب البحر وذلك هو سبب بناءهم للمستعمرات وامر كك لتجارة على سواحل بحر المتوسط مثل كريت وقبرص ومردانية وشمال افريقية اونيكة التي حربت بعد قرطاجنة وسوسة وبترت وبعد تأسيسهم مدينة قرطاجنة وغيرها من المواني البحرية وتوغلوا في دوحل البلاد واستقلت حالتهم من الدور لتجاري الى الدور لسياسي فأنسى مدينا أخرى منها مدينة قصصه وعليه بن بين التمرود وتأسيس مدينة قصصه بحو ألفي سنة فلا معنى فده الدعوى برافعة على ان من شطه نفسه ذكر ان قرطاجنة أسست في رمن داود عليه السلام ولا شك ان داود بعد التمرود بالآف من السنين وقصصه حدثت بعد قرطاجنة بمدته طويلة ، ما غساء الدولة العربية عمران المدن واحياء ما يدرس من معالمها فقد قلنا ان مدينة قصصه تصدى لعمرانها الأعلية في صدر بدولة عباسية وتعمد في أساليب التمدن الشرقي وامتد عمرانها وشعشت في أنوار المعارف على اختلاف أنواعها وفق سوق العمران واستمر سائر السعة عجمه الى ان جاءت دولة العبيديين واستعرت نار الغش بين القبائل وتمتد هيبة الى أفصحي المعرب بسبب الاعتقادات الدينية التي بين احوج واشبعة ثم هاجمت القبائل العربية من اهلايين وبني سليم البلاد الافريقية على عهد الدولة العباسية ونأحجب بر الحرب بين القبائل البربرية والعربية فاننصر العرب المهاجرون وأحدوا في التحريب والسلب والنهب واهساد لسائلة ولا رست على تلك الحالة حتى جاءت دولة الموحدين وفامت الحرب على قدم وساق بينهم وبين القوائم بالدولة المثلثية المسمى ابن عباسية وسبب تلك العتق كانت هذه البلاد مسرحا للحروب فتناقص عمرانها وأحدث في الانحطاط وما زالت أحداث في لتفقر والان ططير ان قصصه ستعود الى شهاه الى ما كانت عليه من لعمران حيث اكتشفت بجهتها لغربية على ما حرم لفوسفات وتشكلت مد عيهد قريب شركة لاستخراج الفوسفات الذي يستعمله المرعون في تسميد الارض وتقويتها لتكثير محصولها ومدت على لغتها سكة حديد بين صفاقس ومتنوي مدرة على قصصه ليسهل بذلك نقل الفوسفات لجهت أوروبا ثم امتد فرع من السلولي الى تورر وفرع منه الى فريانة والقصرين وسبيطة وقيرون وبدرت رنطت بالمركز لتجارية ولا شك ان ذلك يجعل لها أهمية عظيمة بشرط ان يبعث همة الأهالي الى اشتهار هذه الفرصة الثمينة في استخراج كنوز لأرض ونقلها الى حيث رواجها.

فصل في من استوطن مدينة قفصة

من الشعوب والقبائل ان اول من استوطن هذه البلاد قبائل البربر وكسوا يتخذون خياما من وبر الابل والشعر والصوف يسكنونها
ويطعمون بحبهم لا تحبهم ثم يابون هذه البلاد عند الاقتضاء ويقوا على هذه الحالة احقاب الى ان وفدت الامة الفيقية على البلاد
لافرقية بحر فحاء دور الانقلاب وانتقل من حصيص انداوية الى اوح احصارة فأسشوو مراكز لرواج نتائج اعمالهم ودارة متاخرهم
وشرعوا في اعداد وسائل الزراعة لاستخراج كنوز الارض وحافظوا البربر باستخدامهم في صروب الاستعمار وصرىو معهم سهم في
الاصح نتائج الارض فدقو ندة حبة الاحتياج وبتدريج اطيعة بعد ان كانوا مشتتين في البراري والقفار يتمشون مما تدفعه لهم
صعبة سدح فكشفو لهم صناعة سبيح وفروج ساء ولقوهم طرق الفلاحة وقد تقدم ان الفقيين مارسح قدمهم واستحكم امتزاجهم
هنا في بلاد تمتعت حاجتهم من الدور الاقتصادي في الدور السياسي فاجدو مراكز رية بحرية تجارية وحرية ومن المعدل التي حدثوها
هذه لعدة مدينة ففصة ثم توسعوا في تحاد اندال وعمراسه الاشجار وساء المعاصر لعصر بربنوس وسع نطاق عمراتها واستمر كذلك الى ان
حدثت دولة الروم وسطت على دولة قرطاجنة كما مر واستولت على المراكز حربية وتجارية وسمرت سيطرة في فتوحاتها الى ان اتى الدور
الى مدينة ففصة وحيث انها مركز حربي وقعت عام الفتح الروماني ماريوس ودفعته دفاع الابل فشددت عليها احصار حتى اقتحمها عنوة
فحرقها وبنيت سنة 107 قبل الميلاد مسيحي ثم حدد ساءها وعمرها بحلب المهندسين والبراريين الذين اجتهدوا في الساء وسوغوا في لزراعة
وعمراسه الاشجار وتوزيع مياه على اسلوب هندي وحتفظ السكان وتدخلت العاصر من بربر وفينيقيين ورومانيين واستمرت دولة
لروم من باشرة عدم السيطرة وعدم ثباتها بفتح على روم البلاد من بتد تسليطها على دولة قرطاجنة وهو سنة 241 قبل الميلاد مسيحي الى
ان دركها هزم وحدثت في الانحطاط فيها حتمها امة الوندال واستولت عليها هانيب سنة 439 بعد الميلاد وفي مدة الاستلاء البروماني على
البلاد الافريقية انني هي ستمائة وثلاثون سنة احدثت عمارت مهمة من مدن ريفية وحصون مدينة واتسع مجال الزراعة وبنفق سوق الصناعة
وتمتد الى الامم اطلبه وسد حلقه فلما هزمت دولة الرومان هاجمتها امة الوندال فانزعجت مستملكتها الافريقية واتخذت قرطاجنة مركزها
وعاصمة مملكتها وامتد هيومتها الى عاصمة المملكة الرومانية فطحت تحتها بكلاكتها والله يحكمه لا يعف حكمه استمرت دولة الوندال
صارية اطلبه على ما اشترعته من مستملكات الرومانية من سنة 439 الى سنة 534 حين اخلدت الى المهو والترف واهمال التخطيطات النافعة
لديها ففتمت دولة الروم من سنة الفد صة لاجهار عليها وسافت جيوشها اخررة تبحر البحر بأنطليي العظمى واقتت ماسيها في
لهم في الافريقية فلتفتت عسكر الوندال واشتب حرب بين احشيش فكانت الدائرة على الجيوش الوندالية وستولت دولة روم مهتيا على
الاراضي الافريقية التي يتركتها من واندل وصارت مستعمرة تابعة لدولة الروم التي قاعدتها لمسططيسية وامتد عمرها وقوي بمؤدتها في
نفيه لاجل ان بعض سلطنتها مدينة ففصة وبنية بندان الحريد ولكن البربر استيظفوا من سنة توحشهم وياحتكاكهم بالعناصر لجة ذاقوا
مده حدة وشربت بقوسهم في الاستقلال فلم يخضعوا كل احصوح لدولة الروم بالرغم من سلكته معهم من لرفق وخلاية ولم نزل البلاد
مضطربة مدة مائة وحدى عشر سنة الى ان هجمت الامة العربية بحوشها الساسلة بجعلها ورحاها وتقدوا سلاح خرم وتمطقو بمطقة
عزم وبرودو فوه لاردة وغنموا على ليه حتى فتحوا بلاد اندال التي تدعو في فتوحاتهم حرقوا احلاداب ومكثوا في معاينة فتوحاتها
بحو خمس سنة لأن معروف لاوى تحت بواء عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 627/27هـ واثابة تحت معاوية بن حديج سنة 45هـ /
665هـ واثابة تحت بوء عفة بن دفع سنة 55هـ / 671م والراعة تحت لواء حسان بن نعمان العربي سنة 76هـ / 695م وقد تقدم في
باب اثني بعض تفصيل الوقائع حربية التي حرت بين العرب والروم وبين العرب والبربر الى ان رسح قدمهم هذه المديار واستمحل امرهم
وعويت شوكتهم وتمدت ودانت لهم اسلاد وحصعت لهم العباد وقد سبق ان لاميرة دهاء البربرية المذكية بانكاهة ما هاجها جيش الأمير
حسان وهزمته وسحر مع جيشه بحفة برفه وحر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان هزيمته فأخبره بالمقدم حيث ذكره كتابه الى ان يأتيه ما
يعتمده واهتم عبد الملك بأمره في بنية وهزيمة حسان وقد أدم حسان بركة خمس سنين ورد له الأمر من عبد الملك بن مروان فأهذه بالرجال
والناب ولجأه حربية وأطلق يده في أمر مصر يأخذ منها كمائته ورجف بجيش حرر على بلاد افريقية مراعى قانس فلما حل بقفصة
وقم به ريشا به حة طلائعه الى حبة المراكز ويستطلع احوالهم فصادر وعود الحريد لتلقي الأمير حسان يستغيثون به من صبيح الكاهنة فيها
ونكتته من حرق الأشجار تعوير الأنهار وسب الأراقي وهدم الأسواق ودخلوا في دين الله أفواجا طوعا لا رأوه من عدل المسلمين ورفقهم
حين دخل في دين الاسلام واستنص سذمامهم وهذا علم ان قفصة وبلاد الحريد فتحت صلحا ودخل أهلها طوعا في الدين الاسلامي اما
مستوطون بقفصة في هذا الدور الأخير فهم ذرية العرب الفتح والدين دخلوا في واسط القرن الخامس على عهد المعمر بن اددس
صالحا وفيه من البربر وفيه من الرومان والوندال وما تناسل من حداثترك لأسس المحبوبين من ساحل البحر المتوسط.

ثم ان ابنه تميم هلك في حياته فعهد لابنه يحيى بن تميم وقام بالامر واستبد على حده ولم يزل الواحجر حال الى ان تارهم عبد المؤمن بن علي سنة 555 فمنعهم من الامر ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة 557 هـ مائة واربعة عشر سنة من عمره ومات بعده بيسير حميدة يحيى بن تميم وقد ولي عبد المؤمن عاملا على قصبة بعمان بن عبد الحق الهنتاقي ثم عزله بميمون بن جاتا كنسيتيقي ثم عرله بعمرو بن موسى الصنهاجي ولما أساء للرعية بعثوا اليه بن العزيز بن المعتز بن عبد الله بن الرند من بحرية وكان بها في مصيعة يجترع ناحيتا فقدم عليهم وثاروا بعمروا وعمال الموحديين فقتلوه وقدموا على بن لعير بن فساس ملكه وحاط رعيته ثم ان يوسف بن عبد المؤمن جهز له اخاه سيدنا زكريا فحاصره وصيق عليه فأخذه وأشخصه الى مراكش بأهله وماله واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك وفيت دولة بني اسرند والبقاء له وحده واستمرت قصبة وبقية بلاد الجريد ناعية في شؤونها السياسية والادارية لدولة الموحديين التي مركزها حاضرة تونس الى ان استولى السلطان ابو اسحاق ابراهيم بن ابي زكريا اخفصي وذلك سنة 678 حين اتزها من أخيه الوثاق بن المستنصر وقتله مع سبعة لثلاثة في محبسه فيما لث ان قام عليه الدعي احمد بن مرزوق بن ابي عارة الحسيلي الجياني ورغم انه الفصل ابن أخيه الوثاق وتقب نفسه المهدي ولت عليه جموع كثيرة فزحف لقاس وأطاعه أهلها وبيعة صاحبها في رجب سنة 681 وأطاعه أهل حربة وبلاد مراكش والحامة والجريد فعظم حاله وعظم واشتدت وطأته فعقد السلطان الى ابنه أبي زكريا على حربة ولما بلغ قمودة بلع من معه استفحل أمر الدعي فانتصروا من حوله ودخل الدعي بلاد القيروان بجيوشه الحرارة فبايعه أهلها ونفهم أهل المهدية وسوسة وصفافس فخرج السلطان ابو اسحاق بعسكره فخرج الحاضرة ولما رأى وزيره موسى بن ياسين استعجال الأمر انتفض مع معظم الموحديين فاحتل أمره وخلق نقسطية ثم سحبة مستنجد به أبي فارس فحاوله على الخلع فاخلع فبايعه الموحدون ولقب بالعميد وخرج لقتال الدعي، واما الدعي فانه دخل الحاضرة وبايعه أهلها وتم أمره واستوزر ابن ياسين وقسم الرتب وعزم على غزو مصر من تونس من الحفصيين وخرج من تونس في عساكر حرارة في صفر سنة 682 وحمي وطيس الحرب فقتل المعتد واحبونه صرا وتخلص محمد ابو حفص عمر راحلا ولما بلغت الهزيمة أهل بحرية خرج ابو اسحاق وابنه أبو زكريا لتلمسان فأدركه بعض أتباع الدعي ورجع به سيرا واعتقله سجاية وطير الحرف فوجد من قتله ما آخر ربيع الأول سنة 683 هـ ونجى ابنه أبو زكريا لتلمسان وبسبب هذه الاحداث والارتباكات اختل نظام الموحديين وانتشر سلك عقدهم فامتدت أيدي عمال الأطراف الى الاستبداد بالامر واحذوا ينشبهون بأدنى سبب للتوصل لذلك ومن حملة الأسباب التي حملت عمال بلاد الجريد على الاستبداد وقوع بعض حوادث طفيفة تذرعوها الى ما اتوا أنفسهم من الاستقلال بالامر وذلك ان في عشرة التسعين وستائة وقعت بين يد سدادة وكنومة (الولاد ماحد) من عمل تقيوس فنته قتل فيها بن شيوخ سدادة فهاج عصب أبيه وأقسم ليثأر فيه شيوخ كنومة نفسه وكان عامل تورر محمد بن ابي بكر من مشيخة الموحديين فتقدم اليه شيوخ كنومة وبدل له مالا على أن يتقم له من عدوه ويصره عليه بعد أن تدمم له وه يقتل منه فوافقه عامل تورر وأعلن بخلاف أهل سدادة واحتشد ضم أهل بقطه وتقيوس وتوزر وغراهم في بلادهم ولادوا بقطه بدهم وبب لال فأمدهم أهل نفزة ورحقوا اليه فاهربت جموعه واتحوا فيهم قتل وأسرا وذلك سنة 686 هـ ثم عود عروهم عقب ذلك ففسحو عليه ثم عقد معهم سلبا على الوفاء بمعارمهم واشترطوا أن لا يحكم عليهم سوى ذلك وأن يرأسوا أهل نفراوة فأمضى ضم شرطهم وكان هذا ابتداء استبداد أهل الجريد في دولة الموحديين حسما ذكره ابن خلدون في الجزء السادس الى أن قل وكان الجريد مد تقلص عليهم طيل الموحديين عند اقتسام الملك بين الثغور المغربية والحاضرة وصار أمر الجريد الى الشورى في بعض الأحيان كما سفت لاشارة اليه أحدو يستعدون الى الاستبداد كما كانوا عليه قبل الموحديين وقد استبد سوا بخلف بقطه وبنو بملول تورر وسوا العائد بقصبة فكان سوا العائد هؤلاء من السيونات الرفيعة فانتحلوا اشارة الملك وتلقوا بالقب الحلاقة وكان أعظمهم شأنا وأرفعهم بيان وأعزهم سلطانا يحيى بن محمد بن علي بن عبد خليل بن العبد فوسحت قدمه في الامارة وبعد صيته ونقدت كلمته وصار الأمر بعدة لعائلته من سنة 686 الى آخر مائة الثامنة لأن في حلال الدولة الحفصية وقع اضطراب وانقسام بين افراد العائلة المالكة ثم تخلص ملكهم ابو الحسن المبريقي وانتزعه من يد السلطان أبي حفص عمر بن ابي بكر بن ابي زكريا وهو أعقب أنا حفص خامس عشرهم وذلك سنة 748 وبقي أمر الجريد في يد المستندين الى أن استولى النزي المظن ابو عباس احمد بن محمد بن بكر سنة 771 وهو لأحق بها وأهلها ولما تقدم الأعمال وجد لعمال قد تغدوا على معظمهم فانتزع أعمالا وأمصار من يد المتعديين واتى الدور على بلدان الجريد فانتزعه من يد المستندين به وانخرط في أعماله وقد ولي على قصبة عديم ملكها ابن الأمير أبو بكر وأقام في خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكي من موالي حدهم لسلطان ابي يحيى فانتظم له الأمر وأقام بها حولا كاملا ثم تخاف عن امارتها ولحق بأبيه وذلك سنة 782 هـ فجعل السلطان أمر قصبة لعبد الله التريكي ثقة لا اصطلاعه بها عهد اليه ولم يرل واليا عليها الى أن هلك سنة 794 وولى السلطان مكانه ابنه محمد وكان له اخوة أعراء معقلا فوشوا اليه واعتقلوه واطهروا العصيان ثم حمله أعيان البلد على البراءة منهم استراجه بهم ان يراجعوا الطاعة وريوا له الاستقلال بالبلد فوثب عليهم وأخرجهم من البلد واستصفاهم واستعمل برئاسة البلد كما كن حلالا قبل فأرعد السلطان وأرق وعزم على مازلة قصبة فجمع جنوده واحتشد واستألف الأعراب وهص اليها حتى نزل ساحتها منتصف سنة 795 هـ فضاقت نخقتهم وقطع حبيبهم فوجهاوا له احد عمدهم المسمى الزيدي ليعقد معه صلحا على يده وقومه فاعتقله السلطان وكان بعض بني لعبد واسمه عمرو بن الحسن قد انتبذ عن قصبة أيام نكتهم وأبعد الى المغرب ثم رجع وسزن بأطراف ارباب ثم

حاء لقصصة متطعاً أخواها وركب إلى الريدي أحد رؤساء البلد فأقام معه أياماً ثم استراب به فتقبض عليه وحبسه فلما اعتقل السلطان الزيدى اجتمعت عليه شبيحة وغدو له الأمر وبعثوا إلى أسياعهم من العرب يستحثونهم وسربوا إليهم الأموال فتصدى إلى الدفاع عنهم صولة بن حمزة أمير أولاد بني الليل أحد قتلى العرب المشهورين بالشهامة فرد السلطان على عقبه لأن أولياءه من العرب قد أبعدوا عنه في الجهات ومزال صورة يكر عليه في بيته وحواصيه حتى رده على عقبه تونس وكان السلطان أطلق الديون حين أحصل تونس بكاية معمرو بن العابد مسند بقصة قد سه عمر اس العبد وقتله واستبد بأمر قصصة ولكن أهل قصصة حشوا بكرة السلطان فبعثوا بطاعتهم إليه فاشترط عليهم أن يرفعوا عندهم فأحبوه لذلك ودخلوا تحت طاعته وبقي السلطان أبو العباس حمد في شعبان سنة 896 هـ وتولى ابنه أبو فارس عزوز محمد لموحي وعمر الشعور وسدد الأمور وفي سنة 892 هـ حاله أهل قصصة وبلدان الخريد فغرامهم وفتح بلادهم واستمر غارياً مؤيداً إلى أن بلغ مواسي عد من فتحتها في هذه السنة ورجع ظفراً منصوراً وانططمت قصصة في حلة اعماه فأصلح شأنها وحدد ما عدت عليه الفس فمن ذلك حصنها شهر فحلب العملة ومواد الساء وحدده وأسكن فيه عماره واستمرت حاصصة لمركز الولاية من أوائل القرن التاسع إلى أوائل القرن العاشر حين قلده ولاية السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعودي ابن عمر عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز وحدث سنة 899 هـ تاسع شعبان وكان هذا السلطان محالاً للحبر دكياً قطعاً وكسبه ماثراً منها تشاء للمكتبة لمساة لبعديلة وأوقف عليها وقف وحرث من كتب وأعدّها للاطلاع بها على وجه العموم وله غير ذلك من الآثار خيرية وكان شهر حصور حارماً إلا أن دولتهم أدت بالادار والاقراص لأن في دولة هذا السلطان نشر سلك المملكة الحفصية وحرثت أكثر البلاد من يده ففي سنة 910 هـ حرثت من يده بحاية فاستولت عليها أنصاري وبعدها استولى عروج على الجزائر وفي سنة 914 ملك أبو عراب المنصاري طرابلس وبقيت في يدهم إلى أن فتحها در عوث باشا وفتح صاحب باشا مدينة الجزائر ولما توفي أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي في سنة 932 تولى ابنه حسن وفي سنة 933 انتزع خير الدين باسم بدو العثمانية مدينة تونس من يد الحسن وهو رجل من حريرة مدني ومن الحسن من تونس وحفظ في سلطان سلبها ثم استنجد الحسن من يحمده فالتفت عليه لأعراب ورخف بهم على خير الدين فكافحهم بالذوق الذي لم يلقوه فيهم وما معه ثم استنجد بدولة أسبانيا فأنجده بأسطوط وعدد وافر من الرجال وأندحتر أخريه وقد أصمرت الاستيلاء على تونس ولما عجز خير الدين عن منق ومتهم فرأى معه من أحد وترك لبلاد وشأنها وفي خلال هذه الاضطرابات استقل بعض العمال بأعمالها ومنها عمال سموسة والقيروان وقصصة والخريد وفلس وبقيت لاحتوال محصورة إلى سنة 981 هـ حين ورد لأسطول عثمانى إلى مياه تونس برئاسة سلاشاً فظهر لبلاد وحمل العباد وما انتزعت البلاد من يد أسبانيا وحثاً بني حفص بعد معادة شديدة وصمت مع طرابلس والجزائر بميثاق لثمانية وضع حرسه من عساكر ترك وحمل كل فوقة من العسكر لظفر رئيس يسوسنها ورتب أمير لواء الحصن بالولاية وحسنه لأموال بلباسي وهو رمصا بني وحمل لظفر في عموم العسكر للأعة ورتب فيها قاصب على المذهب الحنفي والظفر العام سنا وهو حيدر باشا وحفظ باسم سلطان سليم بن سلبا وصارت السكة باسمه ثم رتب الاحكام وشملها النظام وسافر للعسكر تحت رئاسة ابني لتفقد شؤون البلاد وقطع حراثيم الفساد فهدات الأحوال وحثت الاموال ووضع في بلاد التي يحشى منها عاتلة لقتل حرسا عسكرت من الترك وسكنهم احصون العدة لسكى الامر ورودهم بما يحتاجونه من الدخائر خرية ومن حصون الذي ستقر بها أحد حصن العظيم الذي بقصه فقد رتب فيه حداً كثيراً وبوون اخرى سنة قصرت الأمن اطمانه وسدل الاطمئن جلسانه واستمر سفر العسكر كل سنة تحت رئاسة ابني جنية ابني ونهضة لاحتوال ولما كان تعدد الرؤساء حالاً للحلل في انتصاف سري الشقاق بين رؤساء العسكر وامدوا انتصاف في أحد والرعية وصار اخل اقرب إلى الفوصى فثار الجسد وقدموا واحداً من الرؤساء على خميع وأسقطوا لنافين ول الامر إلى ولاية عثمان دي وكان الاحوال بالولاية قصرت البلاد للداي ورئاسة المعسكر للداي ورئاسة احميع للداي ثم تارة ينفر داي وقارة ينفر داي السنا واوارة ينفر داي ابني ان استولى لولي حسين بن علي رئاسة المعسكر باحماخ هل للحل والعقد فرأى من حسن انظر اسقاط جميع وتولى رئاسة الدولة وكنت ولايته سنة 1117 وحمل لداي عمارة عن محافظ المدينة فقط ورئاسة المعسكر لغيره وجميع تحت تصرفه وبقي الامر كذلك إلى أن احتلت دولة فرنسا البلاد فتغلب النظام، أسأل الله حسن الختام.

فصل في شؤون قصصة الحديثة

أما في سياستها فهي تابعة للحكومة التونسية منذ سنة 981 هـ أي من حين افتتاحها من يد اسبانيا لم يستند أحد لها، فإن في دولة صنهاجة ودولة الموحيين تارة ترجع لمرکز الحكومة العامة وتارة يعطى عن أمرها واستفحل شأنهم ويأسون الضعف من رئيس الدولة لما يعرض له من مفارعة الشريش ومدافعة متتهرين فيسددون للاستعلاء، ومن استلاء الدولة العثمانية استمرت تابعة لتونس ودعت بها الاحكام والسماحت لادارية وحربية على مقتضى الأسنوب لحدث مرابعن في ذلك عوائد البلاد وشريعته وفي العاتب تابعة لعمال الخريد وفي ولاية صادقي بني وحدث في حدود الشين ومثين والقب ختطها بعض عمال اهمة وجلاص ولم تلت غير قليل حتى اضيغت لعمال الجريد، اما

المستوطنون بها في هذا الدور الأخير فهم خليط من البربر وبقيّة من درية الرومان والعرب الفاتحين وهي ستة عشائر احدى عشرة (1) الاجريين ثم البلدية ثم جبارقو ثم الخناسة بنو نير ثم المناريين ثم الحفّية ، فأما الاجريون فينسبون انفسهم الى الشابة الذين تقدم التعرف بسببهم عند الكلام على عشائر توزر فقد ذكر بعض شيوخ نسايتهم ان عدة عائلات من الشابة لما وقع اصطهادهم من الملوك تفرقوا في البلاد فاستقرت منهم فرقة بقفصة وبها وسلفهم من الوحاة ، واعتبار بسبب ميلهم لاقتناء العلوم الدينية ووسائلها وانتحال طريق الارشاد بتف عليهم بعض عائلات اخرى وصارت لهم رئاسة فتقلدوا الخطط السيئة من شرعية وسياسية ونبتت منهم علماء أحلة ازدنت بهم المحافل وسارت بعلومهم الرواحل واختلطوا بالمصاهرة مع بقية العاصر من عرب وبربر ورومان ولكن الدم الرومي ما برح حاريا في عروقهم لأول متأمل وكذلك البلدية فإنهم من بقايا الرومان وبها لهم من الامترج بعضهم ظهرت بقفصة عمه اشتبهوا بالعلم والورع فمنهم الشيخ بن حامد كان عالما متضلعا في الفنون على اختلاف انواعها ورعا عقيما اشتهر به خلق كثير ومنهم الشيخ تاح وبه الشيخ عيسى بن تاج كان عالما فاضلا لها القدح المعنى في نشر العلم في تلك البلاد ومنهم الشيخ محمد بن المفتي الذي اشتهر علمه في الافق وجمع السع على فصله على الاطلاق ومنهم الشيخ احمد بن المفتي واحوه الشيخ صالح وابنه الشيخ الحسين وهذه العائلة عاتلة علم وفصل تقلدوا حظا سيلة وقاموا بها احسن قيام ومنهم ذلك لطود لشهير والدر المنير والعلامة الكبير الشيخ احمد السوسسي تقلد القضاء ورئاسة القضاء رحم الله الجميع واما حبارقو فهم من قبائل البربر نزحوا من قبائل طرابلس عندما شردهم ابن غانية في اواخر القرن السادس فاستوطن بعضهم بقفصة في حدود لقرن العاشر بعد ان مكثوا مدة على حالة البداوة ينتقلون من مكان لآخر ثم استوطن بعضهم بعض القرى المحاورة لبلد قفصة وهي قرية السند ولالة والقصر والقصر وكذا المناريون فهم فرع من حبارقو واحد الخناسة فهم عائلات وفدوا من بلد حرة بقي معظمهم بها الى الآن واستوطنوا بلد قفصة في حدود القرن العاشر ولا يخفى ان سكان بلد حرة مريخ من بقية النيفيين والبربر والعرب فالبربر من قبيلة كسامة والعرب من بني سليم واما وان الحفّية فهم من درية الجنيد الذين يوجهون من طرف الحكومة يقيمون بالقلاع والحصون لحراسة اطراف الولاية وقرى الراحة ولا يخفى ان اخذ الموحدة من طرف الدولة العثمانية لحماية ممالكها الشاسعة المنع عنه بالنيكشارية هم مزيج مركب من الاساري الواقعيين تحت أسر الدولة هم من الارمن واليونان والمحر والمساويين وغيرهم من الارمن واليونان الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية على مذهب الامام ابي حنيفة الذي هو مذهب رجال الدولة ولذلك سموهم بالحفّية نسبة الى المذهب لأن جميع سكان افريقية الغربية الشمالية على مذهب الامام مالك وهؤلاء الجنيد صاهروا ابناء البلاد متحليين مذهبهم وعوائدهم ولعنتهم وتاسلوا مع بعضهم ودخل في رمرتهم بعض ابناء السلاطين الاصليين ليحزوا على ما هم عليه من الامتيازات التي امناروا بها من قبل لدولة سبب الحندية ولكنهم تمذهبوا بمذهب مالك كلبهم سواء ولم يبق في بلد قفصة مذهب احفّية وبقي الاسم نظرا لأصل تسمية هذا اصل عشائر قفصة بقطع النظر عما اندمج في العشائر من العائلات الاحبية فانتحلوا عوائد السلاطين وتربوا تربيتهم كعصائل افريقيين وأهل صفاقس وأهل الجريد وغيرهم .

فصل في الكلام على بلاد نفزاوة

ذكر ابن الشاطر ان بلاد نفزاوة تشتمل على بلدان كثيرة واعظمها مدينتان احدهما يقال لها بشري ولاخرى يقال لها طرة ومما تسمى لعمال وكلتاهما عيون ومياه حارية وبحيل ونهار ويصنع فيها انواع من الملابس الصوفية ارفيعة مما يتنافس فيها وقال السكري . «ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تورغة وهي كبيرة لا يدرك لها فعر قال ابو احكم يرمى بها الرمح فيرتفع فوق الماء بقدر ما عاص ثم قال السكري ولمدينة نفزاوة صور صحر ولبن ولها ستة ابواب وبها جامع وحمام وأسواق حافلة وهي على نهر كثيرة النخيل والثمار وحولها العيون والساتين وقبيلتها مدينة قديمة تعرف بمدينة عليها سور وبها جامع وسوق تكتنفها عيون وساتين من مدينة نفزاوة الى قاس ثلاثة مراحل ومن قيطون بياضة الى نقطة مرحلة والى تورر مرحلة وبين نفزاوة وقسطنطينية ارض سواحة لا يهتدي للطريق فيها إلا بحشب مصوب فإن صل احد يميما وشمالا غرق في ارض دهن تشبه في الرطوبة الصابون وقد هلك فيها العساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدر أمرها ونصل هذه السواحة الى مدينة غمراسن انتهى ، كلام ابن الشاطر ، قلت ما ذكره ابن الشاطر وغيره من مؤلفي العرب انما هو بعد التاريخ الاسلامي ، ما ما قبل ذلك فقد كان اكثر هذه البلاد يعمره الماء لأنه كان حليحا يمتد الى قاس ويتصل بشط الجريد فان بلد قطاسة والمنصورة وقبلي والمافس واستطيم وغيرهما من قرى نفزاوة كانت تحت سطح البحر وتقادهم الدهور وكر العصور جف الماء في البعض وتراكمت عليه الرمال فعمت معظمها ومن مثل القر الثاني جدد عمرانها فاحدثت فيها عدة بلدان واستحضر عمرانها ومن مدينتها مدينة قبلي ومدينة تلمين التي اقيمت على أطلال طرة ومدينة حمة ودوز ومن بلدانها الشوية طنصار غربي تلمين وقطاسة والمداشة وزاوية الخرت وبشرى كانت مدينة ثم صغفت تنولي الخروب والاهدية

وبقة واسو عد الله والقليعة والزيرة وزمرة الوحشي والمنصورة والقطعاية وتنبيب وانبس والرابطة والبليدات وجرسين والقرعة وبازقة ونويل والمداريق التي من قراها دور والعوية وعوية ام هدة فقول ابن الشباط : « ان نفزاوة تشتمل على بلدان كثيرة اعظمها مدينتان احدهما يقال ه شريء والاخرى يقال ها طزة مناف لما نقله عن السكري بعربان مدية نفزاوة لها سور وستة ابواب لأن كلام ابن شباط يقتضي ان لفظ نفزاوة اسم لمجموع عدة بلدان كما هي الآن وما نقله عن السكري يؤخذ منه ان نفزاوة علم على المدينة المخصوصة اللهم الا ان يقال مراده بمدينة المسماة نفزاوة ما اشار له بقوله وتليها مدينة قديمة تعرف بالمدينة وعليها سور الح ولعلها هي التي أقيمت على أطلالها مدينة قبلي التي هي مركز العمل الآن.

فصل في من استوطن بلاد نفزاوة من الشعوب والقبائل

قد سبق في الفصل قبل هذا ان لفظ نفزاوة يطلق على عدة مدن وقرى على ما ذكره ابن الشباط ويطلق على مدينة مسورة على ما ذكره السكري والحقيق ما ذكره ابن خلدون بنفزاوة قبيلة عظيمة من قبائل البربر تنسب الى تطوف بن نفزاي بن لوا الاكبر بن زجيك وبطوهم كثير مثل عماسة ومزقيسة ورهيلة وسانة وولهاصة وفجرة وورسيف ثم قال ومن بطون ولهاصة ورتد بن داخلية بن ولهاصة وور فحومة بن تير فاص بن ولهاص وور فحومة هؤلاء اشد قبائل نفزاوة بأسا وقوة وكانوا متمسكين بعقائد الاباضية من الخوارج وزحفوا الى القيروان سنة 140 ومرو عنها حبيب بن عبد الرحمان ودخلها عبد الملك بن ابي الجعد فتبع اثر حبيب وقتله واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من فريش وبطوا دوابهم بالسعد وعظمت حوادثهم وشغلوا امر افريقية بهجراتهم المتكررة فصبقوا عليهم الامر وشددوا عليهم الحصار بقطع السابلة الى تولى يريد بن حاتم امر افريقية سنة 157 فصرح اليهم العساكر مع ابنه وقومه فأخذوا فيهم وخضدوا شوكتهم وقتلواهم ابرح قتل وعليها كان ركود ربيع اخوارح مافريقية واذعان البربر وبقي منهم فريق يمر ماجنة وهناك قرية يسميها تنسب اليهم وتشتت ولهاصة وور فحومة من قبائل نفزاوة وهم ارباع اشهرهم قبيلة ساسل تلمسان وجد نفزاوة يسمى لوا الاصغر بن لوا الاكبر وهو جد لواته الذين منهم اولاد عباد وانما زيدت له التاء علامة على الجمع عند البربر ثم راد له العرب الهاء للسكت فصارت لواته واسهب ابن خلدون في تعداد قبائلهم ومروغ شعوبهم وبطوهم وذكر رؤساءهم وما هم من الاثار المشكورة والوقائع الماثورة الى ان قال وكان من مشاهير علمائهم المنذر بن سعيد القاضي بقرطبة لعهد عبد الرحمان الناصر الأموي امير المؤمنين ومهم ابو يعقوب البادسي اكبر اولياء المغرب الى ان قال واما بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم هذا العهد حي ولا موطن الا القرى الظاهرة المقررة السير المنسوبة اليهم ببلاد قسطنطينية ولها معاهدون من الفرنجة ووطوهم على الجزيرة واعاقبهم بها لهذا العهد وقد نزل لهم كثير من بني سليم وزغبة من الشريد ووطوهم وملكوا بها العقار والضياع وكان امر هذه القرى راجعا الى عامل توزرايم الاستداد فلما تقلص ظل الدولة عنهم وحدثت العصبة في الامصار استبدت كل بلدة بأمرها وصار مقدم تورر يحاول دحوشهم في ايلاته فتارة يعطونه ذلك وتارة يابونه حتى أصلتهم دولة السلطان ابو العباس احمد فادرجوا في طاعته وذلك سنة 778 هـ فعلم مما تقرر ان اسم نفزاوة من اطلاق الحال وازادة المحل ، ما المستوطنون بها الآن فهم مزيج من البربر والرومان الذين عبر عنهم ابن خلدون بالفرجة كما هي عادته ومن العرب الداخلين ولم تزل تتوارد على تلك البلاد شعوب وقبائل شتى يستوطنون البلاد ويمتزجون بالأهلي حتى لا تكاد تميز بين الأهالي الداخلين والاصليين واما أهالي قبلي فقد وفدوا من نواحي طرابلس انفصلوا من قبيلة لمحاميد ونزلوا سككهم لأن في أواسط القرن السابع وهم يتسبون الى ذيات صاحب الوقائع المشهورة مع بناتة حسبما قرره ابن خلدون لأن جددهم محمود بن صوب او ابن طوق بالقف وهو الذي قتله قراقش مولى صلاح الدين الايوبي ومعه سبعون رجلا من زعماء مشيخة قومه وذلك في منتصف القرن السادس هجري ووطوب او طوق هو بن بقية بن وشاح بن عامر وموطوهم بن قاس وسوسة ويجمعون مع النوائل في عامر بن حابر فحد النوائل مثل بن عامر بن جابر بن فاتك بن رافع بن دثب بن ربيعة بن حرق بن مائل بن حفاف بن امرئ القيس هكذا ذكره ابن خلدون في شجرة نسبهم وعليه فم انفصل من لمحاميد الدين نرحوا من طرابلس هم الدين استوطنوا بلد قبلي وامتزجوا بغيرهم ممن صمم اليهم من بقية المعاصر وكذلك بد بقة فهم من العرب كما ان بلد جنة اغلبها من العنصر العربي الداخلين في اواسط القرن الخامس اما بقية بلدان نفزاوة فعاليهم من البربر كما تقدم الا بلاد نويل فقد استوطنها فريق من النوائل اخوة لمحاميد حسبما سبق تفصيله اما حالتها السياسية فهي راجعة لعمل الجريد كما ان شؤونها الادارية كذلك ولم تزل كذلك حتى جاء دور الاحتلال فاقتضى تقسيم الدوائر الى مدينة وحرية فصايف موقعه بمرزاوة فحيووه في الدائرة الحربية فاسلحت عن الجريد وامنازت بعامل وصارت تابعة للدائرة العسكرية اما حالة المعارف في مرزاوة فكادت ان تنحصر في حمة وما بها من ذلك لا يتحاور العلوم الشرعية ووسطلها وقد بيع في بلد جنة نجبة من العلماء الأجلة كدور، يرتحون لمصر ويرجعون عمتلته حفاتهم بالعلوم الفقهية والأدبية ثم يثرون لأنهم بين طبقات الشبيبة الأهلية حتى صار لبلد جنة مزية

على البلاد وفي الدور الأخير لما وضعت التراتيب بالكلية الزيتونة صارت هي المورد لكل شارب والمرتع لكل راغب فعدلوا عن الارتحال إلى الديار المصرية واخذ في الارتشاف من المعهد الزيتوني اما الصنائع فيشتغلون بالثياب الصوفية فترسل منها للخارج ميات لها سال وكذلك الصنائع الضرورية كالحدادة والتجارة والبناء وما يلحق بها .

فصل في من استوطن بلاد نفزاوة من الشعوب والقبائل

قد سبق في الفصل قبل هذا ان لفظ نفزاوة يطلق على عدة مدن وقرى على ما ذكره ابن الشاطر ويطلق على مدينة مسورة على ما ذكره البكري والتحقيق ما ذكره ابن خلدون بنفزاوة قبيلة عظيمة من قبائل البربر تنسب الى تطوف بن نفزاي بن لوا الاكبر من زحيث ويطوهم كثير مثل غساسنة ومزقسية ورهيلة وسبانة وولهاصة وفجرة وورسيم ثم قال ومن بطون ولهاصة ورتد بن داخلية بن وهاصة وور فحومة بن تير فاص بن ولهاص وور فحومة هؤلاء اشد قبائل نفزاوة بأس وقوة وكانوا متمسكين بعقائد الاساسية من الخوارج ورحفوا إلى القبروان سنة 140 و فر عنها حبيب بن عبد الرحمان ودخلها عبد الملك بن ابي الجعد فتبع اثر حبيب وقتله واستولت نفزاوة على القبروان وقتلوا من كان بها من قريش ويطو، دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم وشغلوا امر افريقية بهجتهم المتكررة فصيقوا عليهم الامر وشدوا عليهم الحصار فقطع السابلة إلى تولى يريد بن حاتم امر افريقية سنة 157 فرح اليهم العساكر مع ابنه وقومه فأثخنوا فيهم وخضدوا شوكتهم وقتلواهم بريح قتل وعليها كان ركود ريح الخوارج بافريقية وادعان البربر وبقي منهم فريق بممر ماحنة وهناك قرية يسميها تنسب اليهم وتشتت ولهاصة وور فحومة من قبائل نفزاوة وهم اوراق اشهرهم بلدة محل بدمسان وجد نفزاوة يسمى لوا الاصغر بن لوا الاكبر وهو جد لواته الذين منهم اولاد عيار وانما ريدت له التاء علامة على الجمع عند البربر ثم راد له العرب لهااء للسكت فصارت لواته واسمها ابن خلدون في تعدد قبائلهم وفروع شعوبهم ووطنهم وذكر رؤساءهم وما لهم من الآثار المشكورة والوفائع الماثورة إلى ان قال وكان من مشاهير علمائهم المدرس سعيد القاضي بقرطبة لعهد عبد الرحمان الناصر الأموي امير المؤمنين ومنهم ابو يعقوب البديسي اكبر اولياء المغرب إلى ان قال وام بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم هذا العهد حي ولا موطن الا القرى الطاهرة المقررة السير المنسوبة اليهم سلال قسطنطية وبها معاهدون من لفرجة ووطنهم على الجزيرة واعقابهم بها لهذا العهد وقد نزل به كثير من بني سليم وزغبة من الشريد واطوهم وغلوكوها العقار والضياء وكان امر هذه القرى رجعا إلى عامل توزرايم الاستناد فلما تقلص ظل الدولة عنهم وحدثت العصبية في الامصار استبدت كل بلدة بأمرها وصار مقدم تورر يحاول دخولهم في باباته فتارة يعطونه ذلك وتارة يبونه حتى أضلته دولة السلطان ابو العباس احمد فادر حوا في طاعته ودلت سنة 778 هـ فعلم مما تقران اسم نفزاوة من اطلاق الحال وإرادة المحل ، اما المستوطنون بها الآن فهم مزيج من البربر والرومان الذين عبر عنهم ابن خلدون بالفرنجة كما هي عادته ومن العرب الداخلين ولم تزل تتوارد على تلك ابلاد شعوب وقبائل شتى يستوطنون البلاد ويمتحنون بالأهالي حتى لا تكاد تميز بين الأهالي الداخلين والاصليين واما أهالي قبلي فقد وفدوا من بواحي طرابلس انفصلوا من قبيلة المحاميد وتولوا بمكانهم الآن في أواسط القرن السابع وهم ينتسبون إلى دياب صاحب الوقائع المشهورة مع رتبة حسنا فقرر ابن خلدون لأن حدهم محمود بن صوب او ابن طوق بالقاف وهو الذي قتله قراش مولى صلاح الدين الايوبي ومعه سبعون رجلا من زعماء مشيخة قومه وحدث في منتصف القرن السادس هجري وطوب او طوق هو ابن بقة بن وشاح بن عامر ومواطنهم بين قانس وسوسة ويجمعون مع الخوارج في عامر بن جابر فجند النوائل نائل بن عامر بن جابر بن فاتك بن رافع بن ذئاب بن ربيعة بن جرق بن مالك بن حماف بن امرئ نقيس هكذا ذكره ابن خلدون في شجرة نسبهم وعليه فمن انفصل من المحاميد الذين نزحوا من طرابلس هم الذين استوطنوا بلاد قبلي وامتزجوا بغيرهم ممن انضم اليهم من بقية العناصر وكذلك بلاد نفقة فهم من العرب كما ان بلاد جمة عليها من العنصر العربي الداخلين في أواسط القرن الخامس ام بقية بلدان نفزاوة فغالبيهم من البربر كما تقدم الا بلاد نويل فقد استوطنها فريق من النوائل اخوة امحاميد حسنا سبق تفصيله ما حالتها السياسية فهي راجعة لعمال الجريد كما ان شؤونها الادارية كذلك ولم تزل كذلك حتى جاء دور الاحتلال فقتضى تقسيم الدوائر إلى مدنية وحرية فصادف موقعه نفزاوة فحيوؤه في الدائرة الحربية فاسلحت عن الجريد وامتازت بعامل وصارت تابعة للدائرة العسكرية اما حالة المعارف في نفزاوة فكادت ان تنحصر في جمة وما بها من ذلك لا يتجاوز العلوم الشرعية ووسائلها وقد نفع في بلاد حنة نخبة من العلماء الأحناف كانوا يرحلون لمصر ويرجعون ممثلة حقائهم بالعلوم الفقهية والأدبية ثم يثرون لأئمتها بين طبقات الشبيبة الأهلية حتى صار لبلاد حمة مزية على البلاد وفي الدور الأخير لما وضعت التراتيب بالكلية الزيتونة صارت هي المورد لكل شارب والمرتع لكل راغب فعدلوا عن الارتحال إلى الديار المصرية واخذ في الارتشاف من المعهد الزيتوني اما الصنائع فيشتغلون بالثياب الصوفية فترسل منها للخارج ميات لها سال وكذلك الصنائع الضرورية كالحدادة والتجارة والبناء وما يلحق بها .

فصل في الكلام على الحامة من بلاد قسطنطينية

والنسبة اليها حامى الألف كما ان النسبة لقسطنطينية فسطلاي كما ذكره ابن الشباط فيها بناء على ان قسطنطينية من الأوصاع العربية لأن اصلها قسطنطينية سموها بذلك تشبيها لها بالقسطنطينية التي هي قوس قزح كما في القاموس شبهوها به في بهجتها وتلونها في اهرارها وقيل انها من الاسماء الرومانية لأن القسطنطين في لغتهم هو القصر وعليه فالنسبة اليه قسطنطيني رجوعا للأصل اما الحامة فهي علم على بلد معروف تشتمل على ثلاث قرى وهي سالائف بين الحاء والميم خلافا لم رعم انها تكتب الحمة بدون ألف ووجه ذلك بأن سميت باسم العين الحارة التي بها لان الحمة هي العين الحارة التي يستشفى بها المرضى ومن هذا الاصل اشتاق الحمام وان بهذا العين سميت البلد الحمة واستشهد على ذلك بقول بعضهم ومن الامثال في العلم قولهم ان العالم كالحمة يأتيها العلماء ويرهد فيها الغرباء وليس فيها ذكره دليل على صحة هذه الدعوى او لا فليس كل بلد له عين حارة تسمى بهذا الاسم اذ لا تلازم سببها فان كثيرا من المدن بها عيون حارة يستشفى بها ولم تتعين تسميتها بهذا الاسم وثانيا علم والاعلام لا تعتبر ولا يلزم فيها مراعاة الاشتقاق وثالثا ما ذكره الامام ابو محمد عبد الله يراي زيد القيرواني صاحب الرسالة والمواد فيها نقله عنه ابن الشاط في الجزء الاول من شرح القصيدة الشقراطية فهو أدل دليل على ذلك لأنه ثقة في نقل المسائل الدينية فضلا عن غيرها فقد ذكر انه عثر على مكتوب بخط يد الامام ابي محمد عبد الله بن ابي زيد مخاطبا به فضلاء توزر في التوصية بتلميذه ابي زكريا يحيى صاحب لشرقراطية وتعظيم شأنه فانه كتبها الحامة هكذا سالائف فقد ذكر في عرض كلامه بعد ان اكد عليهم في تعظيم شأن ابي زكريا وعرفهم بحقوقه التي توجب تعظيمه ومكانته من العلم والفصل قال وابو بكر الحامي بن منصور لمن يقرأ علينا ويكرم لدينا وما بتوزر من يتلو اب زكرياء الا أبو بكر الحامي الح ، فأني حجة واي برهان اصح من نقل ابن ابي زيد وحسبك ما نقله ابن الشباط ايضا بأنه رأى عقدا تصمى شراء الفقهاء ابي زكرياء جنة من جنات توزر وتاريخ العقد سنة 407 شهد فيه ابو بكر الحامي المذكور فكتب اسم نفسه الحامي سالائف بعد الحاء في عقده ورب الدار اعلم بما فيها انتهى ، والحامة هذه اختطها البربر في دور الفينيقيين قبل الميلاد بنحو الف سنة وقد أنت عليها أدوار من العمران والتخريب حسبما تقتضيه الانقلابات الدورية والتعصبات القومية ، قبل الاسلام وبعده الناشئة عن احروب وما أوقعته الأميرة البربرية دهبيا الملقبة بالكاهنة من تحريب القصور الشاهقة والأسواق الفاخرة وتغيير المياه الدافقة وقطع الأشجار وهدم الديار الأكبر عبدة لمن يعتبر وكذلك ما وقع من عرب بني سليم وبني هلال في اواسط القرن الخامس وما وقع من ابي يزيد بن محمد بن كداد الخارجي القائم ضد العبيديين الشيعة وكذلك حروب الموحدين واس غنية القوائم بدعوة المرابطين وغيرها وقد تداولت عليها ادوار خصب وجذب مثل ما عرض لبقية الايالة وما يقال في بلدان الحريد من جهة الحالة العمرانية والاجتماعية يقال فيها لأنها جزء منها وقد استمرت أهلة باعقاب البربر الى اواسط القرن الثامن هجري فقد ذكر ابن خلدون ان الدين يقطونها في زمنه أي في اواسط القرن الثامن ، ثلاث قبائل من توجر وبني ورنحس وهم في العصبية فرقان اولاد يوسف ورناستهم في اولاد ابي المبيع وأولاد جحاف ورناستهم في اولاد وشاح ثم بتدرج الاسباب انحصرت رئاسة جميع القبائل المستوطنين بالحامة في اولاد ابي المبيع وسبب حصرها في من ذكر ان جدهم رجاء ابن يوسف كان له ثلاثة اولاد بوشاك وابو محمد وملاة وان الرئاسة بعده كانت لانه بوشاك ثم لانه ابي المبيع ثم لابنه حسن بن ابي المبيع ثم لابنه محمد الحسن محمد بن حسن ثم لأخيه موسى بن الحسن ثم لأخيهما ابي عناب وكانت رئاسة اولاد جحاف محمد بن احمد بن وشاح واعقابه وكان العمال من لدن ابو حديد يتعاقبون فيهم حتى آل الأمر في دولة السلطان ابي بكر الحفصي الى ولاية ابنه عاملا عليهم فارتاب محمد بن وشاح هذا وتقض عليه وقتله مع اهل بيته وولى موسى بن الحسن ولما هلك تولى اخوه ابو عاب وطال امر ولايته عليهم وكان معروفا بالعفاف والخير وأقام الى سنة 742 هـ وتولى بعده ابو زيان ثم ابن عمه مولاهم بن محمد وهو الذي وفد على السلطان ابي الحسن المريني مع وفد اهل الجريد ثم توفي وتولى ابن عمه حسان بن محرس وقم عليه محمد بن احمد ابن وشاح فعزله وبوئى مكانه وبقي الى سنة 778 هـ فثار به اهل الحامة وقتلوه وولوا عليهم حسان بن محرس من اولاد ابي المبيع واستمرت الرئاسة فيهم الى سنة 960 هـ هذا ولما انحلت الدولة المرينية بسبب انقسامها الى عدة فروع ومن فروعها الدولة لوطاسية فكان مما تسبب على انقسامها انتشار بعض العائلات اللوطاسية فاستقرت منها عائلة في بلاد الحامة وبها تأثرت منهم من استحكام صيغة الامارة انتحلوا اسما فاستمالوا أهالي البلاد بالترهيب والترغيب وابتزوا الرئاسة منهم على البلاد ثم في سنة 1010 الف وعشرة وفدت عائلات من اولاد صولة احدى قبائل الزواودة الدين يرجع نسبهم الى بني سليم من العرب الوافدين في اواسط بقرن الخامس فانتزعوا بعض الاملاك من يدي اربابها بمقتضى الشوكة وقوة العصبية فرسخت اقدامهم وتأثرت الرئاسة فيهم واستمرت الى ان استولت العائلة الحسبية سنة 1117 وتغيرت الحالة الادارية والسياسية وذلك ان الترتيب الذي استقر عليه حالها فهي كنفية بلدان الجريد وهو ان يتقلد الرئاسة على كل بلد من يلقب بالشيخ بمقتضى طهير يكتب عن اذن الوالي العام بتونس ويختتم بختمه علامة على امضاءه ويباشر شؤون البلد وفي كل عام يرد معسكر تحت رئاسة نائب الوالي لاقراوحة وجباية الاموال الاميرية.

وللحامة شيخ كهؤلاء المشايخ يباشر شؤونها كغيره وهي الآن تشتمل على ثلاث قرى احدها تسمى النخلات والثانية محارب والثالثة العرق، اما الاولى وهي الكرى فيقطعها اولاد صولة الذين تقدم ذكرهم ولهم الرئاسة على جملة الحامة غالبا وامتزج معهم بعض برلاء البلاد من عرب وبربر فصاروا كأنهم عنصر واحد، واما الثانية والثالثة فمعظم سكانها من البربر وقد اشتهرت الحامة بمياهها المعدنية من قديم فترد اليها القوافل للاستشفاء بمياهها المعدنية من الامراض العصبية وغيرها وطهر نفع ذلك في كثير من الامراض ولولا جهل سكانها وعدم اعتناء الحكومة لاستبحر عمرانها وارتفع شأنها لكثرة الوسايل العمرانية من مياه دافقة واستعدادها لأسواق نافقة وقد حاولت بعض الشركات اخذ امتياز للسعي في تنظيم وحفظ مياهها على الاسلوب النافع الصحي والاقتصادي ثم تأخرت لأسباب غير معلومة وقد حاول بعض عمال توزر وهو الحارم عبد الرحمان بن عمر سنة 1286 تحميم الأداء المرتب على عدد بحيلها فطلب من الحكومة ذلك رجاء ان يحیی عمرانها وتنبت فيها الروح وكذلك اسقاط البقايا المثقلة على ارباب النجيل التي عاقتهم على التعمير بسبب مطاردة العمال لهم وضطهادهم بالحبس والصرع وكذلك بقية بلدان الحريد فأجيب لذلك ولكن باسقاطه على بلدان نزاوة والحامة فقط واسقطت ثلثي القديون فأما بقية بلادهم فقد جرى العمل به واما الحامة فلم يعمل به وتأخر العمل به حتى عزل العامل ولو بقي مسئوليا لهضت من السكون الى حركة وسقي من ملحقات الحريد مد اشترجل وهي ثلاث قرى ثعمرة وميداس وشيكة منفصلات عن بعضها ولكل منها واحة بحيل خاصة وعيوب دقيقة تسقيها الواحة ويستنجون من ذلك بقولا ونهارا له اهميته لو كان لهم حرم واهتمام ولكن مع ذلك يعلب عليهم لكسل الذي يتولد منه المعقر وهم مزيج من البربر والعرب التازحين لتلك الجهة وهم تابعون لعمل الحريد مع البوادي الذين حولهم وهم قبائل رحالة وهم اولاد سيدي عبيد وهم قبائل مختلطة وهدت منذ سنين عديدة بعضهم من البربر وبعضهم من الجزائر والبعض من عرب افريقية



الحمد لله للعلية العلي الاعظم
محمد خير العباد المرتضى
ثم ارض عن صاحب كرام برر
واعلم بان النسب المحقق
نسب اهل الفضل والاسعاد
ستهم معدومة محققة
برهنا مير
يحيى ممد بها متمص البصرة
دليل ذا عقلا وتقلا ثبت
هم للمصاييح هداة الاممة
وحافظوا الشرع مدى الاحقاب
والمطعمون عابرا السبيل
وكالتوا اليتيم عند صغره
هنا الى العقل المنير ينهد
نسبتهم معروفة مشهورة
نصر عليهم علماء فاس
كالمقري وكولي البدين
فتت سلسلة الاجداد
واحد الميعاد منذ كان ولد
وبسارح الاصل بقصد الحج
وغادر تلمسان بيت العز
وبعد ان حج وزار واعتم
وآب راجعا الى الاوطان
ومر في الطريق بالجزيرة
بنفطة (غلاب) قد اطل
ونال حظوة وقد زاد اعتل
اذا علمت جده العوام
فخذ اليك نسب عمق
احمد ميعاد كريم الاصل
ابن علي نجيل مجيى المرتضى
وهسمو ابن عبد المعطي الهام
اوه عبد العلي الذي حد
هو ابن احمد التومى المتقى
أبوه عبد القادر النزيه
ابن الكريم عابدا الجبار
عمر تلمسان في وقت حرج
فنشر العلم وأمن السبل

مصلي على الرسول الاكرم
وخير من يأت وخير من مضى
وآله ذوي الفخار الخير
الى الرسول المصطفى والمتقى
آل النبي من بني ميعاد
في أفق المجد كشمس مشرقه
يعرف ذلك الحاذق البصير
او الغبي سيء السيرة
من اصل دوحه النبى نبت
الراسخون في العلوم الجملة
والفاسخون مغلق الابواب
من يحضى بالتكريم والتجيل
ملقنوه العلم عند كبره
ومثله للنقل ليس يشهد
شائعه محفوفة مسطورة
وحققوا الامر بلا التباس
اذ ينوه اوضح التبين
موصولة بأحد الميعاد
تلمسان نال العلم واجتهد
وسلك النهج لكل فج
مستعوضا عنك بذاك الكنز
ونال كل ما ابتغاه من وطس
وفاز بالرضا وبالرضوان
مكتنفا بالعز والتأييد
وبسدره في أفقهها قد حل
بعلمه وفظه ما بخل
الحائز المليك والاحترام
مصغيا متفحفا مسدق
ابن محمد وفي العقل
في طالع السعد استنار واضاء
من شمس بالحزم عمري الاسلام
حذو أيه بخطاه أخذ
وهو ابن مسعود بها المجد ارتقى
ليس له في الفخر من شبيهه
بحر العلوم ماله مجاري
وفجره في أفقهها قد انبلج
وساد الاطمنان وامسد الأمل

ابن محمد بن أحمد النقي النقي
والله اسما عيل ذاك البزارع
وهو ابن سعد بن عطاء الله
وهو ابن القاسم الذي قد احرز
نجل سعيد ابن عمران الاكرم
ابن محمد بن يحيى الجوطي
ابن محمد بن علي قد درج
ابوه يحيى يدعى العيسوام
اذ حاز تحت الملك باستحقاق
ابوه القاسم الذي قد اعتزل
ابوه ادريس الاصغر الصنديد
والله بنده سبط النبي ادريس
فوطيد الملك ونال السؤدد
والله الاكبر ادريس سبط
فوطيد الملك ونال السؤدد
والله الكامل عبد الله
نجل السزكي حسن المثنى
نجل الخليم الحسن الصبط السذي
وامه سيده النساء
فباطمة النبوية البتول
صلى عليه الله صاحب الصبا
والله وصحبه وعشيرته

وهو النبوية العابد المرتضى
ليس له في سبقة منازع
كلاهما ليس له مضاه
علم وذا على الاصول ارتكز
كلاهما ضوء بسا في ضلم
من نال فضلا وافي الشروط
في روضة العلم على وعرج
البساط الكف على الأنعام
وقد سيف الخلف والشقاق
زعارف الملك عن الدنيا عدل
موقوف في علوه رشيد
الشهم المهام الفارس الخفيس
وصار للنهج القويم المرشد
على الملوك بسا قد سبط
وصار للنهج القويم مرشد
صبط السرسول المشتبي الاواء
من قد سما ونال مباتعني
صان الدماء اذ حفظت من وقذ
حباوية الفضل بسا امراء
زكية والسدها السرسول
وغن قمري بيروض طرب
وكل من أم الهدى من امتيه

ناظمها ومحررها ومحققها ومدققها ابراهيم خريف بن محمد الكبير بن محمد التابعي بن ابراهيم خريف بن احمد البدوي
بن محمد المبارك بن محمد مسلم بن علي ميعاد بن حمودة بن احمد ميعاد الجند المذكور. أخذ الله بيده وكان له في يومه وغده في
26 من جمادى الاولى سنة 1347 رزقنا الله خيرها ووفانا شرها، والسلام.



الفهرس

- 1- مقدمة في قطر الجريد ووضع الجغرافي وقصيدة في محاسنه لبعض الادباء .
- 2- في ان الجريد في خط بغداد وهو الاقليم الثالث .
- 3- فيما نقل عن جاليتوس ان اهل الاقليم الثالث مخصوصون بفرط الذكاء واحتجابه على ذلك .
- 4- في جن قسطنطية هي توزر ونقطة والوديان ويان اسماءها الرومانية .
- 5- في أن جهة الجريد كان بها بحر في القديم ومحاولة بعض المهندسين فرضه بخليج قابس

الباب الاول

- 6- في اول نشأة الجريد
- 7- في أول دولة انتظمت بالمغرب دولة قرطاجنة .
- 8- التعريف بأمة البربر الذين هم أول من استوطن بلاد المغرب ونسبهم .
- 9- في أن فراعنة مصر الرعاية الذين في رمير يوسف الصديق استولوا على حاسب من المملكة التونسية قبل عمراتها
- 10- في أول من اخترع الكتابة بحروف الهجاء .
- 11- في أول من أحدث المراسي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
- 12- في تكون الدولة القرطاجنية من الأمة الفينيقية .
- 13- رسوخ قوة الدولة القرطاجنية وامتداد سلطتها برا وبحرا .
- 14- ابتداء مزاحمة دولة اليونان دولة قرطاجنة .
- 15- في أن مرسى قلبية أحدثها اليونانيون حين تسلطوا على بعض البلاد التونسية .
- 16- في سترجاع دولة قرطاجنة ما أحدثته دولة اليونان وامتداد سلطتها على أغلب أوروبا وجميع أفريقيا تقريبا .
- 17- في تاريخ نشأة مدينة رومة .
- 18- في اتحاد ممالك الرومان وعزمهم على ضم بعض ممتلكات دولة قرطاجنة .

فصل

- 19- في تسلط دولة الرومان على دولة قرطاجنة .
- 20- في التعريف بتكوين الدولة الرومانية واصولها وانها جمهورية
- 21- في أن قوام الدول بوضع التراتيب العتيدة والنظامات الحرية المفيدة .
- 22- في التعريف بالبطل الشهير أنيبال القرطاجني ومصير أمره .
- 23- في ما حكم به احد السياسيين الرومانيين بأن مصلحتهم في تخريب مدينة قرطاجنة .
- 24- في تخريب قرطاجنة بالفعل وقتل ستمائة الف نفس منها .
- 25- في عثور الباحثين عن اثار مدينة قرطاجنة سنة 1316 هجرية .
- 26- في تشبيه قضية جوقرطة البربري بقضية الحاج عبد القادر الجزائري بعد ألفي سنة .

فصل

- 27- في ابتداء الحكومة الامبراطورية الرومانية .
- 28- في فتح لامرطور اعسطس لبلاد مصر وقتل امرأة كليوباترة آخر ملوك اليونان بتمكيها لحية من ثديها .
- 29- في أن دولة الرومان استولت على جميع افريقية من شطوط البحر الأحمر الى البحر المحيط العربي وغالب أوروبا وبعض اسيا .
- 30- في أن الاقدمين يعيرون على افريقية بمخزن جوب أوروبا .
- 31- في ما أحدثه الرومان من العمارات المهمة والمعامل العظيمة والحصون الجسيمة كقصر الجم وحيايا قرطاجنة .

32- في أن ما أحدثه الفرنساويون من الطرق غالبه توسعة او اصلاح للطرق الرومانية .

33- فصل

33- في أسباب انحطاط السلطنة الرومانية وتاريخ افتتاح الحرب بينها وبين القرطاجنيين وانتهائه

34- في تقسيم الدولة الرومانية الى شرقية وغربية وسبب ذلك

35- في اعتناق الملك قسطنطين للديانة المسيحية وتأثير ذلك في سياسة المملكة .

36- في ابطال دعوى ان الوشم الذي بجاه سكان افريقية اتخذه الربر علامة يتميزون بها على لوثيين على شكل الصليب

37- فصل

37- في تسلط الواندال على افريقية وانتزاعها من يد الرومان وأسباب ذلك وبيان اصل الواندال .

38- في أول ملوك الواندال .

39- في انقراض دولة الرومان من افريقيا نهائيا واستقرار الواندال على قرطاجنة وتأسيس اول دولة ملكية وراثية بها .

40- في هجوم الواندال على مدينة رومة واعادة قرطاجنة الكرة عليها بعد ستائة سنة .

41- في انحطاط دولة الواندال والاسباب المؤثرة في ذلك .

42- فصل

42- في تسلط الروم وهو السلطنة الشرقية على بلاد افريقية والاسباب الداعية لذلك .

43- في انكسار أسطول الروم في مياه افريقية ورجوعهم بالخفية والفشل .

44- في التعريف بالقيصر يوشطيناش الذي قصده امرىء القيس مستنجدا به .

45- في اعادة دولة الروم الكرة على دولة الواندال وسقوطها عساكرها برا وبحرا حتى طحت تحتها بكلاكلها .

46- في دخول بلزار قائد الجيش الرومي لقرطاجنة بحيشه الجرار وتناوله طعاما كان اعد للملك بقصره .

47- في سقوط دولة الواندال نهائيا واستيلاء دولة الروم على افريقيا .

48- في أسباب سقوط دولة الواندال وانحلال عراها وهي الميل للترف والتعصب الديني واصطهاد الرعية

49- في أن قبيلة الفراشيش اندمج فيها اغلب من بقي من الواندال يدل على ذلك الدم الجرمانى الجارى في عرقهم .

50- في ان ايعيره كبير امراء البربر جدد الكاهنة الأميرة المشهورة .

51- في ابطال دعوى ان التوارق قبيلة من العرب .

52- ولادة نيينا عليه الصلاة والسلام بالتاريخ المسيحي .

53- في كيفية دخول امراء البربر تحت حكم دولة الروم .

54- في ان دولة الروم لم يرسخ قدمها الا في المدن ذوات الحصون والقلاع .

55- ورود أمة الغوط المستقرة بالاندلس على بلاد المغرب الأقصى واذعان بعض القبائل لها .

الباب الثاني

56- في فتح العرب لافريقية ومبادئ ذلك .

57- في أن أول قيادة الجيش العربي الداخل لافريقية بعبد الله بن سعد بن أبي سرح .

58- في خلوص عبد الله بن الربيع خبر الفتح لعثمان بالمدينة في خمسة وعشرين يوما وصلحهم بثلاثمائة قطار من الذهب .

59- اختطاط مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع .

60- ولاية حسان بن النعمان الغساني امر افريقية مؤسس قواعدها السياسية ونظاماتها الحربية .

61- على التعريف بالاميرة البربرية المعروفة بالكاهنة واسمها دهياء المسيطرة على امراء البربر .

62- على التحام تم بين جيش الكاهنة وجيش حسان ، وهزيمة جيش حسان وانحيازه الى تخوم طرابلس .

63- في اعادة حسان الكرة على جيوش الكاهنة وهزيمتها .

64- في أن الجريد فتح صلحا .

- 65- في قتل الكاهنة واسلام ولدتها في اثني عشر الف رجل وقيادتها عليهم .
 66- في حصار حسان القرطاجنة واقتحامها عنوة وعارة تونس وانشاء المعدات الحربية والسفن البحرية .
 67- في ولاية موسى بن نصير على افريقية وهو فاتح الاندلس والمغرب .
 68- في ان بلاد الجريد هي اول بلاد الصحراء وآخر المستعمرات الرومانية .

الباب الثالث

- 69- في احوال بلاد الجريد وما تداولت عليه من الاطوار .
 70- في الكلام على بلاد الوديان وفيه ذكر اصحاب الكهف ورقودهم ويقظتهم .
 71- في ان باني مدينة قفصة هو ملك ميطلة لتكون حاجزا بينه وبين ملك كبة ببلد كرز .
 72- في ان كرز ودقاش مدينتان كانتا بتواحي تبسة انتقل اهلها عند تخريب الكاهنة لهما .
 73- في رجوع اهل دقاش لمواطنهم الأصلية .
 74- في أن عمران دقاش جرى في القرن العاشر هجري بواسطة سيدي عبد الله بورويس .
 75- في ورود جدود أولاد خيار على بلاد دقاش والتفافهم على سيدي عبد الله بورويس .
 76- في ورود سيدي ابي هلال على بلاد سراه .
 77- في ورود سيدي ابي ناب على بلاد الزرقان واسارة سيدي ابراهيم خريف ببناء زاويته .
 78- في ظهور الفتنة ببلد الوديان على يد ابي يزيد الخارجي حتى جر ذلك الى تخريبها .
 79- في تعمير كرز بعد خرابها بواسطة العرب الداخلين في القرن الخامس الهجري .
 80- في توحيه السلطان العثماني لأسطوله الضخم وعساكره الجرار لانقاذ تونس من محالب امبانيا .
 81- في أن العائلة المرادية أصلهم من جزيرة كرسكا .
 82- في قمع ثورة عبد الصمد الشابي وفي رسم طائفة العرسان والرحال من دريد في ديوان الجند .
 83- في من بني دار البايتوزر ومدرسة البايتوزر .
 84- في تخريب كرز ثانيا وتعميرها بذرية سليم احد القواد الواردين مع عسكر الترك .

فصل

- 85- في الكلام على مدينة توزر .
 86- في ان مياه الجريد كانت متفرقة تقف عندما تصادمها الرمال .
 87- في ان دولة الرومان هي التي اعتنت بجمع مياه الجريد وتوزيعه بكيفية هندسية .
 88- في انه ما وصل القرن الثاني هجري حتى لم يبق بالجريد من هو متدين بغير الدين الاسلامي .
 89- في نسب ابي يزيد الخارجي الذي أضرم الفتنة بافريقية .

فصل

- 90- اشراق شمس المعارف في هذا القطر بورود الافراد المرتحلين لاقتناء العلوم .
 91- في استيطان العرب من بني سليم من الشيعة الوافدين من المشرق ببلد توزر .
 92- في بقية من عوائد الخوارج والشيعة بتوزر .
 93- في تاريخ رجوع ابي محمد الشقراطي من رحلته لبلده توزر .
 94- في مرثية ابي زكريا التوزري لابن ابي زيد وترجمة ابي الفضل النحوي وابن شباط .
 95- في تبحر عمران مدينة توزر .

فصل

- 96- علاقات بلد توزر السياسية .

97- في ان توزر تابعة في سياستها لمركز الادارة الافريقية وقد استولى عليها صلاح الدين سلطان مصر برهة .

98- في استبداد بني يملول وبني الخلف وبني العابد وبني ابي المنيع بامر الجريد .

99- فصل

99- في تغلب السلطان الحفصي ابي العباس وانتزاعه من يد المستبدين .

100- في رجوع يحيى بن يملول من بسكرة الى توزي وخيبته ثم وفاته وتركه ولدا صغيرا .

101- في وثوب ابي يحيى بن يملول على توزر واستنفاد ذخائرها ثم خذلانه بحمىء السلطان ابي العباس

102- في رجوع ابن يملول مرة اخرى وخذلانه امام السلطان ابي العباس .

فصل

103- اولية بني يملول والتعريف بنسبهم وكيف وصل لهم الامر وكيف خرج منهم .

104- فصل

104- فيمن استوطن هذه الديار وما تداول عليها من الاطوار .

105- في ان اختطاط توزر قبل قرطاجنة بعامتي سنة ونيف وثلاثين سنة .

106- في مبدأ استقرار العائلات العربية بتوزر .

107- ظهور الدم الروماني والجرماني في عروق السكان .

108- على التعريف بانساب العشائر التوزرية وان غالبهم من العرب التازحين من المشرق .

109- في ترجمة الشيخ الزين والشيخ ابراهيم بوغلاق وغيرهم من اعلام البلاد الذين انتسبهم رياضها

110- فصل

110- في الكلام على مدينة نفطة والتعريف بنسب قبائل البربر المستوطنين بها في اول اطوارها .

111- في ابتداء اختطاط مدينة نفطة وموقعها وتقسيمها الى ثلاث بلدان .

112- في تبخر مدينة نفطة بسبب موقعها من كونها مركزا للتأثير السوداني والمغرب الاوسط والافصى

113- في من لم يعتنق الدين الاسلامي وبقي على الديانة النصرانية من اهالي البلاد الاصليين انتقل لسردايا

114- في حمل المعز بن باديس لاهل افريقية على التزام عقيدة السنة ومذهب الامام مالك .

فصل

115- في من طلع في سماء البلاد النفطية من علماء الملة وسطح في افقها من البدو والاهلة .

116- في التعريف بالقطب الاكبر سيدي ابي علي النفطي قدس سره .

117- وفود القطب الشهير سيدي احمد معاد قدس سره على بلد نفطة ومبب استيطانه بها .

118- وفود الشيخ المداني بن عزوز ومن معه من العلماء على بلد نفطة .

119- فصل

119- في تبخر عمران نفطة وكثرة خيراتها .

120- في مساحة نفطة قديما .

121- في انه لم يبق مدمر من بلدان نفطة الا درجين .

122- في تحرير ما ذكره صاحب القاموس بأن سكان نفطة اباضية .

123- في علاقة نفطة السياسية .

124- في انتقال مركز السياسة من القيروان للمهدية ثم منها لتونس .

125- في استبداد بني مدافع بأمر نفطة وتداول الامارة فيهم واحدا بعد واحد .

126- في اولية بني مدافع امراء نفطة وما آل اليه امرهم .

127- في ولاية محمد بن خلف الله النفطي قضاء الجماعة بتونس .

128- في تخريب عثمان داي لنفطة بسبب عصيانهم .

129- في من استوطن بلاد نفطة من الشعوب والقبائل وما تداولتها من عناصر الاواخر والأوائل .

- 130- في تقسيم قبائل درجين الى اربع وعشرين قبيلة وبيان أسمائهم في القديم .
- 131- في تقسيم عشائر نقطة الى ثلاثة عشر قبيلة وبيان اسمائهم حديثا .
- 132- في نسب عشيرة المواعدة وتاريخ ورود جددهم الى نقطة وترجمة سلفه وسلسلة نسبه .
- 133- في أولاد سيدي احمد معاد لصله ومن تفرع منهم وما لهم من المجد الباذخ والشرف الشامخ .
- 134- في انشاء المدارس لتعلم العلم بعشيرة المواعدة وتاريخ نشأتهم وعيشتهم .
- 135- في تراجم بعض العلماء من المواعدة المرتحلين . . (كلام غير واضح) .
- 136- في التعريف بسيرة الشيخ سيدي حمد التامعي ومآثره الجليلة وتأسيساته الخيرية الجزيلة .
- 137- في تاريخ داية الشيخ سيدي حمد التامعي ووفاته رضي الله عنه .
- 138- في ان المرجع في انتخاب من يصلح للوظائف الشرعية هي العائلة المعادية .
- 139- في من انتخب للوظائف الشرعية من احفاد سيدي حمد معاد .
- 140- في التعريف بعشيرة الشرفاء من نقطة ونسبهم وتاريخ استيطانهم وترجمة سيدي خذر وسيدي ضيف الله .
- 141- في ترجمة سيدي ابراهيم بن احمد ومآثره الجليلة منها انشاء الزاوية القادرية وتاريخ وفاته .
- 142- في التعريف ببني علي ونسبهم وتاريخ استيطانهم بنقطة .
- 143- في التعريف بسيدي مصطفى بن عزوز وتاريخ وروده على نقطة ووفاته رحمه الله .
- 144- في من جلبهم سيدي مصطفى من المرابطين لزاويته بنقطة .
- 145- في التعريف بخط الطين ومسغونة والحشاشنة وسيدي الحمادي وأولاد شريف .
- 146- في التعريف ببني يزيد وقتلهم محمد بن الطاهر احد ابناءهم .
- 147- في التعريف بعلقة ونسبهم وتاريخ بعض الواردين عليهم .
- 148- في التعريف بعشيرة الزيدة وتاريخ استيطانهم بنقطة .
- 149- في ترجمة الشيخ يوسف بن عون .
- 150- في ما دار من المخاطبات بين صاحب الترجمة وبين جامع هذا الكتاب .
- 151- في التعريف بالمصاعبة وزاوية سيدي حمد .
- 152- في مرور علي باشا الاول ببلد نقطة وزيارته لسيدي ابي علي وامره ببناء زاويته .
- 153- في قصيده للغراب في مدح علي باشا فيها وقائع تأديب الهامشة والهاممة .
- 154- في ولاية سيدي احمد بن الحاج نقابة زاوية سيدي ابي علي و . .
- 155- في العلماء والصلحاء الذين انتقلوا من نقطة للارشاد
- 156- في ترجمة الشيخ سيدي المولدي .
- 157- في انشاء مدرسة سيدي الصبحي .
- 158- فصل في شؤون نقطة الادارية الحديثة .
- 159- في سبب تحصيل بني علي وعلقة وبني يزيد وأولاد شريف بمشبخة نقطة دون بقية العشائر .
- 160- في أن أصل الجباية في بلاد الجريد عشر ما يتحصل من غلال نخيلهم وزياتيتهم .
- 161- في أن الجباية في صدر دولة الموحدين بلغت مائتين ألف دينار التي هي خمسة ملايين فرنك .
- 162- في أسباب نقص الجباية الطبيعي المؤدي الى هرم الدول .
- 163- على ان تراكم المغارم موجب لانقراض الايدي عن العمل المؤدي الى سقوط الدولة .
- 164- فصل
- 164- في تغيير الهيئة الادارية في بلد نقطة من تاريخ ولاية احمد باشا الحسيني
- 165- في احداث أداء الربع على ما يباع من البضائع واحتكار الدولة بيعها لبعض الضروريات .
- 166- في احداث أداء على الزيتون والنخيل زايد على أدائه الاصيل .
- 167- في ولاية ابراهيم بن عون على الجريد وما تسبب عن ذلك .

- 168- في ترتيب الجند الخيالية بالجريد المعبر عنهم بالوجع وما نشأ عن ذلك من الاضرار الجسيمة .
- 169- في مهاجرة اهل نقطة لبلد سوف من ايلة الجزائر وما تسبب عن ذلك من احصاء النخيل وترتيب القانون .
- 170- في ما تكبده سكان الجريد من المغارم وهي خمسة اقسام .
- 171- في ولاية العبيدي والحازن خليفتين على نقطة وما نشأ عن ذلك وولاية علي الساسي عاملا .
- 172- في الاسباب التي فتحت للدولة باب التداين من اوروبا بفوايض مكررة .
- 173- في الاسباب الباعثة على انشاء عهد الأمان والباعثة على ابطاله .
- 174- في اسباب اضرار الفتنة بين عشائر توزر حتى جر ذلك الى الوديان ايضا .
- 175- في الاسباب التي نشأت عنها المجاعة ونتج المرض الوبائي سنة 1284 وما بعدها .
- 176- في اسباب انقباض المالين الاوروبيين على قرض الدولة التونسية .
- 177- في ان اصلاحات الوزراء لا تستقيم مع استبداد الأمراء .
- 178- في قبول خير الدين اولا بوظيفة مخترعة يدعى بها بالوزير المباشر .
- 179- في ادارة ضبط الديون التونسية بالكسميون المالي .
- 180- في عزل علي الساسي من قيادة الجريد وولاية حسن حيدر بخلافة عبد الله السوداني .
- 181- في كيفية حساب الدولة للولاة ونعيمهم فيها ثنت عليه قصه ولم يواصلوه به الدولة .
- 182- في احصائية عقود النخيل بالجريد على يد الرئيس علي جهان .
- 183- في تأسيس جمعية الأوقاف وترتيب اعمال الشهود بالدفاتر الرسمية .
- 184- في احداث مرتبات للقضاة والمحاسبين الافاقين .
- 185- في ما احداثته قبيلة اولاد عبد الكريم من الهامة من الخلاف ثم اخضاعهم بالقوة .
- 186- في سبب نقص عدد النخيل من احصاء علي جهان عن العدد السابق .
- 187- في انشاء المدرسة الصادقية وما نشأ عن ذلك من نفخ روح الحياة في الناشئة التونسية .
- 188- في الاسباب الباعثة على اعادة عدد النخيل وما نشأ عن ذلك من الاضرار البدنية والمالية .
- 189- في الأسباب التي نشأت عنها الريادة في احصاء عدد النخيل حتى حر ذلك لى سخط الدولة والانتقام من الأهالي .
- 190- في أن ما واخذت به الدولة اهالي الجريد لم يكن ناشئا عن انحراف وانما هو استبداد من خير الدين .
- 191- في عواقب الاستبداد الوخيمة واضرار الجسيمة .
- 192- في قيام الحججة على خير الدين بشهادته على نفسه في قضية بونبارت نابليون .
- 193- في سقوط خير الدين من الوزارة .
- 194- في ولاية مصطفى بن اسماعيل وما نشأ عن ذلك من الانقلاب السياسي والاداري .
- 195- في ما ارتكبه محمد المرباط في بلد جنة من القتل والحرق .
- 196- في ابتداء محوم الاعراب على بعضها واختطافهم بصائع القوافل الذي كان سببا في الانقلاب .
- 197- في الأسباب الداعية لفرنسا على احتلال البلاد التونسية .
- 198- في نص اللائحة التي وجهتها فرنسا لدول اوروبا محتجة لاحتلالها لتونس .
- 199- في نص لائحة تركيا التي وجهتها لدول اوروبا احتجاجا على فرنسا وطلبا للمحافظة على العهد .
- 200- في ان الحق مع القوة كما هي القاعدة السياسية .
- 201- في نصيحة لويز فليب لأحمد باشا ومما قاله له السفير في التحجب للرعية والرفق لهم .
- 202- مصالح الدول لا تتداخل فيها الشخصيات .
- 203- معاهدة القصر السعيد وموادها التي هي سبب الاحتلال الفرنسي لتونس .
- 204- في اعمال فرنسا بالمملكة التونسية بعد نشر حمايتها عليها و . .
- 205- في ترتيب المالية .
- 206- البوسطة والتلغراف .

- 207- المجالس البلدية .
- 208- في ادارة المحافظة .
- 209- في ادارة الصحة .
- 210- في ادارة السجون .
- 211- في العدلية التونسية .
- 212- في نص عهد الأمان .
- 213- جريان العمل بقانون عهد الأمان .
- 214- في ابطال العمل بقانون عهد الأمان والتذرع لذلك بأسباب لا تنهض .
- 215- تسجيل دول أوروبا على ابطال العمل بقانون عهد الأمان .
- 216- في ثورة الأهالي والزعيم علي بن غداهم .
- 217- فصل
- 217- في تقسيم الوزارة التونسية الى أربعة اقسام .
- 218- في ترتيب المجالس العدلية الافاقية .
- 219- مطلب المعارف بالجريد .
- 220- في تأسيس المدارس بنقطة وذكر المدرسين بها .
- 221- في تقلص ظل التدريس بوضع الجمعية يدها على الأوقاف .
- 222- في أن أهل الجريد مخصوصون بخلق الترفع .
- 223- في أن الرتب الدولية انما تحصل بواسطة الخضوع والتملق .
- 224- في أن أهل الجريد لهم ولوع بعلم الأدب وذكر بعض الأدباء .
- 225- في ترجمة الشيخ خليفة بن عروس ومرتبة فيه لجامع الكتاب .
- 226- في أسلوب التدريس بالجريد والمكاتب القرآنية به .
- 227- مطلب الصنائع بالجريد توجد جميع الصنائع الضرورية للهيئة الاجتماعية .
- 228- في صناعة الطب البسيطة وخصوصا جبر الكسر وكيفيته
- 229- مطلب التجارة بالجريد .
- 230- انموذج في علم الاقتصاد وتقسيمه الى سياسي وعائلي الى سياسي وعائلي .
- 231- في شعور النوع البشري بكيفية الاقتصاد .
- 232- الحكمة في مع الشريعة لمطهرة للمسكرات واهتداء المتمدنين من غير أهل الدين الاسلامي لمضارها .
- 233- في ان إيجاد الجمعيات تبدل الافكار في المصالح الحيوية لا لمجرد اللهو واصاعة الوقت في غير مصلحة
- 234- في حكمة الجمعة والجماعات في الدين الاسلامي .
- 235- السبب في ترك الخوض في المصالح العامة بالمساجد والديسية في ذلك .
- 236- في ذكر الذهب والقصة امانة لهما ومعنى قوله تعالى «والدين يكرهون الذهب والفضة» الخ .
- 237- في ما قاله الامام فخر الدين الرازي في الذين اتخذوا الدين اجولة لاصطياد عرض الحياة الدنيا .
- 238- مطلب اللغة بالجريد .
- 239- في ان تخلل بعض كلمات اعجمية في الكلام لا يخرج عن كونه عربيا .
- 240- في ان تركيب الكلام ترتفع وتنحط فيها درجات السلاعة بحسب الملكات احاصلة للمتكلم فيها .
- 241- في الحديث اعلى وارفع وفي القرآن ارقى واعظم من الكل .
- 242- الاستدلال على ان الحديث النبوي في اعلى درجات البلاغة .
- 243- الاستدلال على ان القرآن العظيم اعجز البلغاء وطأطأت له رؤوس الفصحاء وخضعت . .
- 244- مطالع المعلقات السبع وذكر شعراءها .

- 245- عثرات ابلغ الشعراء امرىء القيس في ابلغ المعلقات .
- 246- في ان النطق بالقاف الذي بين الكاف والقاف لغة العرب الاصلية بل هي ..
- 247- فصل
- 247- الكلام على مدينة قفصة واولية امرها .
- 248- علاقة قفصة السياسية .
- 249- استبداد بني الرند بأمر قفصة واعمال الجريد الى ان انتزعها عبد المؤمن بن علي .
- 250- في ان كنونة قرية من قرى الوديان وهي التي تسمى الان اولاد ماجد .
- 251- في مبادئ استبداد أمراء الجريد والأسباب الداعية لذلك .
- 252- في ان حصن قفصة جده عبد العزيز ابو فارس الحفصي سنة 802 هـ .
- 253- في شؤون قفصة الحديثة .
- 254- في التعريف بالمستوطنين بها .
- 255- في ان المحاميد الذين منهم اولاد بلوم هم من فرقة ذئاب الهلالي .
- 256- التعريف بحامة قسطلية والاستدلال على انها الحامة بالالف وان النسبة لقسطلية فسطاني لأن اصلها قسطلانية
- 257- شجرة المؤلف





242. خواجه نصیر الدین اقبال (1877-1934)
243. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
244. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
245. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
246. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
247. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
248. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
249. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
250. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
251. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
252. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
253. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
254. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
255. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
256. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
257. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
258. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
259. فیض المصطفیٰ (1877-1934)
260. فیض المصطفیٰ (1877-1934)

التعريف بالمؤلف :

ولد الشيخ ابراهيم خريف بن محمد الكبير التابعي الشريف بنقطة سنة 1862 وتوفي في 11 جانفي 1937 بتونس، ثم حمل جثمانه الطاهر الى نقطة حيث دفن بمدفن آل خريف.

زوجته شريفة بنت الصادق بن ميلاد الملوذة في تونس سنة 1892 وتوفيت بها سنة 1952 بتاريخ 24 جويلية. له الكثير من الأشعار والمقالات والدراسات في الفقه والأدب وكلها مخطوطة، وله بعض المقالات المنشورة في جريدة الزهرة.

- والد الشاعر الكبير مصطفى خريف

- والقاص الرائع البشير خريف

- والفنان الممثل الهادي خريف.

كما له ابناء من ثلاثة زوجات آخر، هو سليل عائلة شريفة تمتد شجرتها حسب قصيدته الى سبط الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يمر جيل الا ويسرز احد النبغاء ويكون له تأليف في الفقه او الأدب او العلم او التاريخ.

(شرع في تأليف الكتاب سنة 1898 وأتمه بعون الله سنة

1914).